

دراسة نقدية موازنة

تأليف

يونس طركي سلوم البجاري



Title : The poetical imitation & comparison
in Andalusia during the fifth & sixth centuries
classification: *Criticism*

Author	: Yūnus Turkī al-Bajān
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Pages	: 232
Year	: 2008
Printed in	: Lebanon
Edition	: 1st

الكتاب : المعارضات في الشعر الأندلسي
التصنيف : نقد أدبي
المؤلف : يونس طركي سلوم البجاري
الناشر : دار الكتب العلميـة - بيروت
عدد الصفحات : 232
سنة الطباعة : 2008
بلد الطباعة : لبنان
الطبعة : الأولى

هذا الكتاب بالأصل رسالة تقدم بها المؤلف إلى مجلس كلية الآداب في جامعة الموصل سنة ١٩٩٦ وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بإشراف الأستاذ الدكتور محمد مصطفى بهجت

ISBN 2 7451 5936 0 (10 dig)
ISBN 978 2 7451 5935-9 (13 dig)





دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٨م - ١٤٢٩ هـ

دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Aramoun al-Quebbah
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg
Tel +961 5 804 810/11/12
Fax +961 5 804813
P.o Box 11-9424 Beirut-lebanon
Ryad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة
مبنى دار الكتب العلمية
هاتف ١٢/١١/٨١٠ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
فاكس ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب ١١-٩٤٢٤ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ١١٠٧ ٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

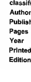


﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ
ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا
بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾





سورة الكهف: الآية: ١٠٩










الإهداء

إلى والديّ حبّاً وعرفاناً ...

وإلى إخوتي وأخواتي ...

وفاءً لهم جميعاً ...

يونس

شكر وعرفان

إنه لمن دواعي الوفاء أن أتقدم بالشكر الوافر والامتنان لأستاذي المشرف الدكتور متعد مصطفى بهجت، لما بذله من جهد كبير في توجيه البحث ورعايته، فلم يبخل عليَّ طيلة البحث بمشورة علمية، وجعل من مكتبته الخاصة الغنية منهلاً لبحثي فلولا علمه ودقته لما استوى البحث على ما هو عليه.

ويطيب لي أن أشكر للدكتور عبد الوهاب محمد علي العدواني مواقفه العلمية المشرفة والأصيلة مع أخوتي طلبة الدراسات العليا ومعي بخاصة، فقد أخذ بيدي في ساعات التعثر باعثاً الثقة والأمل في النفس.

ولأستاذي الدكتور خليل رشيد فالح فضل علمي لا توفيه كلمات الشكر، ومن الوفاء أن أسجل اعترافي بجميل الدكتور صلاح خالص – رحمه الله – الذي أتاح لي فرصة اللقاء به في داره ولمدة ثلاث ساعات على الرغم من مرضه وآلامه، فقد منحني من علمه الغزير ما أعانني في السير في طريق البحث.

وأتقدم بالشكر الجزيل للدكتور حازم عبد الله خضر، الذي تكررت زيارتي له منذ بداية تسجيل الموضوع، فلم يبخل عليّ بإسداء نصيحة أو عرض فكرة من شأنها تقويم البحث.

وللأستاذين الفاضلين الدكتور محسن جمال الدين والدكتور حكمت الأوسي فضل من يستشار في العلم.

وأشكر للأخ الكريم جمعة حسين محمد الذي عرفته في السراء والضراء أخاً مؤازراً لي طيلة سنوات دراستي الجامعية.

وأشكر كل من أبدى لي المعونة ولو بكلمة ناصحة راشدة.

يونس

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لم ينل الأدب الأندلسي حظه من الدراسات الأدبية، على الرغم من شموخ الحضارة الإسلامية، ولا سيّما وقد رفلت الأندلس بعز العرب المسلمين زهاء ثمانية قرون.

فقد عانى هذا الأدب من الاهمال إلى وقت ليس بعيد، ولعل ذلك يعود إلى أن جلّ مصادر هذا الأدب قد طمست، ومن النادر أن يجد الباحث ضالته لأن أيدي العبث على امتداد العصور قد تركت آثارها في مصادره.

وحين قطعت شوطاً في دراسة الماجستير وكنت بصدد اختيار موضوع لرسالتي، وجـــدت أن الأدب الأندلـــسي قـــد عانى من عزوف طلبة الدراسات العليا في جامعة الموصـــل، إذ انصرفوا إلى دراسة الأدب العربي في عصوره المختلفة دون أن يتلبثوا عند الأدب الأندلسي، ولما كان هذا الأدب ثرّاً في مضامينه غزيراً في اتجاهاته، وجدت هوى في نفسي لدراسته، وكان ميلي أشد إلى دراسة الشعر منه، وآثرت أن أدرس حقبة خصبة رغم ما يكتنف الباحث من صعوبات، ويواجهه من مشكلات حين يختار هذا المضمار، ولذا تأتي رسالتي باكورة بين الرسائل في هذه الجامعة.

واستقر الرأي على تسجيل **(المعارضات في الشعر الأندلسي في القرنين الخامس والسادس الهجريين)** موضوعاً للدراسة بإشارة من الأستاذ المشرف، وأما تحديد الدراسة بالقرنين الخامس والسادس الهجريين، فلما امتازت به هذه المدة من وضوح لهذه الظاهرة وشيوعها، بحيث بلغت درجة النضج والاكتمال.

وأمـــا الدارسون الذين عنوا بدراسة المعارضة فيتقدمهم الأستاذ علي الجارم حيث نـــشر سلـــسلة بحوث عن المعارضات في مجلة الكتاب المصرية [1]، إلاّ أنه لم يتناول في بحوثه المعارضات في الشعر الأندلسي.

ومـــن الباحـــثين الأستاذ الدكتور محسن جمال الدين الذي أشار إلى أهمية موضوع المعارضات ووعد بكتابة دراسة مفصلة عنها بعنوان **(ديوان المعارضات الشعرية)** [2]،

---

(١) مجلـــة الكـــتاب المصرية، السنة الأولى، مج ٢، يوليو ١٩٤٦: ٣٨٣ – ٣٨٧؛ وينظر: المصدر نفـــسه، السنة الأولى، مج ٢، أغسطس ١٩٤٦ (المعارضات في عصر صدر الإسلام): ٥٥٤ – ٥٥٧؛ وينظـــر: المعارضـــات في العـــصر الأمـــوي، يونـــيو ١٩٤٦: ٦٨٠ – ٦٨٦؛ وينظر: المعارضات في العصر العباسي، السنة الثانية، مج ١، يناير ١٩٤٧: ٤٠٤ – ٤١١.

(٢) مجلة جامعة الموصل (بحث د. محسن جمال الدين – أبو تمام في الأندلس –)، ع ١، تشرين الثاني =

وقد التقيته ولم يقدر لي أن أرى كتابه المذكور، وذلك لظروف خاصة به.

وتبعه الدكتور محمد محمود قاسم نوفل في كتابه (**تاريخ المعارضات في الشعر العربي**) حيث أفرد المبحثين الأول والثاني من الفصل الثالث لدراسة المعارضة الشعرية الأندلسية، إلاّ أن دراسته اتسمت بالطابع التاريخي.

وآخر البحوث التي اطلعت عليها، المبحث الذي جاء بعنوان (**المعارضات**)، ضمن الفصل الرابع (**التجديد في الأدب الأندلسي**) في كتاب أستاذنا الدكتور محمد مصطفى هجت المعد للطبع بعنوان (**الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**).

ومن هنا تأتي أهمية اختيار الموضوع لسد نقص في المكتبة الأندلسية. ولعل من الصعوبات التي واجهت دراستنا قلّة دواوين الشعر الأندلسي التي بين أيدينا، فهي لا تتجاوز أصابع اليدين، فتتضح قلتها بالقياس إلى ما عرفت به الأندلس من ازدهار أدبي وشعري، وقد جاءت نصوص المعارضة مبثوثة في أمات المصادر الأندلسية كالذخيرة، ونفح الطيب، والبديع في وصف الربيع، والقلائد ...

ومن المشكلات التي واجهت البحث أن نصوصه لم تجتمع في كتاب أو ديوان مستقل، حيث اضطررت إلى جمع هذا الديوان كي يكون زاد الدراسة ومادتها الأولية، وطبيعة الدراسة اقتضتني الرجوع إلى دواوين الشعر المشرقي لتوثيق نصوص القصائد المعارضة، وكانت هذه الدواوين متنوعة على امتداد العصور الأدبية في المشرق العربي.

تقع هذه الدراسة في تمهيد وأربعة فصول، أما التمهيد: فتناولت فيه دراسة الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية للأندلس، ووقفت فيه على الأحداث السياسية المعقدة، التي انعكست آثارها على الحياة الاجتماعية والثقافية، وكانت لي وقفة متأنية عند روافد الثقافة الأندلسية المتنوعة.

أما الفصل الأول فقد تحدثت فيه عن مفهوم المعارضة وجذورها في الأندلس، وتناولت مفهومها في اللغة والاصطلاح، ثم وقفت على الفرق بينها وبين فنون أدبية أخرى تلتقي معها من قريب أو بعيد، كالنقيضة والممحصة والمراجعة والمحاورة، ثم بيّنت الخيوط الأولى لمعارضة الأندلسيين في ميادين الحياة الثقافية والاجتماعية والحضارية الشاملة للمشارقة.

١٩٧٠؛ وينظر: مجلة المورد (بحث د. محسن جمال الدين – معالم شخصية المتنبي في الأندلس –) ١ / ٣ / ١٩٧٧ م.

وفي هـذا الفصل وقفت عند دواعي المعارضات محاولاً التعرف على الدواعي الحقيقية التي دعت إلى المعارضة الشعرية وجعلت منها ظاهرة تستحق الدرس، وجاءت هذه الدواعي على نوعين عامة وخاصة.

وفي الفصل الثاني عرضت كذلك لشعراء المعارضة في الحقبة التي سبقت القرن الخامس الهجري تحذيراً للظاهرة وعودةً إلى البواكير، وكانت وفقاً للأغراض الشعرية فتصدرها المديح ثم أعقبها الوصف، والنوريات، والمجون، والغزل، وغيرها.

واختص الفصل الثالث بمعارضة الأندلسيين للمشارقة التي كانت نابعة من نظرة الإعجاب والإكبار للنتاج الشعري المشرقي، حيث تعمقت جذور هذا الاتجاه أكثر من نظيره معارضات الأندلسيين فيما بينهم، وحسب كثرة هذه المعارضات وقفت عند المديح أولاً، ثم أعقبه الغزل والوصف والشكوى وأغراض أخرى، وكنت أقدم المعارضة التامة على الناقصة في تناولي للأغراض الشعرية المتقدمة.

أما الفصل الرابع فاختص بمعارضات الأندلسيين فيما بينهم، وفق المنهج الذي اتبعته في الفصل السابق، حيث عرضت لموضوعات المعارضات حسب كثرة النتاج في الموضوع فكانت وقفتي عند النوريات فالوصف فالمديح فالغزل فالرثاء ثم موضوعات أخرى.

وختمت البحث بالحديث عن النتائج التي تمخضت عنها الدراسة، معززة بالملاحق الإحصائية.

وبعد:

فإني لا أستطيع أن أدعي بأني قد بلغت الغاية في بحثي، والكمال في هدفي الذي أصبو إليه، لأن الكمال لله وحده والنقص مستول على الإنسان لا محيص عنه، وأسأل الله أن يتقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى وصحابته النجباء، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

يونس طركي سلوم

غرة جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ

العشرون من كانون الثاني ١٩٨٨م

الموصل – حي المأمون



التمهيد

أولاً – الإطار السياسي:

كـــان مطلـــع القرن الخامس الهجري، ينبئ بتغيرات سياسية خطيرة على الخارطة السياسية الأندلسية، نظراً لما شهده هذا القرن من صراع وتطاحن واضطراب في الأحوال السياسية، وقد أطلق عليه المؤرخون عهد الفتنة (٣٩٩ – ٤٢٢ هـــ) ووصفها ابن حيان بالمـــبيرة والحائحة، ونجم عن ذلك أفول نجم الخلافة في الأندلس وغياب سلطانها، فلقد تتابعت الأحداث بصورة سريعة، وأطيح بأكثر من رأس من الأمويين، منهم هشام المؤيد الذي قتل سراً في سنة (٤٠٣ هـــ) [1].

ونمـــا شـــعور جديد داخل الأندلس تمثل بعزلة العاصمة القرطبية عن سائر مدن الأندلس، فضلاً عن حب السيطرة والتوسع على حساب الآخرين، وقد أورد ابن عذاري المراكـــشي صـــوراً لهـــذا الـــصراع وتكلم على الحرب التي دارت بين أهل قرطبة سنة ٤١٤ هـــ، التي آلت إلى خلع القاسم بن حمود، ولم تكن هذه الحرب متكافئة حيث بلغ تعداد البربر الآلاف، إلاّ أن أهل قرطبة شاتهم استطاعوا كسب المعركة ومني البربر بهزيمة عظيمة [2].

و ((لقد فشلت الحكومات القرطبية في فترة الفتنة.. في توجيه السياسة الاقتصادية للبلاد وجهة تجلب الاستقرار والاطمئنان والرخاء الاقتصادي كما كانت في ظلّ الخلافة والحجابة)) [3]، مما زاد الخلافة صعفاً وهواناً، وهكذا ظلّت الخلافة الأموية تنازع الزوال بسبب ((... ما تعرضت له من حروب وفتن استمرت أكثر من عشرين عاماً ...)) [4]، وهذا ما حدا بأهل قرطبة أن يعلنوا إلغاء الخلافة سنة ٤٢٢ هـــ [5]. ولم يكن الغاؤها أمراً يـــسير النتائج، إنما كان ضربة لم تنهض الأندلس من آثارها قط، بل كان بداية الانحلال

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ٣ / ١١٣ لابن عذاري المراكشي، تحقيق ومراجعة: ج. س كـــولان و أ. ليفـــي بروفـــنسال، ط ٢، بيروت ١٩٨٠؛ وينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ١ / ٤٢٩ للمقري، تح: د. إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨.

(٢) البيان المغرب: ٣ / ١٣٤.

(٣) قـــرطبة الإســـلامية في القـــرن الحـــادي عشر الميلادي – الخامس الهجري – الحياة الاقتصادية والاجتماعية: ٨٢ د. محمد عبد الوهاب خلاف، ط ١، تونس ١٩٨٤.

(٤) المصدر نفسه: ٨٣.

(٥) الـــذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ق ١ م ٢: ٦٠٢ لابن بسام الشنتريني، تح: د. إحسان عباس، ط بيروت ١٩٧٩.

الطويل الذي لبثت تتقلب فيه زهاء أربعة قرون أخرى [(١)].

بعد أن سقطت الخلافة تفرقت الدولة العربية الإسلامية التي أقام بنيانها عبد الرحمن الثالث، وخرجت من هذه الفتن والحروب وانفرط عقدها حبات متناثرة إلى نحو ما يزيد عن عشرين مملكة، مع أن بعض هذه الممالك فقدت تماسكها وسقطت وسط العواصف ولم تقدر على الدفاع عن نفسها فابتلعها جيرانها، وأصبحت خاضعة لمملكة أخرى قبل أن تترك في الأدب أثراً [(٢)].

ودام عصر الطوائف قرابة ثمانين عاماً [(٣)]، وامتد عمر بعض الدويلات طويلاً حتى بلغ قرناً من الزمن، أي أن بعضها لم يخضع لسلطان المرابطين.

وتـــوزعت دويلات الطوائف من الناحية الإقليمية إلى عدة مناطق هي [(٤)]: قرطبة وأحوازها من المدن والمناطق الوسطى، وإشبيلية وما يلحق بها من مناطق غرب الأندلس وبطليوس، وغرناطة وبلنسية وما يلحق بها من المناطق شرق الأندلس، وسرقسطة أو الثغر الأعلى، وطليطلة أو الثغر الأوسط، ودانية وجزر البليار.

وقـــد اشـــتملت كل منطقة من هذه المناطق المشار إليها على إمارة أو أكثر من إمـــارات الطوائـــف، وقد اختلفت هذه الدويلات في نواحٍ عديدة منها المساحة وعدد السكان، والأهمية السياسية والعسكرية والاجتماعية والأدبية [(٥)]، ومما يلاحظ على هذه الدويلات [(٦)] أنها كانت على نوعين منها ما كان مشهوراً ومنها ما كان مغموراً.

الدويلات المشهورة، وتشمل:

دويلـــة بـــني جهور في قرطبة، ودولة بني عباد في إشبيلية، ودويلة بني الأفطس في

---

(١) دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي: ١٦ محمد عبد الله عنان، ط ١، القاهرة ١٩٦٠.

(٢) الأدب الأندلسي: ٥٤ – ٥٥ للأستاذين أحمد ملا مريع وعبد الجليل حليقة، تطوان ١٩٤١.

(٣) دول الطوائف: ٤٠٢.

(٤) تـــاريخ العـــرب وحضارتهم في الأندلس: ٢١٩ د. خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، ط جامعة الموصل ١٩٨٦.

(٥) دول الطوائف: ١٧؛ وينظر: تاريخ العرب وحضارتهم: ٢٢٠.

(٦) اعتمدت في إيراد هذه الدويلات على: دول الطوائف: ٤٣٣ – ٤٣٧؛ وتاريخ الأندلس – عصر المـــرابطين والمـــوحدين: ٢٦ – ٤٤ يوسف أشباخ، ترجمة: د. حسين مؤنس، ط ٢، القاهرة ١٩٥٨م: والـــتاريخ الإســـلامي مـــن الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة: ٣٥٤ – ٤٠٨ د. عبد الرحمن علي الحجي، ط ١، بيروت ١٩٧٦؛ وتاريخ العرب وحضارتهم: ٢١٩ – ٢٤٥.

بطليــوس، ودولة بني ذي النون في طليطلة، ودويلة بني مناد في غرناطة، ودويلة بلنسية، ودويلة سرقسطة، ودويلة دانية والجزائر الشرقية.

أمــا الــدويلات المعمورة، فتأتي أهمية ذكرها في أنها كانت محوراً يثير النزاع بين الدويلات الأخرى ومنها على سبيل المثال: دويلة بني طاهر في مرسية، ودويلة بني برزال في قــرمونة، ودويلة بني يفرن في رندة، ودويلة بني دمر في مورو، ودويلة بني خزرون في أراكــش.

وهــذا الطرف الجديد من الانقسامات والتشتت جعل العدو الإفرنجي في الشمال يــسيلُ لعابُهُ طمعاً محاولاً التوسع على حساب الدول المتنازعة، وبشكل أكثر حدية من قبل، حينما بدأت تتحد الإمارات الإفرنجية تحت ظل فرديناد الأول ثم الفونسو السادس من بعده، محاولة التوسع نحو الجنوب واستنزاف قوى الدويلات الإسلامية الصغيرة.

وإن الفونســو لم يكن همه في البداية الحصول على المبالغ الطائلة (الأتاوات) من ملوك الطوائف، ولم يكن ميّالاً لاستخدام القوة معهم، وإنما كان مكتفياً بالتهديد في حالة تــأخيرهم لدفــع هذه المبالغ [١]. وقد أشار إلى هذه الخاصية عبد الله بن بُلقين في كتابه التبــيان ((... إذ كان مذهبه ألاّ ينازل معقلاً، ولا يفسد أجناده على مدينة، لبعد مرامها ومــن فيها من مخالفي ملته، وإنما كان يأخذ منها الجزية عاماً بعد عام، ويعنف عليها بما شــاء من أصناف التعدي إلى أن تضعف وتلقى بيدها كما فعلت " أي طليطلة ")) [٢]، وإن حالــة التداعــي المستمرة والضعف التي دبّ دبيبها في جسم الدويلات الإسلامية شــجّعت الفونسو السادس، بفضل ما امتلكه من قوة وغرور أن يهجر سياسته الأولى - جمــع الأتــاوات - ويلجــأ إلى سياسة أكثر وحشية، وهي سياسة القوة والبطش بدول الطوائف وانتزاع المزيد من المعاقل والحصون الإسلامية [٣]، وهذا ما حصل للأندلس من الخارج، أما في الداخل فالتناحر قائم، وهمُّ كل حاكم من هؤلاء أن يحافظ على تماسك دولــته بــدلاً مــن الوقــوف موحدين بوجه الخطر الإفرنجي، وعمّت الفتن والحروب

(١) المعتمد بن عباد: ١٤٤ د. صلاح خالص، ط ١، بغداد ١٩٥٨.

(٢) مذكــرات الأمــير عــبد الله بــن بُلقين المسماة بكتاب التبيان: ١٠١، نشر وتحقيق: أ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر ١٩٥٥.

(٣) المعتمد بن عباد: ١٤٤ د. صلاح خالص.

والمـــنازعات وشملت معظم الأندلس [١]. وقد استمرت بهم حالة التداعي إلى أن أصبحوا عاجـــزين عن مقاومة أعدائهم، لذلك تساقطت مدنهم الواحدة تلو الأخرى بيد الإفرنج مـــثلما حصل لمدينة بربشتر سنة ٤٥٦ هـــ [٢]. واحتل الفونسو السادس مدينة طليطلة سنة ٤٧٨ هـــ [٣] وسقطت بلنسية سنة ٤٨٧ هـــ على يد السيد القمبيطور [٤].

وقد حفّت المخاطر بملوك الطوائف وهم لاهون في نعيمهم احدثتهم الخيلاء بألقابهم ((وقد خطب بعض الملوك لبني أمية وآخرون لبني العباس ومنهم من تلقب بألقاب الخلفاء العباسيين، ولذلك سخر منهم بعض الشعراء)) [٥]. وقال ابن رشيق القيرواني [٦]:

ممـــا يـــزهّدني في أرض أندلـــس أسمـــاء معتـــضد فـــيها ومعـــتمد
ألقـــابُ مملكـــة في غيرِ موضعِها كالهـــرِ يحكـــي انـــتفاخاً صـــولة الأســـد

وفي تلـــك الأثناء ادلهمّت الخطوب على العرب والمسلمين في الأندلس باستيقاظ الإفـــرنج من سباتهم حتى استعانوا بأوروبة، فضلاً عن نمو ((حركة الاسترداد الإسبانية – كما يسميها مؤرخوهم – وهي الحركة التي استهدفت استعلاء البلاد وطرد المسلمين، وإرغامهم على التنصر)) [٧].

وهـــنا تـــوجب على أُمراء الطوائف قبل غيرهم، أن يفكروا بشكل أكثر جدية في مـــقدار يـــتقدهم من هذا المأزق التاريخي، بعد أن أحدقت بهم الأخطار من كل جانب وكانـــوا كما وصفهم أحد المستشرقين ((... وهن أمرهم وأضعفهم الترف والبذخ، لا يكاد سلطان أحد منهم يتخطى حدود بلده، فكانت دويلاتهم أشبه بجمهوريات إيطالية في ثياب شرقية ...)) [٨].

(١) الذخيرة: ق ١ م ١: ٣٥ وما بعدها.
(٢) نفح الطيب: ٤ / ٤٤٩.
(٣) المصدر نفسه: ٤ / ٣٥٢.
(٤) المصدر نفسه: ٤ / ٤٥٥.
(٥) دراسات في الأدب الأندلسي: ٦٩ – ٧٠ د. سامي مكي العاني، بغداد ١٩٧٨.
(٦) ديوان ابن رشيق القيرواني: ٥٩، تح. عبد الرحمن ياغي، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٦.
(٧) تـــاريخ الفكـــر الأندلـــسي: ٢٧ آنخل جنثالث بالنثيا، ترجمة: د. حسين مؤنس، ط ١، القاهرة ١٩٥٥.
(٨) الـــشعر الأندلـــسي بحـــث في تطوره وخصائصه: ٤٤ أميليو غرسية غومسي، ترجمة: د. حسين مؤنس، ط ٢، القاهرة ١٩٥٦.

إلاّ أن يجب أن لا تنصرف الأذهان إلى أن الضعف والهوان أخذ مأخذه واستسلم جميع الأندلسيين لحالة التردي، بل كانت هنالك قوى ديدنها رأب الصدع وتوحيد الجمع، وكان هاجس الوحدة يتأجج في نفوس الأندلسيين رداً على الفرقة والتشتت اللذين شهدتهما الأندلس، وقد أشار أحد الباحثين إلى أنّ الدعوة إلى توحيد الأندلس بدأت قبل سقوط مدينة طليطلة سنة ٤٧٨ هـ [١].

وسارت جهود التوحيد في ثلاثة اتجاهات:

الأول: محاولة عدد من المسؤولين المخلصين حتى سنة ٤٢٢ هـ إبقاء الخلافة الإسلامية في الأندلس على سابق عهدها، وقد بذلوا في سبيل هذا المطمح جهوداً جبارة إلاّ أنها لم تفلح في تحقيق غايتها، فحصل في الأندلس مالا يُتمنى، حيث انهار صرح الخلافة الأموية عندما أعلن أبو الحزم بن جهور إلغاء الخلافة في قرطبة، وأسند أهل قرطبة أمرهم إلى ((شيخ الجماعة)) الوزير ابن جهور في منتصف ذي الحجة سنة ٤٢٢ هـ [٢].

الثاني: الجهود التي اعتمدت القوة العسكرية والسياسية، وكان على رأس هذا الاتجاه بنو عباد وخاصة ملكهم القوي – المعتمد بن عباد – فقد حاول بنو عباد توحيد العواصر المتعادية، والسيطرة على الفرق المتنازعة، ولكن لم تسعفهم القوة اللازمة لذلك، وكانت الظروف أقوى منهم فقد فشلوا عندما سيطر عليهم المرابطون [٣].

الثالث: الجهود التي اعتمدت الدعوة الفكرية وتزعمها العلماء والفقهاء والشعراء، وتشير بعض المصادر إلى أن المتوكل بن الأفطس أمير بطليوس طلب من القاضي أبي الوليد الباجي على أمراء الطوائف ودعوتهم للاتحاد ولم الشمل ((ولما عَظُمَ عيث الطاغية إذفونش بن فردلند، وتطاول إلى الثغور، ولم يقنع بضرائب المال، انتدب للتطواف على أولئك الرؤساء القاضي أبا الوليد الباجي، يندبهم إلى لمِّ الشعث ومدافعة

(١) ينظر: بحث د. خليل السامرائي ((الدعوة إلى توحيد الأندلس في أيام الطوائف))، مجلة رانكو: ٨٢، مج (٣)، ع (١)، ١٩٧٧.

(٢) البيان المغرب: ٣ / ١٥٠ – ١٥٢؛ وينظر: تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام: ٣٩ – ١٤٧، لسان الدين الخطيب (القسم الثاني منه)، تح: أ. ليفي بروفنسال، بيروت ١٩٥٦؛ دول الطوائف: ١٢١.

(٣) المعتمد بن عباد: ١٥ علي أدهم، سلسلة أعلام العرب، العدد (٢)، مكتبة مصر، القاهرة (د. ت).

العدو، وكلهم يصغي إلى وعظه)) [1].

بينما تشير مصادر أخرى إلى أن الباجي قام بمهمة الدعوة من تلقاء نفسه وخاصةً بعد رجوعه من رحلته إلى المشرق التي استمرت من سنة ٤٢٦ هـ - ٤٤٠ هـ [2]. وعن جهوده في التوحيد يخبرنا ابن بسام: ((... لأول قدومه رفع صوته بالاحتساب ومشى بين ملوك أهل الجزيرة بصلة ما أنبت من تلك الأسباب فقام مقام مؤمن آل فرعون[3] لو صادف أسماعاً واعية، بل نفخ في عظام ناخرة، وعكف على أطلال دائرة بيد أنه كلما وفد على ملك منهم في ظاهر أمره لقيه بالترحيب وأجزل حظه بالتأنيس والتقريب، وهو في الباطن يستجهل نزعته ويستثقل طلعته، وما كان أفطن الفقيه - رحمه الله - بأمورهم، وأعلمه بتدبيرهم لكنه كان يرجو حالاً تثوب، ومدماً يتوب)) [4].

إن رحلة الباجي الطويلة إلى المشرق في سبيل الحصول على العلم والمعرفة بوأته مكاناً مرموقاً في نفوس ملوك الطوائف خاصة الأندلسيين عامة، فعظم جاهه، وقد أشار المقري إلى هذه المكانة بقوله: ((وكان لمّا رجع إلى الأندلس فشا علمه، وتهيأت الدنيا له وعظم جاهه، وأجزلت له الصلات، فمات عن مال وافر، وترسل للملوك وولي القضاء بعدة مواضع رحمه الله تعالى)) [5].

ويرى أحد الباحثين [6] أن التدريس الذي مارسه الباجي في الحواضر الأندلسية التي زارها كان له أثر كبير في التأثير على عموم الناس وعلى ملوكهم فيما يخص تأييد دعوته.

ويرى الدكتور إحسان عباس: أن الباجي فشل في مهمته ((لأنه لم يكن يرفض

---

(١) الحلة السيراء: ٢ / ١٩٨؛ ابن الآبار، تح: د. حسين مؤنس، ط ١، القاهرة ١٩٦٣؛ وينظر: مجلة رانكو: ٨٣.

(٢) الصلة: ١ / ٢٠١ لابن بشكوال، مصر ١٩٦٦؛ ونفح الطيب: ٢ / ٧٦؛ تاريخ قضاة الأندلس المسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا: ٩٥ للشيخ أبي الحسن بن عبد الله بن حسن النباهي، بيروت ١٩٨٠.

(٣) ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (سورة غافر، الآية: ٢٨).

(٤) الذخيرة: ق ٢ م ١: ٩٥ - ٩٦.

(٥) نفح الطيب: ٢ / ٧٢.

(٦) مجلة رانكو: ٨٤.

عطايا الأمراء، ومن نشب في أعطياتهم فقد أضعف أثر دعوته من أن يبلغ قلوبهم)) [١].

إلاّ أننا نرى أن الباجي لم يفشل بدعوته بدليل أن المتوكل بن الأفطس – صاحب بطليوس – قد أيد دعوته بعد أن أحدقت الأخطار بملوك الطوائف بذلك أخذت دعوة الباجي بعد هذا الدعم السياسي تسير بخطى أكثر رسوخاً وثقةً بمستقبل نجاحها.

ومهما كانت النتائج التي توصلت إليها دعوة الباجي فإنها كانت بداية حسنة أتمها من بعده عدد من العلماء والفقهاء، منهم ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) الذي بذل محاولات عديدة من أجل توحيد الأندلس من خلال نقده اللاذع لملوك الطوائف مستهجناً مرقتهم والحال التي آلوا إليها، إلاّ أن جميع محاولاته باءت بالفشل [٢].

وكانت لابن حيان جهود مماثلة لجهود ابن حزم في إلقاء اللوم على أمراء السوء في دول الطوائف وحكامها الجشعين، ويورد لنا ابن عذاري المراكشي لوم ابن حيان لعامة الشعب وركوبهم إلى هؤلاء الأمراء الضعاف فكانت هذه النتيجة ((الاغترار بالأمل والاستناد إلى أمراء الفرقة الهمل، الذين هم منهم ما بين مَثِيل ووكِل، يصدونهم عن سواء السبيل ويلبسون عليهم واضح الدليل)) [٣].

ووظف الشعراء الأندلسيون آنذاك شعرهم لخدمة التوحيد في الأندلس، وبرز منهم في هذا الميدان أبو محمد عبد الله بن العسال الطليطلي (ت ٤٨٧ هـ)، وقال أشعاراً حثّ فيها الناس على التوحد، كما قال أشعاراً في الجهاد في سبيل الله بعد نكبة بربشتر [٤]، وكانت لأبي إسحاق إبراهيم بن مسعود الألبيري (ت ٤٦٠ هـ) أشعاراً مماثلة في هذا الميدان [٥].

كما كان للكتاب دور في الدعوة إلى توحيد الأندلس أيضاً، ويمثل هذا الدور أبو عمر يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) وابنه أبو محمد بن عبد البر (ت ٤٥٨ هـ)،

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين: ٣٨ د. إحسان عباس، ط ٦، بيروت ١٩٨١.

(٢) التاريخ الأندلسي: ٤٣٥ د. عبد الرحمن علي الحجي.

(٣) البيان المغرب: ٣ / ٢٥٤.

(٤) الروض المعطار في خبر الأقطار: ٩٠ تأليف محمد بن عبد المنعم الحميري، تح: د إحسان عباس، ط دار العلم، بيروت ١٩٧٥.

(٥) التاريخ الأندلسي: ٣٤٦ د. عبد الرحمن الحجي.

وقـــد جاء في رسالة الكاتب أبي محمد عبد الله بن عبد البر: ((ورد كتابك يحض على ما أمـــر الله به من الألفة واتفاق الكلمة، وإطفاء نار الفتنة، وجمع شمل الأمة في هذه الجزيرة المنقطعة عن الجماعة ...)) [١].

وكان للعلماء دور مشهود في الدعوة إلى توحيد الأندلس بعد نكبة بربشتر ومنهم المحـــدِّث أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني الإشبيلي (ت ٤٦٠ هـــ)، وقد كتب الهوزني رسالة إلى المعتضد من مرسية بعد نكبة بربشتر، يحثه فيها على الجهاد واستفتحها بقصيدة مطلعها [٢]:

أعبّادُ جلّ الرزءُ والقومُ هُجّعُ   على حالـــةٍ منْ مثْلِهَا يَتَوقّعُ

وأشـــارت المصادر الأندلسية إلى مشاركة إدريس بن يحيى بن يوسف الواعظ [٣] من أهل إشبيلية، والقاضي محمد بن سليمان الأنصاري (ت ٥٠٠ هـــ) [٤] في الدعوة إلى توحيد الأندلس.

إلاّ أنّ هذه الجهود لم تثمر شيئاً بسبب مما شهده عهد الطوائف من تداع وانهيار، لـــذلك فكّر المرابطون بخلع ملوك الطوائف حرصاً منهم على وحدة المسلمين من ناحية للوقـــوف في مجابهة مع الإسبان الذين كثرت تحديــــاتهم وتدخلاتهـــم في أوضاع ملوك الطوائف من ناحية أخرى، وكانت هناك مخاوف عند المعتضد بن عباد من قوة المرابطين بسبب نجمهم الصاعد وقوتهم المتزايدة في أفريقية كما يشير بالنثيا [٥].

إلاّ أن المعتمد بن عباد من بعده، استنجد بالمرابطين بعد تردد طويل، وقد نصحه ولـــده الرشـــيد بالعدول عن ذلك وخوّفه من المرابطين فأجابه قائلاً: ((أي بني، والله لا يسمع عني أبداً أني أعدت الأندلس دار كفر، ولا تركتها للنصارى فتقوم عليّ اللعنة على منابـــر الإســـلام مـــثلما قامت على غيري - حرز الجمال - والله عندي خير من رعي الخنازير)) [٦].

---

(١) الذخيرة: ق ٣ م ١: ١٧٣.
(٢) المصدر نفسه: ق ٢ م ١: ٨٣.
(٣) التكملة: ١ / ١٩٥.
(٤) تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا): ١٠٠.
(٥) تاريخ الفكر الأندلسي: ١٠٠.
(٦) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

- ومن الواضح إنّ إصرار المعتمد بن عباد على الانحياز كلياً إلى المرابطين، يوضّح مسألة في غاية الأهمية، متمثلة برابطة العقيدة الإسلامية، هذه الرابطة التي تمثل العهد المتين الذي يجمع بين البربر – المرابطين – وعرب الأندلس.

ويرجّح الدكتور حسن أحمد محمود ((أنّ المرابطين أرادوا العبور وعزموا عليه قبل أن يستنجد بهم ملوك الطوائف، وذلك لأن دولتهم قائمة على الجهاد)) [١]، ولعل ما يبرر عبورهم الضعف السياسي لملوك الطوائف وعجزهم عن صد هجمات الإسبان فقد تمَّ عبور المرابطين، و((لأول مرة سنة ٤٧٩ هـ، وذلك بدعوة من ملوك الطوائف، الذين اتفقوا على طلب النجدة والعون العسكري من الملثمين، لدفع خطر النصارى وصد تقدمهم السريع ولا سيما بعد سقوط طليطلة سنة ٤٧٨ هـ)) [٢].

والتحم العرب المسلمون (المرابطون وملوك الطوائف) مع النصارى في موقعة الزلاقة الشهيرة سنة ٤٧٩ هـ وحققوا فيها نصراً مؤزراً على أعدائهم وتغيرت على أثرها موازين القوى في الأندلس بشكل مؤقت، وزالت فكرة القضاء على سلطان المسلمين من أذهان المسيحيين، واستعاد المسلمون ثقتهم بأنفسهم وازداد تطلعهم نحو المرابطين بوصفهم منقذين للأندلس، وعظمت مكانة المرابطين في نفوس الأندلسيين، كما أن مشاركة المرابطين مع ملوك الطوائف في هذه المعركة أفادتهم بالاطلاع على الأوضاع الداخلية التي تعيشها هذه الدويلات في الأندلس وأدركوا ضعفها، فضلاً عن البون الشاسع بين الأمراء ورعاياهم [٣].

وعبر المرابطون ثانية إلى الأندلس سنة ٤٨١ هـ تلبيةً لطلب المعتمد بن عباد لفك حصار حصن لييط [٤]، وإذا كان العبوران الأول والثاني جاءا لنصرة المعتمد بن عباد، فإن العبور الثالث الذي قام به أمير المرابطين يوسف بن تاشفين لم يكن بدعوة من أحد، فأعد عدته وعبر الى الأندلس بذريعة محاسبة الأمير عبد الله بن بُلقين (٤٦٩ – ٤٨٣ هـ) الملك الثالث والأخير لمملكة غرناطة على تعاقده مع ألفونسو السادس بعد

---

(١) قيام دولة المرابطين: ٢٦٣ د. حسن أحمد محمود، نقلاً عن: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس: ١٣ د. محمد مجيد السعيد، بغداد ١٩٧٩.

(٢) الشعر في عهد المرابطين والموحدين: ١٣ د. محمد مجيد السعيد.

(٣) المعتمد بن عباد: ١٦٠ د. صلاح خالص.

(٤) المصدر نفسه: ١٦١ – ١٦٧.

انصراف المرابطين من حملة لييط [١]، وقد حاول عبد الله بن بلّقين عبثاً إقناع المعتمد بن عبـــاد ويوسف بن تاشفين بعلة تصرفه لأنه لم يكن في مقدوره مقاومة ألفونسو السادس، فدفـــع له أتاوة السنوات الثلاث الماضية وعقد معه صلحاً [٢]، إلاّ أن هذه التسويفات لم تـــثن عزم الأمير المرابطي فعبر إلى الأندلس ودخل غرناطة عاصمة الأمير عبد الله بلقين، والتقـــى الأمـــير المرابطي بأمير غرناطة ووصف عبد الله بن بلقين اللقاء بالمرارة بقوله: ((فخرجنا إلى الرجل، كأنّما نساق إلى الموت، لا ندري ما نلقى كالخاطر بنفسه متوكلين على القدر)) [٣]، فاستلم الأمير الغرناطي دون قتال ونجا بنفسه وبأهله، ونفي بعدها إلى المغرب سنة ٤٨٣ هـــ، وبذلك تكون غرناطة أول دولة سقطت من دول الطوائف على يـــد المـــرابطين، وكان سقوطها إنذاراً بالخطر لبقية دول الطوائف التي اهتزت عروشها لجسامة الصدمة التي منيت بها دولة غرناطة.

وحدثّـــنا المقري عن خلع أمير المرابطين لملوك الطوائف بأنه ابتدأ ببني هود وثنى بـــبني طاهر بشرق الأندلـــس، ومن ثم ببني صمادح بالمرية، ثم ببني الأفطس وانتهى ببني عبـــاد في إشبيلية [٤].

ومـــن المـــؤرخين مـــن يـــرى أنّ ابن تاشفين لم يُصدر أوامره بخلع جميع ملوك الطوائف، فأشار ابن الكردبوس في حديثه عن خلع المعتمد بن عباد بقوله: ((.. وقيل إن أمير المؤمنين لم يأمر بخلع المعتمد – إذ كان أقسم له أن لا يغدره ولا يخلعه – إلاّ بعد أن اجـــتمع مـــع فقهاء إشبيلية وقضاتها وأعيانها وسراتها وقالوا له هؤلاء الرؤساء لا تحل طاعـــتهم ولا تجوز إمارتهم لأنهم فساق فَجَرة فاخلعهم عنّا، فقال لهم: وكيف يجوز لي ذلك ؟ وقد عاهدتهم وارتبطت معهم على ابقائهم، فقالوا له: إن كانوا عاهدوك فهاهم قد ناقضوك وأرسلوا إلى الفنش أن يكونوا معه عليك حتى يوقعوك بين يديه ويعود أمرهم إليه فبادر بخلعهم بجمعهم ونحن بين يدي الله المحاسبون ...)) [٥].

(١) المصدر نفسه: ١٦٠.
(٢) مذكرات الأمير عبد الله: ١٢٣ – ١٢٨؛ ويظر: المعتمد بن عباد: ١٦٧ د. صلاح خالص.
(٣) المصدر نفسه: ١٥٤.
(٤) نفح الطيب: ٦ / ١١٤.
(٥) تـــاريخ الأنـــدلس ووصـــفه لابـــن الشباط: ١٠٦ – ١٠٧، تـــح: د. أحمـــد مختار العبادي، مدريـــد ١٩٧١؛ ويظـــر: الشعـــر الأندلـــسي في عصر الطوائف المرابطين: ٣٤ د. حازم عبد الله

ويشير مؤرخ آخر أن الأمير المستعين بالله بن هود، لم يشمله غضب أمير المسلمين المرابطي وبقي على علاقته الحسنة به ولم يخلعه، وهذا الأمير ((كان يهادي أمير المسلمين فرعاه لذلك حتى إنه أوصى ابنه علي بن يوسف عند موته بترك التعرض إلى بلاد بني هود..)) (١).

ويشير محمد عبد الله عنان (٢) إلى أن علي بن يوسف بن تاشفين عندما أقدم على خلع عبد الملك بن أحمد عماد الدولة أمير سرقسطة، كتب إليه أمير سرقسطة ملتمساً منه، ومذكراً له كان بين والديهما من أواصر المودة راجياً منه أن يترك سرقسطة لتحول بين المرابطين والفونسو، وقد تم له ما أراد وبقيت دولة بني هود دون أن يخلع أمراؤها.

يتضح أن المرابطين سيطروا على معظم الأندلس، واستمر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في حكم الدولة المرابطية - بضمنها الأندلس - حتى وفاته سنة (٥٠٠ هـ) وخلفه ابنه علي، الذي سار على سياسة والده في الذود عن دولته ضد الأعداء إلى أن توفي سنة (٥٣٧ هـ).

وقد سار الأمراء المرابطون بعد يوسف بن تاشفين وولده على سياسة رفع راية الجهاد إلى أن انتهى حكمهم سنة ٥٤٢ هـ عند مقتل إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين على يد الموحدين.

وانتقلت الأندلس إلى عهد جديد في ظل راية عبد المؤمن بن علي زعيم الموحدين سنة ٥٤٢ هـ ولم يختلف الأمر عليها كثيراً بالنسبة للعهد السابق (العهد المرابطي) لأن كلا الدولتين تقومان على عناصر من غير الأندلسيين (أفريقية - بربرية) وتعتمدان على قاعدة دينية متقاربة في حكم البلاد (٣).

وكانت هناك حروب بين الموحدين والإسبان، إلا أنها لم تستغرق وقتاً طويلاً،

حضر، بغداد ١٩٨١.

(١) تاريخ ابن الوردي (تتمة المختصر من أخبار البشر): ٢/٧ عمر بن مظفر الوردي، النجف ١٩٦٩؛ وينظر: الشعر الأندلسي: ٣٤ - ٣٥.

(٢) دول الطوائف: ٢٨١.

(٣) دول الطوائف - عصر المرابطين والموحدين: ٢ / ٩٣؛ وينظر: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس: ٤٦ د. محمد مجيد السعيد.

فكانت هناك فترات كثيرة استتب بها الأمن وعمَّ الرخاء، ولا سيما في عهد أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ) [1].

كما يشير إليه ابن أبي زرع أنه ((ملك من مدينة تطيلة قاصية بلاد شرق الأندلس إلى مدينة شنترين من بلاد غرب الأندلس يُجبى إليه خراج ذلك كله دون مكس ولا جور، فكثرت الأموال في أيامه وشهدت البلاد وتأمنت الطرقات وضبطت الثغور، وصلح أمر الناس في البادية والحاضرة، وذلك لحسن سيرته الجميلة وعدله الشامل لرعيته وتفقده لأحوال بلاده القريبة والبعيدة ومباشرته أمور مملكته بنفسه حتى لا يغيب عنه شيء ولا يدخله فتور عن النظر في أموره ولا يكلها إلى غيره)) [2].

إلاّ أن عوامل الضعف والاهتزاز بدأت تدب في دولة الموحدين في نهاية القرن السادس الهجري ومطلع القرن السابع لأسباب عديدة منها اقتصادية واجتماعية وسياسية لا يتسع المجال لذكرها. وهكذا كان من نتائج عوامل الضعف هذه زوال حكم الموحدين من الأندلس سنة (٦٤٦ هـ) على عهد السعيد بن المأمون (٦٤١ - ٦٤٦ هـ) وفي عهد أميرهم أبي دبوس (٦٦٥ - ٦٦٨ هـ) تمكن المرينيون من إسقاط حكم الموحدين في المغرب سنة (٦٦٨ هـ).

ثانيا – الإطار الاجتماعي:

إنّ اطلاق تسمية ((الأندلسيين)) على المجتمع الأندلسي هي التسمية الصحيحة، لأنه يصعب علينا التمييز الدقيق بين تلك الأجناس الكثيرة لكونه مجتمعاً معقداً في التركيبة الاجتماعية، وقد ((تواترت على تعقيده جملة أمور تعزى إلى كثرة أجناسه وتعدد أصنافه، فقد ضم السكان الأصليين بأصولهم المختلفة، الذين سموا بعد الفتح بـ ((المعاهدة)) أو ((المعاهدون)) من اليهود والنصارى، ومن اعتنق الإسلام منهم سمي بـ ((الأسالمة)) أو ((المسالمة)) وابناؤهم ((المولدون))، ضمَّ المجتمع الأندلسي كذلك ((الصقالبة)) الذين يؤتى بهم من مختلف البلاد الإفرنجية أطفالاً وذكوراً وإناثاً، ويربون برعاية الدولة، وأما ((الفاتحون)) فمن عرب يمنية وأخرى قيسية، وبربر في شمال أفريقية)) [3].

---

(١) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس: ٤٦ د. محمد مجيد السعيد.

(٢) الأنيس المطرب: ٢ / ١٧٤؛ ابن أبي زرع، ط ١، الرباط، نقلاً عن: الشعر في عهد المرابطين والموحدين: ٤٦.

(٣) التاريخ الأندلسي: ١٣ الحجي؛ وينظر: بحث د. منجد مصطفى بهجت ((ملامح من النقد =

ويـرى أحد الباحثين أن التكوين المعقد للمجتمع الأندلسي ليصعنا أما مشكلات مهمة صعبة الحل، فقد جاء العرب ومن معهم إلى بلاد الأندلس واستوطنوها، وعلى الرغم من قلتهم فإنهم لم يفقدوا مميزاتهم الخاصة بهم لذلك نراهم يشيدون حضارة تعد جزءاً لا يتجزأ من الحضارة الإسلامية فأصبحت قرطبة خلال قرون طويلة، المركز الثاني للحضارة الإسلامية بعد بغداد [1].

إنّ هــذه التــركيبة المعقــدة للمجـتمع الأندلسي أورثت ما يعرف بالانحلال الاجتماعي، الذي اختلف الباحثون في أسبابه، فمنهم من يقول فيه: ((وكان هذا التفكك الاجتماعـي العنــصري نتيجة طبيعية للانحلال السياسي الذي أصيبت به الأندلس بعد سقوط الخلافة، فانحاز الصقالبة إلى شرق الأندلس وبقي الأندلسيون ((الزعماء العرب)) مسيطرين على جزء كبير من غرب الأندلس، أما البربر فتجمعوا في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة)) [2].

أما الرأي الثاني فهو بخلاف الأول حيث يقول: ((لم يكن الانحلال السياسي لدولة قـسرطبة ظاهرة من ظواهر الانحلال الاجتماعي أو الفكري، فقد صاحبه على العكس من ذلــك ازدهار فكري، بل وتطور اجتماعي نضج إثره المجتمع الأندلسي واكتسب صفاته المميزة وشخصيته الخاصة ...)) [3].

إنّ الدكــتور محمــد عبد الوهاب خلاّف يحاول أن يدعم رأيه من خلال دراسته للعناصــر المكــونة للمجتمع الأندلسي ودورها في الحياة الاجتماعية من خلال اختلاف التركيبة الاجتماعية محاولاً جعلها سبباً من أسباب الانحلال الاجتماعي، وإنا لا نتفق معه لأن الاختلاف في التركيبة الاجتماعية لا يمكن ترجيحه سبباً في الانحلال الاجتماعي، ولا سيّما وقد مضت على الفتح العربي الإسلامي للأندلس قرون طويلة، كان لها أبرز الأثر في انصهار الأندلسيين في بودقة واحدة.

السياسي والاجتماعي في الشعر الأندلسي على عهد الطوائف: ٢٤٨))، مجلة آداب الرافدين، ع (١٢)، سنة ١٩٨٠.

(١) إشبيلية في القرن الخامس: ٣٤ د. صلاح خالص.

(٢) قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي: ٢٣٤.

(٣) إشبيلية في القرن الخامس: ٢٥.

أمـــا رأي صـــلاح خالص فإننا نرجحه لأن آثار التقدم الحضاري والعمراني الذي وصـــلت إلـــيه الأندلس في ذلك العصر، لا تزال شاخصة إلى يومنا هذا وهي تشير إلى العبقرية العربية في تلك الحقبة.

إنّ النزاعـــات الـــسياسية التي مرت بها الأندلس - والتي وقفنا عندها عند عرضنا للإطـــار السياسي - أبان عهد الطوائف وما ترتب عليها من انقسامات سياسية، تركت آثارهـــا الـــسلبية على الحياة الاجتماعية في الأندلس، وقد أشار أحد الباحثين إلى حالة التمزق النفسي التي عاشها الشعب الأندلسي المتمثل في اليأس نتيجة النكبات التي تعرض لها الأندلس في هذا العصر، فضلاً عن مميزات هذا العصر الاجتماعية، المتمثلة في التحلل الخلقـــي والمجون وضعف التمسك بمبادئ الدين الإسلامي [1]. وكانت هناك دواع وراء حالة التداعي هذه بسبب انهيار النفس الأندلسية وعدم ثقتها بملوك الطوائف والذين ستهم بعـــض الـــروايات أمراء ((الفرقة الهمل)) [2]، هذا من ناحية، وبسبب حقد العامة على البربـــر، الـــذين لعبوا دوراً كبيراً في بداية الفتنة حتى أصبح من كان بينه وبين أحد الناس عداء أتهمه بأنه بربري فيقتل على الفور [3].

وهذه الظروف أوجدت حالة من الاستياء من ملوك الطوائف عبّر عنها شعراؤهم، ويستدل من نقد الشعراء للحالة السياسية التي عاشتها الأندلس في ظل ملوك الطوائف، أن هؤلاء الملوك كانوا وراء حالة التردي هذه، وأن المتتبع للأوضاع الاجتماعية في الأندلس مـــن خـــلال مـــا أوردته المصادر الأندلسية عن الطوائف والمرابطين يدرج ضمن هذا المفهـــوم العـــام ((... إنّ الأوضاع الاجتماعية التي تعيشها الأمة فتشمل النظم الإدارية والنواحـــي الاقتصادية، والمستوى الثقافي والحضاري الذي بلغته الأمة والأحداث الكبرى الـــتي تصيبها فتمس مواطن الإحساس عند كل فرد، فيفرح لها أو يعيش من أجلها كنمو الثـــروة، وزيـــادة الـــدخل، وكالجدب والقحط والغلاء، وكل ما ينظم الأمة من تقاليد

(١) علاقـــات المـــرابطين بالممالك الإسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية: ١٠٠، د. خليل إبراهيم الـــسامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات (٣٧٧)، دائرة الشؤون الثقافية للنشر، بغداد ١٩٨٥.

(٢) نفح الطيب: ٤ / ٤٥٣؛ والحلل السندسية: ٢ / ١٩٢؛ شكيب أرسلان، علاقات المرابطين: ٢٧.

(٣) البيان المغرب: ٣ / ٩٧؛ علاقات المرابطين: ٢٧.

وعادات وطبائع، وكيف يعيش الإنسان في مجتمع دون أن يتأثر بأوضاعه وتقاليده ؟)) [١].

وهكذا كانت حياة الإنسان الأندلسي تتأثر بكل مظاهر الحياة الجديدة التي امتازت بالقلق والاضطراب والتنقل بين القوة والضعف والرخاء والضيق والعزة والهوان [٢]، وقد أشـار أحـد الباحـثين إلى ظاهرة الجلاء التي كان من نتائجها إصابة المجتمع الأندلسي بتموجات متحركة كانت أحياناً تخل من موازنته، وتتحرك فيه آثار نفسية عميقة [٣].

وممـا ابتلـي فيه الناس في هذا العصر، هو ضعف سلاطينهم الذين حرصوا على ابتـياع مناصبهم بمختلف الوسائل فبذلوا الأموال الطائلة وفرضوا الضرائب الباهظة على أبناء البلاد، لكي يقدموا هذه الأموال لقمة سائغة إلى أعدائهم بغية الإبقاء على عروشهم.

وقد احتوت ذخيرة ابن بسام على وثائق مهمة من الأخبار التي توضح لنا الكيفية التي كان يتم بها جمع الضرائب، ومن هذه الوثائق الرسالة الطويلة التي بعث بها المعتمد بن عـباد إلى قواد البلاد يستحثهم على مزيد من البذل والعطاء، وقد كتبت بقلم كاتبه أبي بكـر بن القصيرة ومنها قوله: ((الحال مع العدو - قصمه الله - بينة لا تحتاج إلى جلاء ولا كشف، معروفة لا تفتقر إلى نعت ولا وصف، ومن لا يمكن مقاواته ومحاشته، فليس إلاّ مداراتـه وملاينته وكان - فلّ الله حده وفض جنده - قد اعتقد الخروج في هذا العام إلى بلادنا ـــ عصمها الله - بأكثف من جموعه في العام الفارط وأحفل، وأبلغ في استعداده وأكمل، إلاّ أن الله تعالى يَسَّرَ من انابته إلى السِّلْم ما يسّر، ونظر لنا من حيث لا نستطيع أن ننظـر، ووقع الاتفاقُ معه على جملة من المال تُقدّم إليه، ويستكفُّ بها الشرُّ المرهوبَ لديـه، فكم حالٍ كانت بخروجه تتّلف، وبعمة بأيدي طاغية تنتسف، والرعية - حاطها الله - وفي هـذا العام على ما يقتضيه ما عمّ البلاد من الفساد، وشملها من جائحة القحط والجراد ...)) [٤].

بهـذه التـسويغات الواهية يحاول الأمراء أن يقنعوا شعوبهم بدفع هذه الضرائب الكـبيرة، وقـد يـبدو من ظاهر كلامهم حرصهم على مصلحة المسلمين من العسف

---

(١) قضايا أدبية، حسين مروة: ٢٠، دار الهنا للطباعة والنشر، بيروت، نقلاً عن: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر - عصر ملوك الطوائف: ١٦، د. سعد إسماعيل شلبي، ط ١، مصر ١٩٧٨.

(٢) النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين: ٣٥.

(٣) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين: ٣٢ د. إحسان عباس.

(٤) الذخيرة، ابن بسام: ق ٢ م ١: ٢٥٢ - ٢٥٣.

والحــروب، إلاّ أن حقـــيقة دفعهم الأتاوات ما هي إلاّ نتيجة خوفهم على عروشهم من السقوط.

ونتــيجة لابتـــزاز الملـــوك لأموال الشعب، فقد ظهر التباين الكبير في المستوى المعاشـــي بـــين الأندلسيين بشكل واضح، وقد عانى عامة الأندلسيين وهم الأكثرية، من عيشة الفقر المدقع والفاقة على الرغم من الخيرات الكثيرة التي امتازت بها الأندلس، وقد فصّل المقري القول فيها [1]، وتكلم على احتقار الأندلسيين لمن يتعاطى الكدية ولا يعمل بـــيديه، وعلى الرغم من ذلك كله فقد عاش الأغنياء وهم الأقلية وبضمنهم الأمراء حياة مترفـــة، وبـــذلك كانت الهوة سحيقة بين طبقات المجتمع الأندلسي، فازداد ضجر العامة الأندلـــسيين من الفوارق الطبقية التي آلَمَتْهُمْ، لذلك كثرت آهاتهم، واستطاع الزجالي أن يسجل لنا هذه الآهات في كتابه [2].

وقـــد جـــاءت هذه الآهات محفوظة ضمن الأدب الشعبي الأندلسي بشكل أمثال شـــعبية، لكـــل مثل دلالته ويعبر عن قضية معينة وأحد هذه الأمثال يقول: ((إذا سمعت الأمير يغني، ادر أن هومي تبكي)) [3].

وقد ظهر هذا النوع من الأدب ليصور حياة العامة الأندلسيين تصويراً واقعياً، لأن هذا الأدب صادر من جماهير الشعب، ويلبي حاجتها.

لقد عزا أحـــد الباحثين أسباب الضيق المعاشي والفقـــر والفاقة التي عانـــى منها عامـــة الأندلسيين إلى كثرة الضرائب بقوله: ((... إنّ الضرائب التي فرضها الأمراء على الـــناس باهظـــة ثقيلة لحاجتهم إليها في سد ثغرات فتحوها على أنفسهم، وأكبر الثغرات ثلاث: الضريبة السنوية التي يتقاضاها الأذفونش، ومقدارها خاضع للمساومة متأثر بحال الرضـــى والغـــضب، ولكنها على أي حال ضريبة ثقيلة تحصل من الرعية توّاً في أغلب الأحيان، ففي بعض السنوات فرض على عبد الله بن بُلُقين مبلغ عشرة آلاف مثقال، كما فرض على حميد ابن ذي النون مائة وخمسين ألف مثقال طيبة، وخمسمائة مدي طعام له

(١) نفح الطيب: ١ / ٢٢٠.

(٢) أمثال العوام في الأندلس لأبي يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي (٦١٧ - ٦٩٤ هـ)

(٣) أمـــثال العـــوام في الأنـــدلس: ١١ لأبي يحيـــى عبـــيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي (٦١٧ - ٦٩٤ هـــ)، تحقيق وشرح ومقارنة: د. محمد بن شريفة، القسم الثاني، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأهلي بالمغرب.

وجنوده كل ليلة يقيمها ....)) (١). ((ثم الضريبة المفروضة لدفع مرتبات الجند، وترتفع كلمـــا كانت الحروب والفتن دائرة بين الأمراء أنفسهم، وهي في الأحوال العادية (جزية) علـــى الـــرؤوس تـــسمى القطيع وتؤدى مشاهرة، وضريبة على الأموال من الغنم والبقر والـــدواب والـــنحل ... من هذه الضريبة ومن غيرها من طرق الجباية يوفر الأمراء ما يسدون به الثغرة الثالثة أعني إنفاقهم على بناء القصور والدور واقتناء فاخر الأثاث ورفيع الرياش وسائر صنوف الترف)) (٢).

ولقد عرف هذا العهد بانتشار المغامرين أمثال ابن عمار والذين صوّرهم الدكتور صـــلاح خـــالص بقـــوله: ((لقد كان هؤلاء المغامرون منتشرين آنذاك في كل جوانب الأنـــدلس، ولا سيما في بلاطات الملوك وقصور الأمراء يتلمظون بانتظار فرصة سانحة وصفقة رابحة ولقمة سائغة..)) (٣).

وكان لبعض الفقهاء والقضاة دور بَيِّنٌ في المغامرة، وكانوا خير عون لهؤلاء الملوك، حيث كان الفقهاء يهادون الأمراء ويبررون أخطاءهم حرصاً منهم على مواقعهم السياسية المـــتازة وعلـــى عيشهم الرغيد في كنف الأمراء، فهو بذلك حملهم مسؤولية التضييع وإشـــراكهم في ذلك مع الأمراء (٤). ويرى ابن حيان فيما ينقله ابن عذاري أنه: ((.. لم تزل آفة الناس منذ خلقوا في صنفين منهم هم كالملح فيهم الأمراء والفقهاء قلّما (*) تتنافر أشـــكالهم بصلاحهم يصلحون وبفسادهم يردون (**) فقد خصّ الله سبحانه هذا القرن الـــذي نحن فيه من اعوجاج هذين الصنفين لدينا بما لا كفاء له ولا مخلص منه فالأمراء القاســـطون قد نكبوا بهم عن نهج الطريق ذياداً عن الجماعة وحرياً إلى الفرقة، والفقهاء أئمتهم صموت عنهم صدف عما أكده الله عليهم من التبيين لهم قد أصبحوا بين آكل من حلوائهم وخابط في أهوائهم وبين مستشعر مخافتهم آخذ بالتقيّة في صدقهم)) (٥).

(١) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين: ٣٩.
(٢) المصدر نفسه: ٣٩ – ٤٢ وما بعدها.
(٣) محمد بن عمار الأندلسي: ٨١ د. صلاح خالص، ط الهدى، بغداد ١٩٥٧.
(٤) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين: ٣٧.
(*) في الأصل " فلما " وهو تصحيف والصواب ما أثبتناه.
(**) في الأصل " يردون " وهو تحريف والصواب ما أثبتناه.
(٥) البيان المغرب: ٣ / ٢٥٤.

إلاّ أن هذه السمة السلبية لم تكن ملازمة لفقهاء الأندلس كافة، بل كان هناك دور إيجابي تمثل بجهود التوحيد، وقد تقدم ذكر أصحابها.

وأشـــار عدد من الباحثين إلى أن الأندلس بعد أن ودعت عهد الطوائف ورضخت تحـــت سيادة المرابطين تمتعت بهدوء سياسي واستقرار اجتماعي، فتحررت في ظل هذا العهد من الضرائب التي فرضها ملوك الطوائف لإرضاء جشع الإنسان من جانب، وللبذخ على قصورهم المترفة التي شهدت من الإسراف ما لم ينزل به من سلطان [١].

وقـــد أســـهب الدكتور حازم عبد الله خضر الحياة الاجتماعية في الأندلس بقوله: ((... إننا مهما قرأنا من الأخبار بشأن ... تصوير الجوانب السلبية في المجتمع الأندلسي في ظـــلّ الطوائف والمرابطين، فإن ذلك لا ينبغي أن يصرفنا عن تلمس المواطن المشرقة والنواحي الايجابية فيه، فهي على قلتها بالمقياس إلى النواحي السلبية، لا يمكن أن تنكر، إذ لا يتـــصور خلـــو المجتمع من كافة القيم السامية والمثل الإسلامية العليا ولو كان الأمر كذلك لما وجدنا مجتمعاً أندلسياً قائماً يستجيب لداعي الجهاد وتستثار فيه مكامن الحمية والغيرة وتتيقظ فيه روح العزة والكرامة ...)) [٢].

أمـــا في عصر الموحدين فلم يختلف الوضع بالنسبة للأندلسيين – وكما قدّمنا في الجانـــب السياسي – فإن نظام الموحدين الجديد مقارب جداً لنظام المرابطين من ناحية اعتماده على الدين الإسلامي قاعدة لتسيير الحكم، فضلاً عن كون المرابطين والموحدين كلـــيهما مـــن البربـــر الذين عمرتْ قلوبهم بالإسلام لذلك نعمت الأندلس على عهد الموحدين بالأمن والرخاء [٣].

لـــذلك لم تشهد الأندلس حتى نهاية القرن السادس الهجري مشكلات اجتماعية، لأنه لم يصادف الأندلسيين تعقيدات في حياتهم، إلاّ أن هذه الحال لم تمتد بهم طويلاً، فقد تعرضت الأندلس للضعف والانهيار فاضطربت شؤون البلاد، وعمّت الفوضى ولا سيما في عهـــد المستنـــصر بن الناصر (٦١٠ – ٦٢٠ هـــ) واستمرت الأزمات الاقتصادية

---

(١) تـــاريخ التـــمدن الإســـلامي: ٥ / ١٥٩ – ١٦١ جرجي زيدان، راجعه وعلّق عليه: د. حسين مـــؤنس، القاهـــرة ١٩٥٥؛ البيئة الأندلسية: ٥٤ – ٥٥ د. سعد إسماعيل شلبي؛ وينظر: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس: ٤٣١.

(٢) النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين: ٣٩.

(٣) الأنيس المطرب: ٢ / ١٧٣ نقلاً عن الشعر في عهد المرابطين والموحدين: ٤٧.

الخانقة تضايق الأندلسيين حتى زال حكم الموحدين عن الأندلس [١].

ثالثاً – الإطار الثقافي:

إنّ الأمـــة الأندلسية هي امتداد طبيعي للأمة العربية في المشرق الإسلامي، وعلى الـــرغم مـــن القطـــيعة السياسية التي كانت سائدة بين حكام الأندلس الأمويين والخلافة العباسية في بغداد، إلاّ أن هذا لم يمنع من وجود علائق ثقافية بين الأندلس والمشرق [٢]. كما ((... إن العرب لم يدخلوا بلداً إلاّ وفرضوا لغتهم عليه دون عمد، وذلك بفضل ما كانـــوا يحملـــون في صـــدورهم من آي الذكر الحكيم، وعيون الشعر العربي، وعنايتهم بتعليمها أبناء الأمم الحديدة التي دخلت الإسلام، فعلوا ذلك في المشرق، وفعلوه في بلاد الأنـــدلس وبين البربر وبين تلك الجماعات التي عاشت في صقلية قبل الفتح النورماندي، يـــستوي في ذلـــك من دخل منهم في الإسلام، ومن ظلّ على دينه الأول)) [٣]. و((إن العنـــصر الـــشري الذي كوّن الأدب في المشرق، كان هو نفسه الذي كوّنه في المغرب والأندلس، ونحن نعلم أن الجيوش العربية التي فتحت المغرب والأندلس قد استقرت فيها ... وكان في طليعة الوافدين من قبائل عدنان وربيعة وغطفان وتميم وكنانة وقيس وتغلب وكانت أغلبية العرب الوافدين عدنانيين)) [٤].

وكـــان للـــديـــن الإسلامي دور رئيـــس في تنظيم حياة هذه الموجات البشرية العربية، التي تسربلت بسربـــال الإسلام وبهديه تحضرت وترك فيها أثراً في ميادين الحياة الأندلـــسية بعامة وعلى الحيـــاة الأدبية والشعرية منها بخاصـــة، وقد أفصحت دراســـة استاذنا الدكتور منجد مصطفى بهجت عن المدى العميق لتأثير الإسلام في الشعر، وذلك مـــن خـــلال الروافد المتنوعة والجداول المتعددة التي صبت في قرائح الشعراء، وهي في

(١) دول الطوائف – عصر المرابطين والموحدين: ٢ / ١٢٦.

(٢) فـــصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة: ٤٤، د. حكمت الأوسي، ط ٢، بغداد ١٩٧٤.

(٣) رايـــات المبرزين وغايات المميزين لابن سعيد المغربي مقدمة المحقق: الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي: ٨، القاهرة ١٩٧٣.

(٤) شخـــصيات أدبـــية من المشرق والمغرب: ١٤٦، أبو القاسم محمد كرّو وعبد الله شريط، ط ٢، بيروت ١٩٦٦.

محصلـــــا أثـــرٌ للحضارة الإسلامية التي اقترنت بفتح المسلمين للأندلس [١]. كما قامت دراسة الدكتور حازم عبد الله خضر بدور مماثل لأثر الإسلام في النثر الأندلسي [٢].

وإن الـــروافد الفكرية للأدبين المشرقي والمغربي كانت موحدة المنابع الثقافية وقد تعرضـــت وحـــدة المنابع لسوء الفهم من قبل بعض الباحثين فأخذوا ينظرون إلى مسألة ابداع الأندلسيين نظرة يعلوها عبث وقتام، مما جرّهم إلى عقد موازنات غير منصفة بين فن المشارقة وفن الأندلسيين فلم يتح للمتأخرين من الباحثين التعرف على جوهر القضية بل إلى ظلالها وكذلك لم يتم لهم التعرف على جوانب الإبداع التي اتسم بها أدب الأندلس لأنه يُدّرس لا على أساس أنه أدب أصيل، بل إنه أدب مستمد من الأدب المشرقي، وقد ردّ عنه هذه التهمة أحد الباحثين [٣]، ومما شدَّ أزره أن وحدة المنابع الثقافية هي مدعاة فخر واعتزاز في أن تتوثّق هذه العرى وتقوى وشائج الأمة العربية من أدناها إلى أقصاها، لا أن يؤخذ عليه مأخذ التبعية الفكرية.

وقـــد أشـــار الدكتور أحمد هيكل [٤] إلى أن نفراً من الصحابة والتابعين كان لهم الفـــضل الأول في إرساء لبنات الثقافة الأندلسية الأولى لما كان لهم من دور ديني في إفتاء المـــسلمين فـــيما يعـــنُّ لهم من أمور الدين كتقسيم المعالم وتحديد الضرائب وتخطيط المساجد وتفقيه الناس، وأغلب الظن إن هؤلاء الرواد قد أسهموا بدور مشهود في إنشاء أوائل المساجد في المدن الأندلسية المهمة كإشبيلية وقرطبة، وكان جُلّ عنايتهم تدريس كتاب الله وسنّة رسوله، وبلغة القرآن الكريم.

ويشير الدكتور هاشم ياغي [٥] إلى ظاهرتين بارزتين في الثقافة الأندلسية:

---

(١) الاتجـــاه الإســـلامي في الشعر الأندلسي في عهدي الطوائف والمرابطين: ٩٥ د. محمد مصطفى بهجت، دار الرسالة، ط ١، بيروت ١٩٨٦.

(٢) ينظـــر: خلاصة دراسة النثر الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين: ٥٦٧ – ٥٧٤ د. حازم عبد الله خضر، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨١.

(٣) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي: ٧١ د. سعد إسماعيل شلبي، القاهرة ١٩٧٣.

(٤) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: ٦٠ – ٦١ د. أحمد هيكل، ط ٩، مصر ١٩٨٥.

(٥) ينظـــر، بحث د. هاشم ياغي (ملامح من الثقافة الأندلسية)، مجلة كلية الآداب، الجامعة الأردنية، عمـــان: ٣٨، المجلد (٢) أيار ١٩٧٧؛ وللاستزادة تنظر: الرحلات العلمية بين الأندلس والمشرق عـــصر الأمارة، جعفر حسن صادق، وهي رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، مقدمة إلى كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الموصل، ١٩٨٥.

الظاهرة الأولى:

إنّ الثقافة الأندلسية كانت تتحد من الثقافة المشرقية مثلها الأعلى، تنسج على منوالها، بل تبذل أقصى وكدها أن تتبع جزئياتها، ولها في ذلك وسائل متعددة منذ الفتح الإسلامي، فهي تشرب الثقافة الأندلسية من مصادر مشرقية، رحالاً وكُتُباً وتأليفاً، ووسائل وغيرها، وهي تقوم على جهود رحال كثرت رحلاتهم منذ عهد مبكر إلى ينابيع الثقافة المشرقية.

الظاهرة الثانية:

هي أن الثقافة الأندلسية كانت لا تفسح في صدرها كثيراً للعلوم العقلية والفلسفية الخالصة، ولعل من هذه العوامل التي عملت على تضييق الخناق على العلوم الفلسفية والعقلية الحرة نفوذ بعض الفقهاء المتعصبين المالكيين، وقد صوّر لنا طرفاً من ضيق صدر الأندلس هذا المؤرخ صاعد الأندلسي في كتابه طبقات الأمم.

إلاّ أننا نجد المقري يقصر اهتمام الأندلسيين بالفلسفة على خواصهم بقوله: ((وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلاّ الفلسفة والتنجيم فإن لهما حظاً عظيماً عند خواصهم، ولا يتظاهر بهما خوف العامة، فإنه كلما قيل ((فلان يقرأ الفلسفة)) أو ((يشتغل بالتنجيم)) أطلقت عليه العامة اسم زنديق، وقيّدت عليه أنفاسه، فإن زلّ في شبهة رجموه بالحجارة، أو حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان، أو يقتله السلطان تقرباً لقلوب العامة)) [1].

وقد عني الأندلسيون عناية فائقة بالعلم، ويروي المقري أيضاً أن العالم له منزلة عظيمة عند خاصتهم وعامتهم ولم يكن للأندلسيين مدارس تعينهم على طلب العلم، وكانوا يتلقون جميع علومهم في المساجد ولم يتقاضَ علماؤهم أجراً لقاء علمهم، لأنّ غايتهم نشر العلم لذلك، فالعالم منهم بارع لأنه يطلب العلم برغبة من نفسه ويحيد عن الاشتغال بغير العلم [2]، فلا غرابة من انعدام الأمية في الأندلس، بينما فشت الأمية بين الأوربيين باستثناء الطبقة العليا من القسس التي كانت تعرف القراءة والكتابة معرفة

---

(١) نفح الطيب: ١ / ٢٢١.

(٢) المصدر نفسه: ١ / ٢٢٠؛ وللاستزادة ينظر: بحث د. محمد مصطفى بهجت ((التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري))، مجلة كلية الآداب – جامعة الموصل، العدد (١٠)، آذار ١٩٧٩.

أولية[1]، ولم يقتصر التعليم في الأندلس على الرجال بل تعداه إلى النساء، وكان لهنَّ دور كــبير في الــثقافة الأندلسية حيث حفظ بعضهنَّ كثيراً من الدواوين الشعرية، فضلاً عن روايــتها وكن يقمنَ بالكتابة، ويروي ابن أبي الفياض (ت ٤٥٩ هــ) أنه كان بالربض الشرقي في قرطبة مائة وسبعون امرأة، كلهنَّ يكتبن المصاحف بالخط الكوفي[2].

وكان طلب العلم في الأندلس يتم عن طريق نمطين من الرحلات العلمية:

الأول – الرحلة الداخلية:

يقــوم بها الطالب الأندلسي داخل الأندلس ويتنقل بين المدن الأندلسية، وغالباً ما يذهب إلى قرطبة ليسمع من الشيوخ هناك وتكون هذه الرحلة قبل الرحلة الخارجية التي تقــوده إلى المشرق العربي[3]. وقــد ((اشتغل الأندلسيــون بكتب المشارقــة دراسةً وشــرحاً ومعارضةً ورداً واختصاراً إلى جانب ما ألفوه في شتى العلوم من فقه ولغة ونحو ومعجمــات وتاريخ وحديث وكتب في التراجم والدراسات الأدبية وهذا شيء يعز عن الحصر))[4].

الثاني – الرحلة الخارجية:

وهي الرحلة الثانية التي يقوم بها الطالب الأندلسي مولياً وجهة صوب منهل العلم في المــشرق العــربي، وقــد تمادى الأندلسيون في حب العلم وتحمّل الأهوال والمتاعب والصعاب من أجل اللقاء بأساطين العلم والأدب في المشرق، وقد خصّص المقري مجلداً كاملاً[5] لذكر التراجم الكثيرة للأندلسيين الذين رحلوا إلى المشرق طلباً للعلم، وقد بلغ شغفهم بالعلم أنهم كانوا يعيبون على الرجل الذي لم يرحل إلى المشرق[6]. ومنهــم من كــان قــوي الشكيمة شديد البأس، يواصل رحلته بلا كلل ويصبر على مشاق السفر

---

(١) الحياة العلمية في مدينة بلنسية، كريم عجيل حسين: ٢٦٧، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٧٦.

(٢) المعجب للمراكشي: ٤٠٦.

(٣) الحــياة العلمــية والثقافية في الأندلس في القرن الرابع الهجري: ٨٧، رسالة ماجستير، حازم عبد الله حســين، مطبــوعة علــى الآلة الكاتبة، مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، قسم التاريخ ١٩٨٠.

(٤) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين: ٥٩.

(٥) المجلد الثاني من: نفح الطيب، تح: د. إحسان عباس، يورد أخبار الرحلة الأندلسية إلى المشرق.

(٦) الأدب العربي في الأندلس: ١٥١ د. عبد العزيز عتيق، ط ٢، ١٩٧٦.

الطويل واختلفت أغراضهم العلمية من الرحلة، فمنهم من كان يعني الفقه وعلوم القرآن والحديث، وهم الأكثرية، وبعضهم طلب الفقه وعلم الكلام كأبي محمد بن حزم الظاهري، والذي قال عنه صاعد في تاريخه ((كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة، مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار)) [1].

وللرحلة التي يقوم بها الإنسان المسلم الأندلسي إلى المشرق أسباب ودوافع متعددة منها:

١ - دافــع الحـــج، وكـــان أثره كبيراً لحمل الأندلسيين على الرحلة إلى المشرق لــيكملوا فرائض الإسلام، فضلاً عن الصورة التي يمتلكها الأندلسيون عن المشرق بأنه كعبة تزار لما فيه من مرابع العلم والمعرفة والحضارة.

٢ - دافـــع وحدة اللغة العربية وسهولة الاتصال بين المشرق والمغرب مما شجّع على ازدياد الرحلات [2].

٣ - دوافع حـــب الاطـــلاع على الشـــؤون الادارية والزراعيـــة والتجاريـــة والسياسية والسفارات [3].

٤ - دوافع الاضطهاد الفكري والديني كما حدث للمسلمين العرب يوم تساقطت مـــدنهم بـــيد الإسبان واضطروهم للتنصر، وجعلوا لهم محاكم التفتيش، وفي نفح الطيب والكتب المؤلفة في اللغات الأجنبية والعربية ما يشير إلى ذلك ويقرره [4].

إلاّ أن اتجـــاه الـــرحلة مـــن الأندلس إلى المشرق لم يكن وحيداً في رفد الثقافة الأندلـــسية، بل كان هناك اتجاه ثانٍ من الرحلة موازياً له وهو من المشرق إلى الأندلس، وعمل هذان الاتجاهان معاً في الارتقاء بالأندلس إلى أعلى درجات الثقافة [5]، فاكتملت

---

(١) نفح الطيب: ٢ / ٧٨.

(٢) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي: ١٠.

(٣) بحـــث د. محسن جمال الدين (الأندلسيون الأوائل من حملة الثقافة العراقية)، مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد: ٤٩، ع (١١)، حزيران ١٩٦٨.

(٤) البحث نفسه: والصفحة نفسها.

(٥) ينظر: أ – بحث د. حازم عبد الله خضر (الرحلات العلمية من الأندلس إلى المشرق)، مجلة جامعة الموصل، ع (١) لسنة ١٩٧٩: ١٩ – ٢٥.

ب – بحـــث د. حازم عبد الله خضر (الرحلات العلمية من المشرق إلى الأندلس)، مجلة جامعة الموصل، ع (٢) لسنة ١٩٧٩: ١٦ – ٢٠.

الشخصية الثقافية الأندلسية فيما بعد، ولا سيما في القرن الخامس الهجري على عهد ملوك الطوائف، وعلى الرغم من فقدان هيبة الخلافة الأموية وعزة سلطانها على الرغم من كل هذا بقي المجد الأدبي والثقافي شامخاً، وتعدى حدود المدينة الواحدة وانتشر في عدة عواصم وفقاً للحالة التقسيمات السياسية الجديدة، فلم تعد قرطبة وحدها عاصمة العلم والمعرفة، فهذه إشبيلية عاصمة العباديين أخذت تنافس قرطبة وتجاذبها رداء الفخار وتلك طليطلة وسرقسطة وبطليوس وغرناطة والمرية ومالقة، في كل منها بلاط حافل بأهل العلم والأدب وملوك يتسابقون إلى الحصول على مشاهير الكتّاب والشعراء [١]، كما أن الأندلسيين على هذا العهد شعروا بالاستقلال الفكري، وتحرروا من التبعية المشرقية فلم يعودوا إلى استقدام أحد من المشارقة، بل شرعوا في مباراتهم ومعارضتهم فبروهم حيناً وقاربوهم في بعض الأحايين [٢]، وبعد هذه الحصيلة الثقافية التي تميزت بها الأندلس لا بد من الاشارة إلى أن الثقافة المشرقية التي كانت تسري إلى الأندلس في القرون السابقة، غير أن الحالة انعكست تماماً في القرن الخامس الهجري والقرون اللاحقة كما يستدل من مسير ابن زهر والباهلي إلى المشرق، وقد فاض سيل المعارف الأندلسية في القرن السادس الهجري بحيث طما على أوروبة نفسها [٣].

وحري بنا أن نقف على الروافد الثقافية التي عملت على الارتقاء بالأندلس، بحيث أصبحت تضاهي الشرق وتشع على بلدان الغرب، وهذه الروافد على نوعين [٤]:

الأولى: روافد عربية إسلامية.

الثانية: روافد أجنبية.

أما الأولى (الروافد العربية الإسلامية) فتتفرع إلى أربعة روافد هي:

---

(١) ينظر: بحث د. عبد الله كنون ((الشعر الأندلسي))، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق: ٣٧٦، ج ٣، مجلد (٣١) تموز ١٩٥٦.

(٢) ديوان ابن زيدون، عصره وحياته، د. علي عبد العظيم، مقدمة الديوان: ١٨، الدار اللبنانية للنشر، ط القاهرة ١٩٥٧.

(٣) ديوان ابن زيدون، عصره وحياته، د. علي عبد العظيم، مقدمة الديوان: ١٨، نقلاً عن فيليب حتي.

(٤) اقتصر بحث د. هاشم ياغي على الروافد العربية الإسلامية وجعلها ثلاثة روافد في حين رأينا رافداً رابعاً وهو الرافد الحضاري، فضلاً عن وجود الروافد الأجنبية وهي بطبيعتها غير عربية أو إسلامية.

أ – روافد الثقافة الدينية:

وهي روافد واسعة لها آثار بعيدة المرامي من النواحي الثقافية الأندلسية، لأن مادتها هي الدين الإسلامي وما رافق هذا الدين الجديد من معتقدات نشّطت الحركة الفكرية، وقد تفرّدت الأندلس بالمذهب المالكي الذي تكلم عليه صاحب كتاب الفكر الأندلسي أنه قد قامت في رحاب المذهب المالكي ثلاث مدارس يختلف بعضها عن بعض اختلافاً يسيراً:

١ – مدرسة سحنون بن سعيد صاحب ((المدونة)) ومركزها القيروان.

٢ – مدرسة قرطبة.

٣ – مدرسة المالكيين العراقيين، ولم يتبع أحد من أهل الأندلس هذه المدرسة [١].

وازدهر الدرس الفقهي في المدرستين الأوليين وتوسعت مدارس الفقهاء الأندلسيين نظراً للمناظرات الفقهية التي كانت تدور في هاتين المدرستين، فضلاً عن تطلعهم إلى فقهاء المشرق واللقاء بهم عن طريق الرحلات العلمية والدينية.

ب – روافد الثقافة الأدبية واللغوية:

وهذه الروافد واضحة وجلية في الأندلس ولا تقل شأناً عن سابقتها، وقد حفظت لنا ((فهرسة ابن خير)) (ت ٥٧٥ هـ) أسماء لمؤلفات أدبية ولغوية وصلت من المشرق إلى المغرب منها:

١ – المختارات، كالمعلقات بشرح أبي النحّاس النحوي (ت ٣٣٨ هـ)، والمفضليات والأصمعيات، وكتاب الحماسة لأبي تمام، وأشعار الهذليين والنقائض بين جرير والفرزدق، وكتاب اليتيمة للثعالبي [٢].

٢ – الدواوين، ديوان ذي الرمة، ويذكر المقري أن أبا بكر بن زُهر كان يحفظ هذا الديوان ويقول إنه يحوي ثلث مفردات اللغة العربية، وديوان الأعشى، وأبي تمام، والمتنبي، والصنوبري، وسقط الزند، واللزوميات للمعري، وديوان أبي العتاهية، والدواوين التي جلبها أبو علي القالي من الشرق إلى الأندلس [٣] وقد أشار أحد الباحثين إلى أنها

---

(١) تاريخ الفكر الأندلسي: ١٥٤؛ وينظر: بحث د. هاشم ياغي: ٤١.

(٢) في الأدب الأندلسي: ٦٩ – ٧٠ د. جودت الركابي، ط ٤، مصر ١٩٧٥.

(٣) المصدر نفسه: الصفحتان نفسهما.

بلغت سبعة وسبعين من الدواوين وسبعاً من القصائد، وهذا [١] العدد سوى ما ترايل عنه وأخذ منه في القيروان أثناء عبوره إلى الأندلس، وقد أوردها ابن خير الإشبيلي في فهرسته وحسب عصورها.

٣ – **كتب طبقات الشعراء**، ومنها الطبقات لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، والطبقات لابن النحاس (ت ٣٣٨ هـ).

٤ – **كتب اللغة**، لا يذكر ابن خير سوى كتابي الميسر والقداح لابن قتيبة، والكامل للمبرد.

٥ – **كتب النوادر**، منها كتاب النوادر لعلي بن حزم اللحياني، والنوادر لأبي زياد الكلابي، والنوادر للحصري.

٦ – **كتب الأدب**، ومنها زهر الآداب للحصري، وكتاب الآداب لابن المعتز [٢].

ويرى الدكتور سعد إسماعيل شلبي بأن هناك سطين من الافادة من روافد الثقافة الأدبية المشرقية هما:

آ – الافادة الجزئية:

والمقصود بها الاقتباس من القرآن الكريم كما كان يصنع المشارقة باستعلائهم التاريخ والمثل والحكمة وتضمينهم البيت أو الأبيات في القصيدة [٣]. ولسنا بحاجة إلى أن نسوق أمثلة على الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فهي تخرج على الحصر والعد، إلاّ أننا لا بد أن نوّه بطريقتهم الخاصة التي خالفوا بها أهل المشرق، فقد غلب على اقتباسهم الاقتباس الإشاري [٤].

ب – الافادة المنهجية:

والمقصود بها الطريقة التي سار عليها المشارقة، وحاكاهم فيها المغاربة من افتتاح القصائد بالوقوف على الأطلال والنسيب أو الحديث عن الخمرة أو الشراب، أو انتهاجهم طريقة أبي تمام في البديع، والمتنبي في تضمين الحكم، وأبي العلاء في النظرات الفلسفية،

---

(١) تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري: ٢٠ – ٢١ د. مصطفى عليان عبد الرحيم، ط ١، بيروت ١٩٨٤.

(٢) في الأدب الأندلسي: ٦٩ – ٧٠ د. جودت الركابي.

(٣) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي: ١٣ – ١٤.

(٤) الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي: ٤٨٢.

وهم بذلك يعمقون أدبهم ويصلونه بالجذور الإنسانية العامة للتراث الأدبي [١].

ج – الرافد الحضاري:

أما في الجانب الحضاري فقد وفدت إلى الأندلس شخصيات لها أثرها على الحضارة الأندلسية، وقد أشار غرسية غومس إلى مقدم زرياب بقوله: وقد بلغ التأثير المشرقي أوجه خلال هذه الفترة بوفود عليٍّ بن نافع الملقب بزرياب – الطائر الأسود – على الأندلس، فقد خرج من بغداد الرشيد ناجياً بنفسه من غيرة أستاذه إسحاق الموصلي، فتلقاه عبد الرحمن الأوسط ((معاصر شرلمان)) (٢٠٦ – ٢٣٨ هـ) في قرطبة وأغدق عليه كرمه، وقد حمل زرياب إلى الأندلس فيضاً من الأنغام المشرقية ... فأصبحت هذه الأغاني الأصل الغني لموسيقانا ((أي الموسيقى الإسبانية)) [٢].

ويؤكد غومس ما تردده الروايات الكثيرة من براعة زرياب فيما يتعلق بإضافة وتر خامس إلى الأوتار الأربعة الأولى التي كانت معروفة في الأندلس وهي الأصفر والأحمر والأبيض والأسود التي يتكون منها عوده الخاص الذي كان يضربه بمضراب من ريش الطيور [٣].

ويتفق الباحثون على أنّ دور زرياب في الأندلس كان كبيراً، وقد أشار أحدهم إلى النقلة الكبيرة التي حققها زرياب المغني في الذوق الجمالي عند دخوله الأندلس، حيث أشاع طريقته عدد كبير من أبنائه وبناته وتلامذته، وقد تمكن الأندلسيون أن يحققوا في الموشح التنويع الذي أراده في النوبة دون خروج من منظومة إلى أخرى بفضل تذوقهم لموسيقاه، ومما سهّل نجاحه أن تلاحينه سهّلت اختراع أوزان تناسب ألحانهم الموسيقية سواء أكانت موافقة لبحور الخليل أم لم توافقها – فحادوا بذلك عن قوانين الأوزان إلى البحور والأعاريض المهملة وذهبوا في تساهلهم بعيداً، حيث مزجوا بين الألفاظ العامية بالفصحى، فكانت ولادة فن جديد تعارفوا على تسميته بالأزجال [٤].

(١) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي: ١٤.

(٢) الشعر الأندلسي: ٣٣ غرسية غومس.

(٣) الشعر الأندلسي: ٣٤؛ وينظر: التجديد في الأدب الأندلسي: ١٤ – ١٥ د. باقر سماكة، بغداد ١٩٧١.

(٤) تيارات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري: ٢٠.

د – رافد الثقافة العقلية:

وهـــو الـــرافد الأقل انتشاراً من غيره في الأندلس، نظراً للفهم الخاطئ الذي ساد الأندلس فترة ليست بالقصيرة حيث كان يُرمى الفلاسفة بالزندقة ويتهمون بالمروق عن الـــدين، وقد تقدم بنا قول المقري [١] حول اهتمام الملوك الأندلسيين بالفلسفة وبشكل سري حوفاً من افتضاح أمرهم لدى العامة.

ويـــرى الدكـــتور إحـــسان عباس: أن الفضل في معرفتنا إلى ما كانت عليه حال الدراسات العلمية والفلسفية بالأندلس يرجع إلى القاضي صاعد صاحب كتاب ((طبقات الأمم))، فقد عاش في تلك الفترة وأداه تطوافه في أنحاء الأندلس إلى التعرف لبعض أولئك العلماء [٢].

ومـــع محدودية انتشار الرافد الفلسفي في الأندلس إلاّ أنّ هذا الأمر لم يمنع دخول بعـــض الكتب المهمة في هذا المجال حيث ((جلب تاجر عراقي نسخة من كتاب القانون لابن سينا قد بولغ في تحسينها فأتحف بها أبا العلاء بن زهر تقرباً إليه، ولم يطلع ابن زهر على هذا الكتاب من قبل، فلما اطّلع عليه ذمّه واطّرحه ولم يدخله خزانة كتبه)) [٣].

ونـــرجّح أن إقدام ابن زهر الأندلسي على اطّراح كتاب ابن سينا المشرقي خارجاً يـــنمّ عـــن تقدم كبير في المجال الفلسفي، فهو على ما يبدو من فعله هذا أنه مطّلع على الفلسفة وله ثقة بعلمه تجعله لا يقدّس كل العلوم المشرقية إلاّ ما كان نافعاً منها.

الثانية: الروافد الأجنبية، وتتفرع إلى رافدين:

أ – الرافد المسيحي اللاتيني:

كان لهذا الرافد الفضل في ازدهار الثقافة الأندلسية بحكم التعايش والجوار واحتكاك المسيحيين مع المسلمين في إسبانيا والذين يتكلمون اللاتينية، وقد جرى اطلاع المسلمين علـــى نتاجهم العلمي بشهادة المؤرخين المسلمين أنفسهم [٤]. وفي نفح الطيب مثل هذه

---

(١) نفح الطيب: ١ / ٢٢١.

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين: ٥٩.

(٣) عـــيون الأنـــباء في طبقات الأطباء: ٣ / ١٠٦ ابن أبي أصيبعة (ت ٦٧٨ هـــ)، بيروت ١٩٦٥م؛ وينظر: تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين: ٥٧ – ٥٨.

(٤) الحياة العلمية والثقافية في الأندلس في القرن الرابع الهجري: ٢٨٢.

الشهادات منها: وكان يعتمد ابن حيان في كلامه عن تاريخ الأندلس قبل الفتح الإسلامي على مصادر أعجمية، فيقول على سبيل المثال ((ذكر رواة العجم .. أو فوقع في تواريخ العجم القديمة)) [1]. ويستنتج أحد الباحثين [2] أن المؤرخين كانوا على اطلاع واف على التواريخ القوطية وأحوال ملوكهم وعلمائهم ومؤلفاتهم، لكنهم لا يشيرون إلى أسماء المصادر التي أخذوا عنها مكتفين بنسبتها إلى مصادر أعجمية.

كما أفادت الحضارة الأندلسية من الترجمات اللاتينية، فنجد مثلاً في كتاب طبقات الأطباء لابن جلجل ذكر رواية عن جالينوس منسوبة إلى السيدور الإشبيلي [3].

وبما أن التأثير المسيحي اللاتيني كان أقوى من الإغريقي على الحياة الأندلسية فقد أثار جدلاً بين الباحثين، ومنهم من أعطى له دوراً كبيراً، فقال الدكتور حسين مؤنس أن هذا التأثير يفسر لنا ((سراً من أسرار الازدهار الفكري السريع الذي حققه الأندلسيون في إسبانيا)) [4]، بينما يرى باحث آخر [5] خلاف ذلك وحجته بأن هذا التأثير كان محدوداً.

ب – الرافد الإغريقي:

لم يقتصر التلاقح الثقافي في الأندلس على اللغة اللاتينية، بل تعداه إلى اللغة الإغريقية، فقد جرى احتكاك المسلمين بالإغريق، وكان يعد تعلم الأندلسيين الإغريقية من الأمور النادرة في الأندلس، لذلك دعت الحاجة إلى طلب مترجمين من الدولة البيزنطية وتم ترجمة كتاب الحشائش لديسقوريدس [6]. وقد نبّه ابن أبي أصيبعة ((أن أحد أعضاء فريق الترجمة، الذين ضمّهم الراهب نقولا وهو أبو عبد الله الصقلي. ويرى أحد الباحثين أنّ هذا الأمر يضعنا أمام احتمالين، الأول: إما إنه تعلمها في صقلية حسبما يظهر من نسبه، والثاني: أنه أتقنها وهذا الاحتمال الأضعف)) [7]. وبشكل عام جاء الرافد الإغريقي

---

(١) نفح الطيب، رواية ابن حيان: ١ / ١٣٠، ١٣٤، ١٣٩، ١٤٩.

(٢) الحياة العلمية والثقافية في الأندلس في القرن الرابع الهجري: ٢٨٠.

(٣) طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل، تح: فؤاد السيد، القاهرة ١٩٥٦، مقدمة المحقق: ٤١.

(٤) فجر الأندلس: ٢٨ د. حسين مؤنس، القاهرة ١٩٥٦.

(٥) الحياة العلمية والثقافية في الأندلس في القرن الرابع الهجري: ٢٨٢.

(٦) الحياة العلمية والثقافية في الأندلس في القرن الرابع الهجري: ٢٨١.

(٧) المصدر نفسه: ٢٨٢.

ضـــعيف الأثر على الثقافة الأندلسية بسبب صعوبة هذه اللغة على العرب المسلمين، هذا من ناحية ولبعدهم مكانياً عن المسلمين بعكس المسيحيين المجاورين للعرب المسلمين في الأندلس مما سهّل تعلم اللغة اللاتينية.

الفصل الأول: مفهوم والمعارضة وجذورها ودواعيها

١ – المعارضة في اللغة [*]:

اتفق المعجميون العرب على أن ((العينَ والراءَ والصادَ ساءٌ تكثُرُ فروعُهُ، وهي مع كثـرتها ترجع إلى أصل واحد)) [١]، وقد جاء بدلالات مختلفة، والذي يعنينا هنا: الزيادة التي تطرأ على مادة (عَرَضَ) التي زنتها ((فَعَلَ)) لكي تنضوي تحت تصنيف الفعل الثلاثي المزيد فيه حرف واحد، فتكون: ((عَارَضَ)) وزنها ((فَاعَلَ))، وهذه الزيادة لها دلالاتها، فهي تعني التشارك بين اثنين أو أكثر، وفضلاً عن معنى المشاركة – المتقدم – فإن لصيغة ((فاعل)) معانٍ أخرى [٢] منها المغالبة، وتدل على غلبة أحدهما بصيغة ((فَعَلَ)) من باب نَصَرَ [٣].

ولعـل علة لجوئنا إلى الانتقال عن الأصل هو ضعف الأسباب التي توصله إلى ما استقر عليه مصطلح المعارضات من حيث الدلالة، لذلك لا مناص من تجاوزه والاقتصار على فحص وتمحيص الدلالات المتفرعة عن الأصل الذي أشرنا إليه.

فلو تأملنا قول الخليل (ت ١٧٥ هـ) وهو أقدم المعجميين العرب لوجدناه يضع

(*) لا يفـوتني أن أنوه بجهد الباحث محمد فتاح عبد، حيث أفدت من منهجه في تناول المعارضة في اللغـة، وذلـك في دراسـته للمسـمطات في الشعر الجاهلي والإسلامي، التي يعدها لنيل درجة الدكتوراه، من جامعة بغداد، كلية الآداب.

(١) معجـم مقاييس اللغة: ٤ / ٢٩٦، أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، ط ١، القاهرة ١٣٦٨ هـ.

(٢) يرى الأستاذ كمال إبراهيم في كتابه عمدة الصرف بأن معاني فاعل أربعة:

١ – المشاركة بين الاثنين.

٢ – نسبة ما أخذ منه الفعل إلى المفعول.

٣ – التكثير.

٤ – موالاة الفعل والقيام به باستمرار.

عمدة الصرف: ٣٢ – ٣٣، ط الزهراء، بغداد ١٩٥٧.

(٣) شـرح شـافية ابن الحاجب: ٩٦، رضي الدين الإستراباذي، تح: محمد محيي الدين وآخرين، دار الكـتب العلمـية، بيروت، لبنان ١٩٧٥ (أوفست)؛ وينظر: شذا العرف في فن الصرف: ٤٢، الـشيخ الحمـلاوي، ط ١٨، ١٣٩١ – ١٩٧١ م، ملتزم الطبع والنشر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

المبضع على العصب الحساس، بقوله: ((وعارضتُهُ بمثل ما صنع، إذا أتيت إليه بمثل ما أتى إليك، ومنه اشتقت المعارضة)) [١]. وقال ابن فارس: ((وهذا هو القياس، كأنْ عَرْضَ الشيءِ الذي يفعلُهُ مثلَ عَرْضِ الشيءِ الذي أتاه [٢]. وقال الخليل: ((وعارض فلان بسلعته: أي أعطى واحدةً وأخذَ أخرى، قال [٣]:

هلْ لكَ والعارضُ منكَ عائضُ ... في مائةٍ يسئرُ منها القابضُ

أي: هل لك فيمن يعارضه فيأخذ منك شيئاً يعتاض منك قوله: في مائة أي في مائة من الأبل يسئر منها الذي يقبضها، ومعنى يسئر منها: يبقى منها بعضها لأنه لا يقدر أن يسوقها لكثرتها)) [٤].

((وعارضتُه في البيعِ فعَرَضْتُهُ عَرْضاً: أي غبنتُهُ، وصار الفضلُ في يدي)) [٥]. وعارضته في المسير: أي سرت حيالَهُ [٦] [وحاديتُهُ] [٧].

قال [٨]:

فعارضتُها رهواً على متتابعٍ ... نبيلٍ مسيلٍ خارجيٍّ محنَّبِ

((وعارضت فلاناً، أي: أخذ في طريق وأخذت في طريق غيره، ثم لقيته، ونظرت

---

(١) العين: (عرض): ١ / ٢٧١، للخليل، تح: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، سلسلة المعاجم والفهارس (١٦)، طبع مطابع الرسالة، الكويت، نشر دار الرشيد ١٩٨٠ م.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٤ / ٢٧٢.

(٣) نسبه في اللسان مادة (عرض) إلى أبي محمد الفقعسي، وقد روى الشطر الثاني فيه هكذا ((في هجمة يسئر منها العائض))، قال والهجمة من الأربعين إلى ما زاد عليها، ثم قال: والمعنى هل لك في مائة مثل الابل أو أكثر منها الخ، وهذا البيت في: المحكم أيضاً: ٤٢٣ ولكن بدون نسبة.

(٤) العين: ١ / ٢٧١ - ٢٧٢.

(٥) المصدر نفسه: ١ / ٢٧٢.

(٦) المصدر نفسه: ١ / ٢٧٢.

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة الأزهري في: تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون: ١ / ٤٦٣.

(٨) البيت للطفيل الغنوي، ورد في ديوانه، ص (٢٦)، البيت (٣٦)، تح: محمد عبد القادر أحمد، ط ١، ١٩٦٨، دار الكتاب الجديد، بيروت كما يأتي:

وعارَضتُها رهواً على متتابعٍ ... شديدِ القُصَيرى خارجيٍّ مُحنَّبِ

وقد ورد عجزه في تاج العروس ((شديد القيصري خارجي محنب)) وقد وقع تصحيف في التاج في لفظة ((محنب)) والصحيح ((محنب)) والمحنب: الذي في ذراعه كالانكباب والتحدب.

إلـــيه معارضـــةً، إذا نظرت إليه من عَرْضٍ، أي: ناحية، وعارضت فلاناً بمتاع، أو شيء معارضة، وعارضته بالكتاب: إذا عارضتَ كتابَكَ بكتابه)) (١).

وتابـــع ابـــن دريـــد (ت ٣٢١ هــ) الخليـــل وكَرَّرَ قوله عن معنى المعارضـــة بقوله: ((واشتريت المتاعَ بِعَرْضٍ، أي بمتاعٍ مثله، وهي المعارضةُ)) (٢)، إلاّ أنه أضاف في موضـــعين آخـــرين، قوله: ((وعارضتُ الرجلَ بكذا إذا قال قولاً فاعترضتُ في حوانه وجبهـــتُهُ بـــه)) (٣)، وقوله: ((يقال لقحتْ الناقةُ عِراضاً)) إذا سامها فحلٌ من غير شولها فتنُوخها – سامها عدا معها –، قال الشاعر الطرماح:

أضمرتُهُ عشرين يوماً ونِيْلَتْ حين نِيْلَتْ يعارةً في عراضِ

الـــيعارةُ: أن يخرجَ فحلٌ من شولٍ إلى شولٍ آخر، وتخرج ناقةٌ من ذلك الشول فيقرعها، وإنما قيل عراض لأنه يُعارِضُها)) (٤).

وكـــرر الأزهـــري (ت ٣٧٠ هــ) أقوال سابقيه، وأضاف جمهرة من الألفاظ لا تخرج في اطارها عن المعنى الوضعي لمادة ((عَرَضَ)) منها قوله: ((وقال ابن السكّيت في القول البَعيث:

مدحْنا لها رَوقَ الشّباب فعارَضَتْ جَنابَ الصّبا في كاتم السر أعجما

قـــال: عارَضَت: أخذَتْ في عُرضٍ، أي ناحية منه، جناب الصِّبا: إلى جنبه، وقال اللحـــياني: بعيرٌ معارِض، إذا لم يستقمْ في القطار، ويقال: جاءت فلانةٌ بولد عن عراضٍ ومعارضة، إذا لم يعرف أبوهُ، ويقال للسَّميح: هو ابن المعارضة. والمعارضةُ: أن يعارضَ الرجلُ المرأةَ فيأتيها بلا نكاح ولا مِلْك)) (٥).

ولم نجد عند الصاحب إسماعيل بن عباد (ت ٣٨٥ هــ) ما يضيف إلى سابقيه ما عدا قوله: ((والمعارض: الناقة ترأمُ بأنفها وتمنعُ درَّها)) (٦).

(١) العين: ١ / ٢٧٣.
(٢) جمهرة اللغة: ٢ / ٣٦٢، ابن دريد، ط حيدر آباد الدكن.
(٣) جمهرة اللغة: ٢ / ٣٦٣.
(٤) المصدر نفسه: ٢ / ٣٦٣.
(٥) تهذيب اللغة: ١ / ٤٦٤، الأزهري، تح: عبد السلام محمد هارون، ط الدار المصرية ١٩٦٤.
(٦) المحـــيط في اللغـــة: ١ / ٣٤٧، الـــصاحب بن عباد، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط ١، المعارف، بغداد ١٩٧٥.

أما الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) فكان كسابقيه من المعجميين الذين أعادوا ما قاله سابقوهم، فلم يضف جديداً [١].

ولم يكن ابن فارس (ت ٣٩٤ هـ) بأفضل حالاً من سابقيه من ناحية، إضافة معنى جديد إلى المعاني السابقة، غير أنه قال في مجمله: ((والعروض: المكان الذي يعارضُكَ إذا سرتَ)) [٢].

وتابع ابن سيده (ت ٤٨٥ هـ) في مُحكمه سابقيه، وكذلك الشأن مع الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) والصاغاني (ت ٦٥٠ هـ) والرازي (ت ٦٦٦ هـ) فلم نجد عندهم مجتمعين أية إضافة لمعنى جديد [٣].

أما ابن منظور (ت ٧١١ هـ) الذي عني بالتراث المعجمي السابق، وقد حوى معجمه خمسة كتب لغوية كبيرة ثلاثة منها معاجم [٤]، وبذلك تكون متابعة ابن منظور جلية، إلاّ أن هذا الأمر لا يمنعه من إضافة المعاني السابقة نحو قوله: ((وفلان يعارضُني أن يباريني، وفي الحديث الشريف أن جبريل عليه السلام، كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة وأنه عارضه العام مرتين، قال ابن الأثير: أي كان يدارسه جميع ما نزل من القرآن الكريم من المعارضة والمقابلة، وفي الحديث الشريف أيضاً أن رسول الله ﷺ عارض جنازة أبي طالب أي أتاها معترضاً من بعض الطريق، ولم يتبعها في منزله)) [٥].

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٣ / ١٠٨١ – ١٠٩١، إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، ط ٢، بيروت ١٩٧٩.

(٢) مجمل اللغة: ٤٦٩/٣، أحمد بن فارس، تح: الشيخ هادي حسن حمودي، ط ١، الكويت ١٩٨٥ م.

(٣) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ١ / ٢٤٢ – ٢٤٩ ابن سيده، تح: مصطفى السقا، حسين نصار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ١/ ١٩٥٨؛ أساس البلاغة: ٢ / ١٠٨ – ١٠٩ للزمخشري، مطابع الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٥؛ التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية: ٧٦ – ٧٧ تأليف الحسن بن محمد الحسن الصاغاني، تح: عبد العليم الطحاوي، القاهرة ١٩٧٤؛ مختار الصحاح: ٤٢٤ – ٤٢٦ للرازي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٩ م.

(٤) المعاجم الثلاثة، هي: التهذيب للأزهري، والمحكم لابن سيده، والصحاح للجوهري، ويكملها كتابان آخران وهما: التنبيه والإيضاح عمّا وقع في كتاب الصحاح لابن بري، وهي أماليه في نقد صحاح الجوهري، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين بن الأثير.

(٥) لسان العرب: ٧ / ١٦٧ ابن منظور، طبعة دار صادر، بيروت ١٩٥٦ م.

أما بقية أصحاب المعجمات اللغوية [1] فلم يأتوا بمعان جديدة تضاف إلى المعاني المتقدمة التي أوردها السابقون، ولم يأتِ ما جاء به المعجميون المتأخرون من معانٍ معدوم الجـدوى، وإنما جاء ليؤكد المعاني المتقدمة، وجاء هذا التأكيد هيئة أمثلة وشواهد أغنت الدلالة الوضعية.

ومما تقدم نخلص أن المعنى اللغوي للفظة ((عارض)) له طوران:

أولهما: حسّي يتمثل في المبادلة، السير، والالتقاء، المقابلة، المقايضة، المحاجة، لقاح الإبل، النكاح، الزنـا، المحاباة، المباراة.

ثانيهما: معنى في القول ونحوه.

ومـا مـن شك أن المفهوم الدلالي لهذه المعاني هو غير دلالة ((المعارضة)) أي المـصطلح الأدبي، وإنْ تضمّنت بعض معانيها، أي أن لفظة ((عارض)) تجاوزت دلالتها الوضـعية إلى معانٍ جزئية يتفرع الألفاظ المشتقة منها مع احتفاظها بالمعنى العام، فضلاً عن وجود وشيجة بين الطرفين المتشاركين من الشيء بشيء يشبهه لعلاقة بينهما، وهذا ما سيفسره المعنى الاصطلاحي للمعارضة.

٢ – المعارضة في الاصطلاح:

استقر مصطلح المعارضة عند الأندلسيين القدامى، في وقت مبكر ولم يتغير عما هو علـيه الآن، وقد صرّح ابن عبد ربه القرطبي (ت ٣٢٨ هـ) في عقده به، بقوله: ((ومما عارضت به صريع الغواني في قوله:

أديـــرا عليَّ الرّاحَ لا تَشرَبا قبلي	ولا تطلبـا من عــند قاتلتي ذَحْلي
فـيا حــزني أني أمــوتُ صبابةً	ولكــنْ على من لا يحــلُّ لهُ قَتْلي
فديتُ التي صدّتْ وقالــتْ لِتِربِها	دعــيه، الثّريا منه أقربُ من وصلي

فقلت على رويــه:

أَتَقْتُلُني ظُلْمــاً وتجحـــدُني قَتْلَـي	وقــد قامَ من عينيكَ لي شاهدا عَدْلِ

(١) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ٥١ – ٥٢ تأليف أحمد بن محمد المقري الفيومي، تــصحيح مصطفى السقا، طبع مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده؛ ينظر: القاموس المحيط: ٢ / ٣٤٦ – ٣٥٠، القاهـــرة، د. ت؛ وينظــر: تــاج العروس: ٥ / ٤٠ – ٥٤، محمد مرتضى الزبيدي، والناشر دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، دار صادر، بيروت ١٩٦٦ م.

أطـــلابُ ذَحْلي ليس بي غيرُ شادنٍ بعينيـــــه سحرٌ فاطلُبوا عنده ذَحْلي

إلى آخر الأبيات)) [١].

وابـــن عـــبد ربـــه – فـــيما أعلم – هو أول أندلسي صرّح بالمعارضة بمعناها الاصـــطلاحي، وأورد مثالاً عليها، كما تقدم – وإنّ المعارضة الشعرية واضحة عند ابن عـــبد ربـــه في مفهـــومها الاصطلاحي، ومن هذا الوضوح انطلق الدارسون في تحديد المصطلح، ويرى أحمد الشايب المعارضة بالشعر ((أن يقول الشاعر قصيدة في موضوع ما مـــن أي بحـــر وقافـــية ويأتي شاعر آخر فيعجب بهذه القصيدة لجانبها الفني وصياغتها الممتازة فيقول قصيدة من بحر الأولى وقافيتها، وفي موضوعها، أو مع انحراف عنه يسير أو كثير، حريصا على أن يتعلق بالأول في درجته الفنية أو يفوقه ... فيأتي بمعانٍ أو صور بـــإزاء الأولى تـــسلعها في الجمال الفني أو تسمو عليها بالعمق أو حُسن التعليل أو جمال التمثيل، أو فتح آفاق جديدة في باب المعارضة..)) [٢]، ويرى الدكتور محمود رزق سليم قريباً من هذا الرأي فيقول: ((والمعارضة أن ينظمَ الشاعرُ قصيدة على نمط قصيدة لشاعر آخـــر، يتّفق معه في بحرها ورويّها وموضوعها، سواء أكان الشاعران متعاصرين أم غير متعاصـــرين)) [٣]، ويؤكد الدكتور محمد محمود قاسم نوفل في تعريفه للمعارضة على أن يكون هناك فارق زمني بين الشاعرين المعارِض والمعارَض ((ولو كان الزمان قصيراً جداً لا يتعدى لحظات)) [٤].

ولا شـــك أن تعـــريفات المعارضـــة عند هؤلاء الباحثين امتازت بوضوح الرؤيا وعمقها، إلاّ أن هذا الأمر لم يمنع من ظهور رؤى غير عميقة لدى بعض الباحثين لم توفِ مصطلح المعارضة حقه ومنهم: جبّور عبد النّور عندما عرّف المعارضة بأنها: ((باب من أبـــواب الشّعر التقليدي الذي يتصدى فيه شاعر لقصيدة زميل له، قديم أو معاصر، فينظم أبياتاً على وزنها وقافيتها، ويقف فيها موقف المقلّد إعجاباً بها، أو يناقض زميله فيثبت ما

---

(١) العقـــد الفـــريد: ٥ / ٣٩٨ – ٣٩٩ لابن عبد ربه الأندلسي، ضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتّب فهارسه: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، القاهرة ١٩٦٥ م.

(٢) تأريخ النقائض في الشعر العربي: ٧ أحمد الشايب، ط ٢، القاهرة ١٩٥٤.

(٣) عصر سلاطين المماليك مج: ٨ / ٤٧٧ د. محمود رزق سليم، ط ١، القاهرة ١٩٦٥.

(٤) تاريخ المعارضات في الشعر العربي: ١٣ د. محمد محمود قاسم نوفل، ط ١، بيروت ١٩٨٣.

أنكر، أو ينكر ما أثبت..)) [١]، وإننا إنْ كنّا نوافق عبد النّور في مستهل التعريف إلاّ أننا لا نـــتفق معه عندما يقول: (أو يناقض زميله ...) لأن هذا الكلام يخرج عن المعارضة وينـــتقل إلى فـــن آخر هو النقيضة، وبذلك لا يمكن التسليم بما أورده من تعريف عندما خلط بين المعارضة والنقيضة.

ويعـــرّف مجدي وهبة وكامل المهندس في كتابهما (**معجم مصطلحات العربية في اللغـــة والأدب**) المعارضة بـــ ((أن يحاكي الأديب في أثره الأدبي أثر أديب آخر محاكاة دقـــيقة تـــدل علـــى براعته ومهارته..)) [٢]. إن المصنفين وإن لم يُشيرا إلى الشاعر في تعـــريفهما صراحةً، إلّما كان الشاعرُ مقصوداً ضمناً، فإننا لا نتفق معهما عندما أقرا أن المعارضة هي محاكاة، لأن المعارضة لا يمكن أن تكون محاكاة مطلقة لأن المحاكاة المطلقة عملية مجردة من عنصر الإبداع ... وليس المعارضة كذلك.

ويعرّف الدكتور أمين علي سعيد المعارضات بأنها: ((نوع من الشعر يقوم الشاعر بمعارضة أشعار شاعر آخر اعجاباً به أو تهكماً عليه أو جواباً عن شعر له ...)) [٣].

وأختلف مع الدكتور أمين علي سعيد في موضعين:

الأول: قوله: ((تهكّماً عليه)) وهذا لا يتفق مع مفهوم المعارضة الشعرية، بل يصح على مفهوم النقيضة والتي تعتمد الهجاء والسخرية.

الثاني: قوله: ((أو جواباً عن شعر له)) وهو لا يتفق مع مفهوم المعارضة بل يصح علـــى مفهوم المجاوبة الشعرية والذي يختلف عن مفهوم المعارضة، والاختلاف والاتفاق بين هذه الفنون سنوضّحه فيما بعد.

ويعرّف الدكتور عمر فرّوخ المعارضة بأنها ((تقليد الشاعر لشاعر آخر ...)) [٤]. وأختلف مع الدكتور عمر فروخ فيما ذهب إليه، لأن المعارضة الشعرية ليست تقليداً في

---

(١) المعجم الأدبي: ٢٥٤ – ٢٥٥ جبّور عبد النّور، ط ١، بيروت ١٩٧٩.

(٢) معجـــم المـــصطلحات العـــربية في اللغـــة والأدب: ٢٠٣ مجدي وهبة وكامل المهندس، لبنان ١٩٧٩ م.

(٣) ينظـــر: بحث د. أمين علي سعيد الموسوم: ((الشاعر أبو إسحاق الأطعمة ومعارضاته الشعرية))، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد / ٤٤٣، ع (٢٣) لسنة ١٩٧٨.

(٤) تـــاريخ الأدب العربي (الأدب العربي في المغرب والأندلس إلى آخر عصر الطوائف): ٤ / ٧٨، ط ١، بيروت ١٩٨١.

جميع مراحلها، بل يكون التقليد مرحلة تنتهي بالتجديد والتفوق والإبداع.

ويعنـــي أن لا يفهم أن كل شاعر سابق في عصره للشعراء الآخرين يكون متقدماً عليهم في قول الشعر، ويحصل أن الشاعر المتأخر لا يكون مقلّداً بل يكون مبدعاً ومتفوقاً على سابقه، وقد ألمحَ إلى ذلك ابن عبد ربه عندما عارض صريع العواني في قصيدته التي مرّت آنفاً، وقال عن شعره ((فمن نظر إلى سهولة هذا الشعر مع بديع معناه ورقة طبعه، لم يَفْضُلْهُ شعر صريع العواني عنده إلاّ بفضل التقدم ...)) [1].

وبعـــد ذلك نخلص إلى القول بأن الأصل في مفهوم المعارضة في الشعر: أن ينظم شاعر قصيدة في موضوع معين على غرار قصيدة أخرى قالها شاعر متقدم عليه في الزمن، ملتزماً الوزن والقافية وحركة الروي، فضلاً عن المضمون بالمتابعة والاحتذاء مجارياً ذلك الشاعر محاولاً بلوغ شأوِهِ ثم محاولاً التفوق والإبداع، وهذا الضرب يمثل المعارضة التامة.

أمــــا إذا فقدت المعارضة أحد أركانها المتقدمة فتصبح معارضة ناقصة، ومن أمثلة ذلك أن يلتزم الشاعر المتأخر الوزن والقافية وحركة الروي ثم يعكس المعنى على نحو ما نجده في معارضة ابن عبد ربه لصريع العواني، وقد ألمح الدكتور إحسان عباس، إلى هذا النوع من المعارضة بقوله: ((وهناك معارضة لا تلتزم رويّ القصيدة التي يعارضها، وإنما هـــو ينظـــر إلى معــــاني قصيدة سابقة ثم ينشئ قصيدة تتضمن هذه المعاني مع شيء من التقليب والعكس والاستيعاب)) [2].

أو أن يلتـــزم الـــشاعر معــــاني القصيدة ومفهومها العام مخلاً بالوزن أو القافية أو بكليهما، أو أن يعارض الشاعر المتأخر قصيدة لشاعر تقدم عليه، ولكن بموضوع مختلف تماماً عن موضوع الشاعر المتقدم، وقد تأتي المعارضة الناقصة غير ملتزمة بأي ركن من هــــذه الأركان، ولكنّها تبقى معارضة منضبطة ضمن هذا المصطلح، وذلك لأن الشاعر يعمد فيها ويصرّح بأن يعارض القصيدة الأخرى وعلى نحو ما نجد في قصيدة ابن شهيد الـــتي يعــــارض فيها امرأ القيس، ولا بد أن نشير إلى أن هناك فرقاً بين المعارضة وأخذ المعاني الذي يدخل في باب السرقة الشعرية.

---

(١) العقد الفريد: ٥ / ٣٣٩.

(٢) تأريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة: ٢٠٢ د. إحسان عباس، ط ٦، بيروت ١٩٨١.

٣ – المعارضة والنقيضة والممحصة والمراجعة والمحاورة:

لعلّ علة لجوئنا إلى تصنيف هذه الفنون الأدبية معاً، يرجع إلى وجود وشائج بينها، ورأينا أن نقف على هذه الفنون وعلاقتها ببعضها، فالمعارضة مباراة شريفة ضمن أسلوب للمديح أو الثناء أو التبجيل أو الوصف نتيجة اعجاب شاعر متأخر بقصيدة لشاعر متقدم عليـه في الـزمان، أو وقت نظمها أو حسن صياغتها، ويدفعه اعجابه بقصيدة الشاعر المـتقدم إلى الإبداع فينشئ قصيدة يفوق بها المتقدم[1]، ولا يكون المتفوق دائماً حليف الشاعر المعارض وإنما يحقق أحياناً ولا يبلغ شأو المتقدم، وقد ألمح الدكتور محسن جمال الدين[2] إلى ذلك بقوله: ومن المعارضات ما تكون سامية المعنى، جديدة الصور، بديعة الاخراج، ومنها ما يكون مشوّه اللفظ، رديء اللباس، ضعيف الكينونة.

ويـشير أحد الباحثين[3] إلى أن المعارضات الشعرية الأندلسية لها بعد اجتماعي، فهـي تدل على ارتقاء المستوى العام للأذواق، وإن الطبقات المثقفة عادت لا تستسيغ تنابذ الشعراء وتشاتمهم، فإذا كان لهم أن يتصاولوا، وينفقوا ما زاد عن حاجتهم من نشاط عقلي فليكن ذلك على أعواد منبر المعارضات الذي لا بذاء فيه ولا سفه، وعلى مسمع من الملوك والوزراء والأصدقاء الذين يجمعهم السامر ويضمهم المنتدى.

وتأسيـساً علـى ذلك يفهم أن المعارضة الشعرية في الأندلس جاءت لتحل محل المناقـضة الشعرية والتي عرفت بالمشرق، في عهد بني أمية بخاصة، وأشهرها ما دار بين جرير والفرزدق وفيها العصبية القاتلة والسياسية المفرّقة والحزبيّة المتطاحنة[4].

وعلى الرغم مما آلت إليه النقائض من نتائج إلاّ أنها في اقتضته حاجة ذلك العصر، فـلا بد له من أن ينشأ ويقوى عوده، لوجود مبرراته في ذلك الوقت، فلم تتح الظروف ذاتها التي هيأت للنقائض في المشرق عند الأندلسيين، وإنما ازدهر فن المعارضة الشعرية.

ولكـي نـوازن بين المعارضة والنقيضة لا بد لنا أن نقف على تعريف لمصطلح النقيـضة، فمـصطلح النقيضة: أن يتجه شاعر إلى آخر بقصيدة هاجياً أو مفتخراً فيعمد

(١) تاريخ المعارضات: ١٤ – ١٥.

(٢) ينظـر: بحـث د. محسن جمال الدين ((معالم شخصية المتنبي في الأندلس))، مجلة المورد العراقية، بغداد: ٩٢، ع (٦ / ٣) لسنة ١٩٧٧.

(٣) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي: ١٣٥ د. سعد إسماعيل شلبي، ط القاهرة ١٩٧٣.

(٤) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي: ١٣٤.

الآخـــر إلى الرد عليه هاجياً أو مفتخراً ملتزماً البحر والقافية والروي الذي اختاره الأول، ولا بـــد من وحدة الروي فذلك هو النهاية الموسيقية المتكررة التي تعد جزءاً من النظام الموســـيقي العـــام للمناقضة، بقيت حركة الروي، ولا بد من وحدتها أيضاً إتماماً لذلك التنسيق الوزني، وإن اختلفت في بعض النقائض كما في اللاميتين، الأولى للفرزدق، والثانية لجرير [1].

وقصيدة الفرزدق مطلعها [2]:

إنَّ الذي سمكَ السّماءَ بنى لنا ... بيتــاً دعائمُهُ أعــزُّ وأطــولُ

أما قصيدة جرير فمطلعها [3]:

لمَن الديارُ كأنّها لم تَحْلُلِ ... بين الكناسِ وبين طلحِ الأعزلِ

ومما يلاحظ على مطلع القصيدتين أن حركة الروي مختلف فيهما، فالأولى مجراها الـــضم، والثانـــية مجراها الكسر، وهاتان أول ما حمي بين الشاعرين من المناقضات، أما المعاني فالأصل العام فيها المقابلة والاختلاف، لأن الشاعر الثاني همّه أن ينسد على الأول معانيه فيرد عليه، إن كانت هجاءً ويزيد عليه مما يعرفه أو يخترعه، وإن كانت فخراً كذّبه فيها، أو فسّرها لصالحه هو، أو وضع ازاءها مفاخر لنفسه وقومه [4].

وقـــد قوّم أحمد الشايب هذا الفن بقوله: ((ومن الجانب الأدبي تُعد النقائض رُقياً عظـــيماً للشعر القديم، وخاصة الفنون التي كان قوامها، وذلك لأن النقائض قامت على أســـاس المنافـــسة والتحدي فاجتهد شعراؤها في تجويدها من حيث المعاني والألفاظ، والصور والأساليب حتى كانت آخر ما انتهى إليه الشعر الإسلامي المحافظ، ويمكن اعتبار النقائض إلى حد كبير، امتداداً ناضجاً للشعر الجاهلي وتطوراً خطيراً له،..)) [5].

والصورة الاصطلاحية للمناقضة تُذكّرنا بالصورة الاصطلاحية للمعارضة الشعرية، لوجود نقاط اتفاق كثيرة في الفنين ونقاط اختلاف أيضاً، ونقاط الاتفاق تتمثل في اعتماد

---

(١) تأريخ النقائض: ٣.

(٢) نقـــائض جريـــر والفرزدق، طبع مطبعة ليدن ١٩٠٥ م، أعادت طبعه بالأوفسيت مكتبة المثنى، بغداد لصاحبها قاسم محمد الرجب: ١ / ٨٢.

(٣) المصدر نفسه: ١ / ٢١١.

(٤) تاريخ النقائض: ٤.

(٥) المصدر نفسه: ٤٤٨.

البحر والقافية والروي ووحدة الموضوع عند الشاعرين، وقد تكون بين أكثر من شاعرين في كلا الفنين.

أما الاختلاف فيكمن في دواعي كل فن، فالمعارضة داعيها هو الإعجاب والتقليد، أمـا النقيضة فداعيها هو الرد والافحام، ويختلفان في الغاية، فغاية المعارضة هو التفوق والإبداع، إنْ تمكن الشاعر من ذلك – أما النقيضة فغايتها هو الهجاء، ويشترط أن يكون الـشاعران متعاصـرين في زمن واحد، حيث ينشد الأول قصيدة ويسمعه الثاني وينشد قـصيدة ينقض بها الأول، ولا يشترط على المتعارضين أن يكونا متعاصرين، فقد يعارض شـاعر في القرن العشرين شاعراً جاهلياً. وتتسع روح الخصومة على النقائض في حين لا نجد أثراً للخصومة في المعارضة [١].

أمـا الممحصات فهي قصائد قالها ابن عبد ربه القرطبي صاحب العقد في الزهد، ممحصاً بها أشعاراً أخرى كان قد قالها في شبابه في موضوع الغزل.

ونوردها هنا لأن فريقاً من الباحثين عدّها من المعارضات، لكي نبين وجهة نظرنا التي تخالفهم كما سنرى.

ومما قاله ابن عبد ربه في الغزل في شبابه [٢]:

هـــلاّ ابتكـــرتَ لبَيْنٍ أنـــتَ مبتكرُ	هـــيهاتَ يأبـــى عليكَ اللهُ والقَدَرُ
مـــا زلـــتُ أبكـــي حذارَ البينِ ملتهباً	حـــتى رثـــى لي فيكَ الرّيحُ والمطرُ
يـــا بـــردهُ من حيا مُزْنٍ على كبـــدٍ	نيرانُهـــا بغلـــيلِ الشـــوقِ تستعرُ
آلـــيتُ أنْ لا أرى شمـــساً ولا قمـــراً	حتّـــى أراكَ فأنـــتَ الشَّمْسُ والقَمَرُ

وقد محّصها ابن عبد ربه بقوله [٣]:

يـــا قـــادراً [٤] ليس يعفو حينَ يقتدرُ	مـــاذا الذي بعدَ شيبِ الرأسِ تنتظرُ
عـــاينْ بقلبـــكَ أنّ العيـــنَ غافلـــةٌ	عـــن الحقيقـــةِ واعلـــم أنها سَقَرُ

(١) تاريخ المعارضات: ١٤ – ١٦.

(٢) مطمـــح الأنفـــس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس: ٢٧١ – ٢٧٢ للفتح بن خاقان، دراسة وتحقيق: محمد علي شوابكة، ط ١، بيروت ١٩٨٣.

(٣) المصدر نفسه: ٢٧٥.

(٤) في الجذوة والبغية والمطرب: ياعاجزاً.

سوداءُ توفرُ من غيظٍ إذا سعرتْ للظالمين فلا تُبقي ولا تَذَرُ
لو لم يكنْ لك غَيْرُ الموتِ موعظةٌ لكان فيه عن اللذاتِ مزدجرُ
أنتَ المقولُ لهُ ما قلتَ مبتدئاً هلاّ ابتكرتَ لبينٍ أنتَ منتظرُ

وقد وقف فريق من الباحثين عند قصائد الممحصات واتفقوا على أنها من أشعار المعارضات، كما قدمنا – ومنهم الدكتور أحمد هيكل – حيثما قال: ((وقد عرف ابن عبد ربه بأشعار تسمى ((الممحصات)) وهي أشعار قالها بعد توبته في الشطر الأخير من حياته، وعارض بها أشعاراً كان قد قالها أيام لهوه)) [1]. وألمح الدكتور إحسان عباس إلى ذلك عندما تكلم على ابن عبد ربه بقوله: ((فإذا عرفنا أنه عارض كل قطعة قالها في صباه بقطعة من الممحصات، وجدنا كيف أنه ضاعف كمية شعره..)) [2]. وقال أيضاً: ((يتضح مدى انشغال ابن عبد ربه بالمعارضة حتى إنه حين شبع من معارضة الآخرين أخذ يعارض نفسه بالممحصات)) [3]. وتابعهما الدكتور إبراهيم علي أبو الخشب بقوله: ((وقد يعارض الشاعر نفسه كما فعل أحمد بن عبد ربه بعد أن تاب عن غوايته حين تقدمت به السن وعلت عليه النزعة التي حملته على القول فيما عارض به شعر الصبابة والهوى الذي سمّاه بالممحصات)) [4]. ولم يحد عنهم الدكتور عمر فروخ في الخلط بين المعارضة والممحصة بقوله: ((أما زهده ففيه تكلف كثير لأنه حاول أن يأتي معارضة في الزهد لكل مقطوعة في الغزل، كان قد قالها في شبابه)) [5].

إلاّ أننا لا نتفق مع ما ذهب إليه الباحثون الأفاضل بشأن إطلاق تسمية المعارضات على أشعار الممحصات، لأن الحميدي (ت ٤٨٨ هـ) في الجذوة قد أطلق عليها تسمية الممحصات، عندما تكلم على ابن عبد ربه، فقال: له أشعار كثيرة جداً سماها الممحصات نقض كلّ قطعة قالها في الصبا، والغزل بقطعة في المواعظ والزهد ممحّصاً بها كالتوبة منها والندم عليه [6].

(١) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: ٢٣١ د. أحمد هيكل.
(٢) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة: ١٩٥.
(٣) المصدر نفسه: ٢٠١.
(٤) تاريخ الأدب العربي في الأندلس: ١٩٣ د. إبراهيم علي أبو الخشب، ط ١، القاهرة ١٩٦٦.
(٥) تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس: ٤ / ٢١١ د. عمر فروخ.
(٦) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: ٩٥، تح: محمد بن تاويت الطنجي، ط القاهرة ١٩٥٢.

كمـــا أن الفـــتح بـــن خاقان (ت ٥٢٨هـــ أو ٥٢٩هـــ) من بعده أكد تسميتها بالممحصات عندما تكلم على ابن عبد ربه أيضاً في المطمح، وقال: ((فمحّص أشعاره في الغـــزل بمـــا يناقـــيها وقـــصّ من قوادمها وخوافيها، بأشعار في الزّهد على أعاريضها وقوافيها..)) [(١)].

ولا شـــك أن الحميـــدي والفتح بن خاقان هما أقرب إلى عصر ابن عبد ربه، ولو كانـــت الممحصات من أشعار المعارضات لذكراه، ولا سيّما أن لهما ذوقاً نقدياً كل في عـــصره، لذلك نرى أن التسمية الدقيقة لهذه الأشعار هي الممحصات، ومن غير الجائز تسميتها بالمعارضات.

وإن فهمنا لمصطلح المعارضة الشعرية يعضّد ما ذهبنا إليه، ولا سيما بأنه يشترط في أشعار المعارضات أن تكون بين شاعرين أو أكثر، بينما الممحصات هي لشاعر واحد، وبـــذلك ينقص ركن مهم من أركان المعارضة الشعرية، فضلاً عن كون هدف المعارضة ليس نقض مضمون القصيدة الأولى، لأن هذا النقض لمعاني القصيدة، كفيل بإخراج هذه القصيدة عن دائرة المعارضة إلى فن المناقضة، وإن كنّا نعلم أن المناقضة تتم بين شاعرين أيضاً، وإن كنّا نجد عدداً من شعراء المعارضة يجنح إلى نفي مضمون القصيدة، إلاّ أن هذا النفي سطحي لا يشبه النقض الذي نجده في الممحصة لذلك تكون الممحصة ألصق بالنقيضة منها إلى المعارضة.

أما أشعار المراجعات والمحاورات الأندلسية فإن بينها وبين المعارضات وشائج تتمثل في اعـــتماد البحر والقافية والروي ووحدة الموضوع عند الشاعرين، ويعرّف الدكتور بدير متولي حميد هذه الأشعار أنها: ((نوع من الترف الفني الأدبي، أوحت به تلك البيئة وكثر فيها كثرة بالغة.. وبينه وبين النقائض اتفاق، فكل منهما أثر للبيئة التي انتشر فيها، وكل منهما رد على شاعر من وزنه وقافيته، ولكن الموضوع مختلف تمام الاختلاف)) [(٢)].

ويـــصادف المتـــصفح للمصادر الأندلسية القديمة ولا سيما، الذخيرة لابن بسام، والقلائد والمطمح للفتح بن خاقان، والحلة السيراء لابن الأبار، نصوصاً شعريةً كثيرة من المراجعات والمحاورات تكاد تعز على الحصر.

(١) مطمح الأنفس: ٢٧٥، دراسة وتحقيق: محمد علي شوابكة.
(٢) قضايا أندلسية: ١١٤ د. بدير متولي حميد، ط ١، القاهرة ١٩٦٤.

والصورة التي بدت لنا من خلال استقصائنا لهذه النصوص الشعرية من قصائد المراجعات والمحاوبات، في مضامنها كشفت لنا أن هذه الأشعار تختلف تماماً عن المعارضات الشعرية، لأن هذه القصائد أقرب إلى أشعار الأخويات، فضلاً عن ضعف القيمة الفنية فيها، فهي بذلك تختلف عن المعارضة الشعرية التي تقوم أساساً على القيمة الفنية بفضل اعتمادها على التفوق والإبداع، ولا نجد تفوقاً ولا ابداعاً في أشعار المراجعات والمحاوبات، وإنما غاية المحاوبات في معظم أحوالها هي المدح أو طلب الحضور مجلس [1] وأشعارها تخلو من عمق المعنى، ويكون غرضها أيضاً المشاركة في الألم من تحسر على شباب، أو ضجر من مرض ويدعو الشاعر لصديقه بالفرج من تلك الغمة التي نزلت به.

ومن ذلك ما كتبه أبو عامر بن شهيد لصديقه أبي محمد علي بن حزم الشافعي في علته التي اعتلها بهذه الأبيات [2]:

ولما رأيتُ العيشَ وَلّى برأسه	وأيقنتُ أنَّ الموْتَ لا شكَّ لاحقي
تمنيتُ أني ساكنٌ في غيابةٍ	بأعلى مهبِّ الريحِ في رأسِ شاهقِ
أذرُّ سقيطَ الحبِّ في فصلِ عيشةٍ	وحيداً وحسبي الماءُ ثني المعالقِ

ومن جواب ابن حزم له [3]:

أبا عامرٍ ناديتُ خلاً مصافياً	يفديكَ من دهمِ الخطوبِ الطوارقِ
وألفيتُ قلباً مخلصاً لك ممحضاً	بودِّكَ موصولِ العُرَى والعلائقِ
شدائدُ يجلوها الإلهُ بلطفه	فلا تيأسَ إنّ الدّهرَ جمُّ المضايقِ

ومن أشعار المراجعات ما كتبه الوزير ابن محمد عبدون لأبي الحكم عمرو بن مذحج بأبيات يقول فيها [4]:

سلامٌ كما هبّتْ من الحزنِ نفحةٌ	تنفّسَ قبلَ الفجرِ في وجهِها الزهرُ
منَ الوارفِ الفينانِ وشّتْ برودَهُ	ذراعُ من الليثِ، الثريّا له شبرُ

---

(١) المصدر نفسه: ١٢٢ - ١٢٣.
(٢) الذخيرة: ق ١ م ١: ٣٢٩.
(٣) المصدر نفسه: ق ١ م ١: ٣٣٠.
(٤) المصدر نفسه: ق ٢ م ٢: ٥٩٠.

وإلاّ يـــدُ حـــزميـــةٌ مذحجيـــةٌ تقـــشّعَ عـــنها مذحـــجٌ فانهمى عمرو

راجعه أبو الحكم بأبيات منه [1]:

أتـــى النظمُ كالنظمِ الذي تزدهي به عـــروسٌ مـــن الجوزاءِ اكليلُها البدرُ
تَحلّـــتْ لنـــا منه بخطّك رقعـــةٌ هـــي الروضـــةُ الغنّاء كلّلهـــا الزّهرُ
تَحيّـــرَ ذهـــني في محـــاري صفـــاته فلـــم أدرِ شـــعرٌ ما به فُهْتَ أم سحرُ

إنّ نظـــرة متأنيـــة إلى قصيدتي المحاوبة والمراجعة المتقدمتين تجعلنا نقرر باطمئنان استبعاد مثل هذه القصائد عن موضوع دراستنا للمعارضات الشعرية، للأسباب التي أشرنا إليها فيما تقدم.

٤ – المعارضة في النشاط الثقافي والحضاري:

حـــاءت المعارضـــة في النشاط الثقافي والحضاري في الأندلس نتيجة لشدة تعلق الأندلـــسيين بالمشرق، وقد وصف ابن بسام هذا التعلق بقوله: ((إلاّ أن أهل هذا الأفق، أبـــوا إلاّ متابعة أهل المشرق، يرجعون إلى اخبارهم المعتادة، رجوع الحديث إلى قتادة، حـــتى لو نعق بتلك الآفاق غراب، أو طنّ بأقصى الشام والعراق ذباب، لجثوا على هذا صنماً، وتلوا ذلك كتاباً محكماً، ...)) [2].

وكـــان لهـــذه المنزلة الكبيرة للمشرق وأهله في نفوس الأندلسيين أثرٌ بارز، جعل المـــشارقة المـــثل الأعلى الذي على غراره يضربون وعلى منواله ينسجـــون، واتسمت المعارضة بشكل واضح في مرافق الحياة الأندلسية كافة، فضلاً عن المعارضة فـــي الشعر الذي هو موضوع دراستنا، والتي سنعرض لها فيما بعد، وهي حـــرة من ظاهـــرة عامة اشتملت عليها الحياة الأندلسية.

وقد خلع النقّـــاد الأندلسيون أسماء شعـــراء المشرق على شعرائهـــم لكثرة أحد الـــشعراء الأندلـــسيين لقصائد المشارقة معنىً ومبنىً، فقالوا عن أبي الأخرس جعونة بن الـــصمة الكلابي (عنترة الأندلس) [3] وكان فارساً شجاعاً، وعن مؤمن بن سعيد (دعبل

(١) الذخيرة: ق ٢ م ٢: ٥٩٠ – ٥٩١.
(٢) المصدر نفسه: ق ١ م ١: ١٢.
(٣) المغـــرب في حلى المغرب: ١ /١٣١، لابن سعيد المغربي، تح: د. شوقي ضيف، ط ٢، القاهرة ١٩٥٥.

الأندلس) [١] لأنه تميز في الهجاء حتى كان يهاجي ثمانية عشر شاعراً ويتفوق عليهم [٢]، وعن أحمد بن محمد الكناني (ديك الجن) [٣] وكان يهاجي مؤمن بن سعيد، وعن أبي هانئ الأندلسي (متنبي المغرب) [٤]، وعن مروان بن عبد الرحمن الطليق قالوا: كان في بني أمية شبه عبد الله بن المعتز في بني العباس بملاحة شعره وحسن تشبيهه[٥]، وعن يوسف بن هارون الرمادي قالوا: ((فتح الشعر بكندة وختم بكندة)) [٦]، وأبي الحسن علي بن إسماعيل القرشي الأشوني كانوا يشبهونه بأبي العتاهية في زمانه [٧]، وعن أبي عبد الله بن محبر (بحتري الأندلس) [٨]، ولقبوا ابن دراج وأبا طالب عبد الجبار بـ(المتنبي) [٩]، وحمدة بنت زياد بـ (خنساء المغرب) [١٠]، وابن زيدون (بحتري المغرب) [١١]، وابن اللبانة بـ (سوأل الشعراء) [١٢]، وأبي الربيع سليمان بن علي بـ(كثير) [١٣]، وابن خفاجة (صنوبري الأندلس) [١٤]، ولقبوا أبا العباس أحمد بن عبد الله التطيلي الأعمى (معري الأندلس) [١٥] ويرى كراتشكوفسكي أن الصلة بينهما هي العمى حسب [١٦]،

---

(١) المصدر نفسه: ١ / ١٣٣.
(٢) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة: ١٧٣.
(٣) المغرب في حلى المغرب: ٢ / ٥٨.
(٤) تاريخ النقد العربي في الأندلس: ٤٢ د. محمد رضوان الداية، ط ١، بيروت ١٩٨٠.
(٥) نفح الطيب، طبعة محيي الدين عبد الحميد: ٥ / ١٢٤.
(٦) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: ٣٤٦.
(٧) تأريخ النقد الأدبي في الأندلس: ٤٤.
(٨) رايات المبرزين وغايات المميزين: ١١١، تح: د. النعمان عبد المتعال القاضي، القاهرة ١٩٧٣.
(٩) ينظر: أبو طالب بن عبد الجبار في: الذخيرة: ق ١ م ١: ٢٤، وابن دراج في: النفح، وفي اليتيمة: ٤ / ١٨٤.
(١٠) المغرب في حلى المغرب: ٢ / ١٤٥.
(١١) نفح الطيب: ٣ / ١٧٧.
(١٢) المغرب في حلى المغرب: ٢ / ٤١١.
(١٣) رايات المبرزين: ٢٩.
(١٤) أدب المعارضة والأندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه العربية: ١٣، محمد رضا الشبيبي، القاهرة ١٩٦١.
(١٥) رايات المبرزين: ١٢٤.
(١٦) دراسات في تأريخ الأدب الجغرافي: ٨٥ كراتشكوفسكي، موسكو ١٩٦٥.

ولقــوا أبــا عــبد الله محمد بن غالب الرّصافي (ابن الرومي) [١]، وأبا بكر المخزومي بــ(بشار) [٢]، ولم تقتصر هذه الألقاب المشرقية على الشعراء الأندلسيين، بل تعدت إلى غيرهم من العلماء والأدباء فقالوا عن ابن طفيل: (ابن سينا الأندلس)، وعن ابن عبد البر (حــافظ المغــرب)، كما قيل للخطيب البغدادي (حافظ المشرق) [٣]، ولقب الكاتب محمد بن سعيد الرحالي بــ(الأصمعي) [٤].

والمعارضــة ماثلة أمامنا في النثر الأندلسي أيضاً، وفي ضروبه المختلفة، وقد وضع الأدبــاء الأندلــسيون المصنفات معارضين بها المشارقة، وهذا ابن عبد ربه ألّف كتاب ((العقــد)) محاكياً ابن قتيبة في ((عيون الأخبار)) [٥]، وابن بسام في ((الذخيرة)) يحاكي الــثعالبي في ((يتــيمة الدهــر)) [٦]، ويشير أحد الباحثين [٧] إلى أن الأدباء والكتّاب في الأنــدلس كــان شائعاً عندهم في عصر السرقسطي (ت ٤٢٨ هــ) أن يشئوا رسائل ومقــالات وكتــباً في معارضة المعري في نثره بخاصة وبطل موقف أبي الطاهر محمد بن يوســف التميمي المازني السرقسطي، من نثر المعري غريباً، لأنه قلّده في لزوم مالا يلزم، وأغــرق أسلوبه بتعقيدات كثيرة، فهو إلى هذا اللزوم بنى بعض مقاماته على طرائق أكثر تعقيداً [٨].

ووضع ابن عبد الغفور الكلاعي، ثلاثة كتب في معارضة أبي العلاء المعري أولها: الساجعة والغربيب: ألفه لمعارضة أبي العلاء في كتابه ((الصاهل والشاحج)) [٩]. وثانيهما ((الــسجع الــسلطاني في معارضــة أبي العلاء))، ولأبي العلاء كتاب بهذا العنوان أيضاً.

---

(١) المغرب في حلى المغرب: ٢ / ٣٤٣.
(٢) المصدر نفسه: ١ / ٣٤٣.
(٣) أدب المغاربة والأندلسيين: ١٣.
(٤) النفح: ٥ / ٨٢.
(٥) العقد الفريد، الجزء الأول، مقدمة المحققين ص: (ح).
(٦) الذخيرة: ق ١ م ١: ٣٢.
(٧) تــاريخ النقد الأدبي في الأندلس: ٣٥٧، وتنظر: المقامات اللزومية، تح: د. بدر أحمد ضيف، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، الأسكندرية ١٩٨٢.
(٨) أحكام صنعة الكلام لأبي القاسم الكلاعي: ٢٦، تح: د. محمد رضوان الداية، ط بيروت ١٩٦٧.
(٩) المصدر نفسه: ٥٢٦.

وثالثهما: حطة الاصلاح، عارض فيها خطبة الفصيح للمعري أيضاً [١].

وألّـف أبـو عمر أحمد بن محمد بن فرج الجيّاني ((كتاب الحدائق)) معارضاً لـ ((كتاب الزّهرة)) للأصبهاني [٢] للحكم المستنصر (ت ٣٦٦هـ)، إلاّ أن الأصبهاني ذكر مائـة باب، في كل باب مائة بيت، وأورد الجياني مائتي باب في كل باب مائتا بيت ليس منها باب تكرر اسمه للأصبهاني، ولم يورد فيه لغير أندلسي شيئاً [٣]، والجياني في مؤلفه هـذا يكـون قد جاء بضعف ما جاء به الأصبهاني، محاولاً اظهار تفوق الأندلسيين على المشارقة.

وألّف أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي كتاب ((الحديقة)) محاكياً فيه الثعالبي في ((يتيمة الدهر)) [٤]، وألّف الطرطوشي كتاباً عارض به إحياء علوم الدين للغزالي [٥]، وألّف أبو عبد الله بن أبي الخصال كتاب ((المنهج)) عارض به كتاب الثعالبي ((المبهج)) [٦]، وألّف ابن زيدون كتاباً في تأريخ خلفاء بني أمية في الأندلس، سمّاه التبيين على مربع التعيين في خلفاء المشرق للمسعودي [٧]. ولابن شرف القيرواني كتاب ((الزمان)) عارض به كتاب ((كليلة ودمنة)) [٨].

وقد اهتم الحكم المستنصر بالمختارات الأدبية، ووجه عناية فائقة في تطلعه إلى معارضة المشارقة في فنون التأليف والأدب، وقد قام عبد الله بن معيث المعروف بابن الصفار على عهده بجمع أشعار الخلفاء من بني أمية في المشرق والأندلس وجعل منها كتاباً على غرار الأوراق للصولي [٩].

ووضع أبو القاسم عامر بن هشام الأموي القرطبي مقصورة عارض بهـا مقصورة

---

(١) المصدر نفسه: ٢٨.
(٢) الذخيرة: ق ١ م ١: ١٣.
(٣) المطرب في أشعار أهل المغرب: ٥ لابن دحية، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥٤.
(٤) وفيات الأعيان: ١ / ١١٢ لابن خلكان.
(٥) بغية الملتمس في ذكر ولاة الأندلس: ١٢٥.
(٦) فهرسة ابن خير الإشبيلي: ٣٨٦، ط ٢، بيروت ١٩٦٣.
(٧) نفح الطيب: ٢ / ١٢٣.
(٨) المطرب في أشعار أهل المغرب: ٦٧.
(٩) جذوة المقتبس: ٢٥٢، وينظر: تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس: ٧٤.

ابـــن دريد [1]، وصنّف الشاعر يوسف بن هارون الرمادي في السجن كتاباً سمّاه كتـــاب الطير في أجزاء وكله من شعره، وصف فيه كل طائر معروف، وذكر خواصه، وذيّل كل قطعـــة بمدح ولي العهد هشام بن الحكم مستشفعاً به إلى أبيه إطلاق سراحه، وهو كتاب يصفه الحميدي بأنه ((مليح سبق إليه)) [2]، وعبارة الحميدي توحي بوجود نظير مشرقي للكتاب، حذا الرمادي حذوه.

ووضـــع ابـــن شهيد ((حانوت عطار)) ولا نعلم عنه شيئاً، غير أنه كتاب ضائع للجاحظ ربّما عارضه ابن شهيد [3]، وألّف ابن الإقليشي الزاهد كتاباً أسماه: ((النجم من كـــلام ســـيد العرب والعجم)) عارض به ((الشهاب القضاعي)) [4]، وألّف المطهّر بن الأفطس (٤٣٧ - ٤٦١هـــ) صاحب بطليموس كتاب ((المظفري)) عارض به ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة، قال المراكشي في ((المعجب)) وقفت على أكثره [5].

وألّـــف الحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي كتاباً سماه ((جهد النصيح)) في معارضـــة المعري في خطبة الفصيح، ثم عارضه في كتاب آخر سماه ((مفاوضة القلب العلـــيل ومنابذة الأمل الطويل بطريقة المعري في ملقى السبيل)) [6] - وألّف الرشاطي المحدِّث كتاباً أسماه ((اقتباس الأنوار)) وقد عارض به كتاب ((الأنساب)) للسمعاني [7].

وفـــضلاً عن هذه المصنفات الكثيرة التي عارض بها الأندلسيون المشـــارقة، فقد عني الأندلسيون بمعارضة مقامات المشارقة أيضاً، ويشير الدكتور إحسان عبـــاس إلى أنّ مقامـــات بديـــع الزمان ورسائله وصلت الأندلس في عصر سيادة قرطبة، وكان من أول المـــتذوقين لهـــا الناســـجين علـــى منوالها، ابن شهيد، وأكثر ما أعجبه فيها تلك القطع

---

(١) برنامج شيوخ الرعيني: ١٩٧، تح: إبراهيم شبّوح، دمشق ١٩٦٢.

(٢) جذوة المقتبس: ٣٧٢؛ وينظر: تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس: ٧٤.

(٣) ابن شهيد الأندلسي: ٩١حياته وآثاره، شارل بلا، بيروت ١٩٦٥.

(٤) تاريخ الأدب العربي، بروكلمان: ٦ / ٢١٣؛ وينظر: الاتجاه الإسلامي: ١٧٢.

(٥) المعجـــب في تلخـــيص أخبار المغرب: ١٢٨، عبد الواحد المراكشي، تح: محمد سعيد العريان، القاهرة ١٩٦٣ م.

(٦) الانتـــصار ممـــن عـــدل عـــن الاستبصار لابن السيد البطليوسي، المقدمة، ص: ت، تح: حامد عـــبد المجـــيد، القاهـــرة ١٣١٩هـــ. نقلاً عن تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري: ٣٤.

(٧) أدب المعارضة والأندلسيين: ١٢.

الوصفيـــة، ولذلك أنشأ على مثالها قطعاً في وصف الماء والبرغوث والحلوى [١].

كمـــا عارض أبو المغيرة ابن حزم رسالة لبديع الزمان في العلام الذي خطب إليه ودّه بعد أن عدّد معارضها بأخرى [٢].

ولقـــد حظـــيت مقامـــات الحريري باهتمام كبير لدى الأندلسيين فاق اهتمامهم بمقامـــات بديع الزمان، ولعل سرّ ذلك يرجع إلى الصلة بين الأندلسيين والحريري، فقد وجد منهم من سمع من مقامته [٣]. ويشير أحد الباحثين إلى أن الأندلسيين انصرفوا إليها بالمدارســـة والـــرواية والشرح والمعارضة، وفشا فيهم ذكرها حتى قال ابن سعيد عنها: ((إنها شرّقت وغرّبت حتى صار ابتذالها عيبها)) [٤].

وممـــن عارض الحريري في مقاماته من الأندلسيين ابن شرف القيرواني، وقد أورد ابـــن بسام في الذخيرة طرفاً من أخباره وآثاره وقال: ((لابن شرف مقامات عارض بها الـــبديع في بابـــه، وصبّ فيها على قالبه، منها مقامة فيها بعض طول، لكنه غير مملول، آخـــذة بطرف مستطرف من أخبار الأدباء، وذكر الشعراء)) [٥]، وفيها عرض للشعراء المشارقة الجاهليين والإسلاميين وأصدر في خاتمتها أحكاماً نقدية لشعراء أندلسيين وهم: ابـــن عبد ربه القرطبي، ومحمد بن هانئ الأندلسي، والقسطلي [٦] وله مقامات أخرى في مسائل عامة [٧].

كما عمل الوزير أبو الوليد محمد بن عبد العزيز المعلم، مقامات أندلسية عارض بها المقامـــات المـــشرقية التي عملها الحريري والهمداني [٨]، ويشير أحد الباحثين [٩] إلى أن المقامات التي عارض بها أصحابها البديع والحريري كثيرة، وبعضها مجموع في كتاب مثل

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين: ٣٠٣

(٢) الذخيرة: ق ١ م ١: ١٤٠.

(٣) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين: ٣٠٣.

(٤) تـــاريخ النقد الأدبي في الأندلس: ٢١٧ د. محمد رضوان الداية، نقلاً عن: المرقصات والمطربات لابن سعيد، تح: دار محمد ومحيو، بيروت ١٩٧٣.

(٥) الذخيرة: ق ٤ م ١: ١٩٦ - ١٩٧.

(٦) المصدر نفسه: ق ٤ م ١: ١٩٨ - ٢١١.

(٧) المصدر نفسه: ق ٤ م ١: ٢١٢.

(٨) الذخيرة: ق ٢ م ١: ١١٣ - ١٢٠.

(٩) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: ٢١٨.

((المقامات اللزومية)) للسرقسطي الأشتركوني.

وعمـل الأديـب الكاتب أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال مقامات في معارضة الحريـري ومقامـة ابـن أبي الخصال بطلها الحارث بن الهمام وصاحبه المتنكر أبو زيد السروجي، ومن الملاحظ على معارضـة ابن أبي الخصال أنه لم يغيّر فيها الاسمين اللذين اخترعهما الحريري في مقاماته [1].

كمـا التزم السرقسطي خُطى الحريـري في المقامة فألّـف خمسين مقامة عارض بها الحريري حتى من الناحية العددية، إلاّ أنها كانت على طريقة أبي العلاء، فقد تأثر بطبيعة سجعه إذ بناها على لزوم مالا يلزم [2].

وعمل الفتح بن خاقان مقامة على ابن محمد البطليوسي، تسمى ((القرطبية))، وهي على نسيج المشرقية في أن بطلها المتخيل يحمل اسم ((علي بن هشام)) [3].

ولم تقتصر معارضة الأندلسيين للمشارقة، بل لاحظناها فيما بينهم أيضاً، ولاسيما معارضـة أبي الوليد إسماعيل بن محمد المعروف بحبيب صاحب كتاب ((البديع في فصل الربيع)) لابن برد الأصغـر في رسالة الربيع التي وردت إلى حبيب من ابن برد فكتب إليه حبـيب رسـالة في الربيع عارضـه فيها، وقد أشـار ابن بسـام إلى هـذه المعارضة بقوله: ((ووجدت لأبي الوليد هذا رسالة عارض بها أبا حفص بن برد في رسالته في تقديم الورد على سائر الأزهار ...)) [4].

واتسـمت المعارضة في الأندلس بالسمة الحضارية، فقد استعار الأندلسيون أسماء الحواضر المشرقية، وصرنا نسمع الحواضر الأندلسية بأسماء مشرقية، تشبهاً بتلك الحواضر، فـسموا ((إشبيلية بحمص، وفاس بغداد، وأحدثوا بلدة أسموها البصرة تشبيهاً لها ببصرة العراق)) [5]، وشريش فلسطين، وجيان قنسرين [6]، وغرناطة دمشق. ويحدثنا ابن سعيد

(١) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين: ٣١٦.
(٢) المصدر نفسه: ٣١٧.
(٣) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين: ٣١٤.
(٤) الذخيرة: ق ١ م ١: ١٢٧.
(٥) أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه العربية: ١٣.
(٦) العـرب في الأنـدلس: ٢٧، جورج عريب، سلسلة الموسوع في الأدب العربي رقم (٢١)، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت – لبنان (د. ت).

المغربي [١] عن سبب تسميتها فيقول: ((وأنا أقول إنها سميت دمشق الأندلس، أحسن من دمشق، لأن مدينتها مطلّة على بسيطها متمكنة في الإقليم الرابع المعتدل، مكشوفة للهواء من جهة الشمال، مياهها تنصبّ إليها من ذوب الثلج ... لا يأخذها وصف ولا يصف في ذكـــرها إلاّ الــــرؤية))، وتابعة المقري [٢] في نفح الطيب، وبيّن سبب تسمية غرناطة دمشـــق.

وقـــد حـــرص عبد الرحمن الداخل أن يجعل من قرطبة صورة أخرى لدمشق في مبانيها وحدائقها ونافورات مياهها وأزهارها، حتى إنه كان يرسل رسله إلى الشام لجلب أشجار الفاكهة إلى قرطبة [٣].

وأشـــار أحـــد الباحثين [٤] إلى أن المعارضة ظهرت عند ملوك الطوائف فأخذوا يقلـــدون خلفـــاء بني العباس في المشرق، فتلقبوا بألقابهم، مقتفين أثر بعض أسلافهم في عهـــود الخلافة في الأندلس، فصرنا نسمع بالمنصور، والمستعين، والمؤيد، والمستظهر، والمعتمد، وهذه الألقاب كانت لا تعني في كثير من الأحيان إلاّ التشبه بأعلام المشرق مع ذهـــاب الوصف الصحيح عنها، لذلك ضاق الناس ذرعاً من هذه الألقاب، وهجوا على الأنـــدلس التي بلغت حد التخاذل أما الأعداء وملوكها يرفلون بالتعظيم، وقد صوّر هذه قـــول ابـــن رشـــيق الذي تقدم ذكره [٥]، وهكذا بدت لنا واضحة روح المعارضة عند الأندلسيين للمشارقة في جلّ حياتهم.

٥ – دواعي المعارضات:

لمـــاذا المعارضة الشعرية في الأندلس ؟ هذا ســـؤال قديم جديد أردنا الاجابة عليه في هـــذا البحث، والوصول إلى إجابة مقنعة، علينا أنْ نقف على الدواعي الحقيقية التي جعلت من المعارضة الشعرية الأندلسية ظاهرة تستحق الدرس.

ودلـــنا البحث أن هذه الدواعي تفترق إلى مفترقيـــن منها ما هو عام ومنها ما هو

---

(١) المغرب في حلى المغرب: ٢ / ١٠٢ – ١٠٣.

(٢) نفح الطيب: ١ / ١٤٨.

(٣) المصدر نفسه: ٢ / ١٥؛ ويُنظر: دراسات في الأدب الأندلسي: ١٥ د. سامي مكي العاني.

(٤) يُنظر: بحث جرائيل (المعتمد الملك الشاعر)، مجلة الأبحاث البيروتية، ٢ / ١١٧، السنة (١٦)، حزيران ١٩٦٣.

(٥) يُنظر: بحثنا: ص ٩.

خــاص، أما العام منها، فهو ما اتخذ طابعاً جماعياً شارك فيه الأندلسيون المعنيون بالشعر الأندلـــسي والمشرقي معاً، ووجدنا أن الدواعي العامة عند الأندلسيين تتمثل في نزعتين متميزتين.

الأولى: نزعة الإعجاب والتقليد.

الثانية: نزعة التفوق والإبداع.

وســـنعرض لهاتين النزعتين في موضعهما، أما الدواعي الخاصة فقد اتخذت طابعاً فردياً وعنيت بالشعر الأندلسي والمشرقي معاً، كما سنرى.

١ – الدواعي العامــة:

أ – نزعة الاعجاب والتقليد:

اخـــتلف الباحثون في النظر إلى هذه النزعة، فمنهم من رأى في أوجه التشابه بين الشعرين الأندلسي والمشرقي مجرد تقليد ومحاكاة، متبعين أقوال الأندلسيين أنفسهم في هذا المضمار، فهذا ابن بسام يقول: ((إنَّ أهل هذا الأفق أبوا إلاَّ متابعة أهل المشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة، رجوع الحديث إلى قتادة، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب، أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب، لجثوا على هذا صنماً وتلوا ذلك كتاباً محكماً)) [(١)].

ومعنى قول ابن بسام أن أهل الأندلس يقلدون أهل المشرق في كل شيء حتى بلغ الأمر بهم درجة التقليد الأعمى، لأنهم يرونهم المثل الأعلى.

وقد جارى الأستاذ أحمد أمين ابن بسام في رأيه هذا بقوله: ((وأياً ما كان، فشعراء الأندلس في نظرنا لم يفلحوا كثيرا في استقلالهم عن الشرق، وابتكارهم، وتجديدهم كما لم يفلح في ذلك اللغويون والنحويون والصرفيون، ولذلك لو أغمضنا أعيننا وجهلنا قائل القصيدة: أهو شرقي أم أندلسي، لم نكد نحكم حكماً صحيحاً حازماً على الشاعر أغربي هو أم شرقي، ولذلك كثيراً ما تنسب بعض الأبيات إلى أندلسي، وينسبها بعينها بعضهم إلى مـــشرقي لعـــدم التمييز الواضح، حتى عند الخبراء ... ولو كانت شخصية الأندلس واضحة في شعر أهلها، لصعب نسبة أبيات أندلسية إلى شاعر شرقي)) [(٢)].

---

(١) الذخيرة: ق ١ م ١: ١٢.

(٢) ظهر الإسلام: ٣ / ١٠٤ – ١٠٥، أحمد أمين، ط ٥، مصر ١٩٨٢.

ولو تتبعنا القائلين (1) بتقليد الأندلسيين للمشرق لوجدنا عدداً كبيراً منهم قد وافق الأستاذ أحمد أمين في رأيه، ولعلّ ما يعزز تمسكهم بهذا الرأي هو تصريح اعلام الأندلسيين أنفسهم بذلك، فهذا ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) يقول: ((ولقد عرض لي في الصبا هجر مع بعض من كنت آلف على هذه الصفة وهو لا يلبث أن يضمحل ثم يعود، فلمّا كثر ذلك قلت على سبيل المزاح شعراً بديهياً ختمت كل بيت منه بقسم من قصيدة طرفة بن العبد المعلقة ... وهي:

تذكّرتُ وداً للحبيب كأنّه ((لخولة أطلالٌ ببرقة ثهمد))

وعهدي بعهد كانَ لي منه ثابتٌ ((يلوحُ كباقي الوشم في ظاهرِ اليد))

وقفتُ به لا موقناً برجوعه ((ولا آيساً أبكي وأبكي إلى الغد))

إلى أنْ أطالَ الناسُ عذلي وأكثروا ((يقولون لا تهلكْ أسىً وتجلّد)) (2)

معملية تضمين ابن حزم لأبيات طرفة بن العبد من قصيدته ما هي إلاّ تقليد للمشارقة، وابن حمديس (ت ٥٢٧ هـ) يشير في ديوانه صراحةً أيضاً إلى تقليده لمذهب أبي نواس في موقفه الرافض للبكاء على الأطلال في مطالع القصيدة العربية، ويفضل الابتداء بوصف الخمرة، فيقول:

خلعتُ على نُبَيّات الكروم محاسن ما خُلِعْنَ على الرسومِ

أخذتُ بمذهب الحكميّ فيها وكيف أميلُ عن عرضِ الحكيمِ

وما فضل الطلولِ على شَمُولِ تمجُّ المسك في نَفَسِ النسيمِ

---

(1) بلاغة العرب في الأندلس: ٣٥ د. أحمد ضيف، القاهرة ١٩٢٤، الأدب الأندلسي: ١٠٣ أحمد بلا فريج، عبد الجليل خليفة، الشعر الأندلسي: ٧٦ - ٧٧، غرسية غومس، ط ٢، القاهرة ١٩٥٦، قضايا أندلسية: ٤٥ د. بدير متولي حميد، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث: ٤٠، بطرس البستاني، ط ٦، بيروت ١٩٦٨، الفن ومذاهبه في الشعر العربي: ٤١٧ د. شوقي ضيف، ط ٧، القاهرة ١٩٦٩، دراسات أدبية في الشعر الأندلسي، د. سعد إسماعيل شلبي، ١٩٦٥، ط ١، القاهرة ١٩٧٣، الطبيعة في الشعر الأندلسي: ١٦، جودت الركابي، دمشق ١٩٧٠، بحث د. علي الزبيدي، (شخصية الأدب الأندلسي: ١١٠) المنشور في مجلة الجامعة المستنصرية، ع (٢) لسنة (٢) ١٩٧١، تاريخ الأدب العربي: ٤ / ١٩٧ د. عمر فروخ، بيروت ١٩٨١.

(2) طوق الحمامة في الألفة والألاف: ١٠٠ لابن حزم، ضبطه د. الطاهر أحمد مكي، ط ١، مصر ١٩٧٥.

يُجَـدِّدُ حبّهـا فـي كلِّ قلـبٍ إذا صلتّـهُ مـن صـدإ الهمومِ [١]

وابـن خفاجة (ت ٥٣٣ هـ) اعتمد تقليد عبد المحسن الصوري في مواضع متعددة من قصائد الديوان منها قوله: يتغزل في طريقة عبد المحسن الصوري:

يـا نـزهة الـنفس يـا مناها يـا قُـرّةَ العـينِ يـا كـراها

أمـا تـرى لي رضـاك أهـلاً وهـذه حالتـي تـراهـا

فاسـتدرِك الفـضلَ يـا أبـاهُ في رمـق الـنفسِ يـا أخاهـا

قـسوت قلـباً ولـنت عطفـاً وعِفـتَ مـن ثمـرةٍ نـواها [٢]

وقلّـد ابـن خفاجة ابن الرومي [٣] في ذمّه للورد، فضلاً عن تقليده طريقة مهيار الديلمي في ذكر نجد ومواضعها ومنها قوله:

وهـل عـند نجد أنّ عنديَ أدمعا تَـصوبُ وشـجواً بيـنهنّ يطولُ

فـيا حـيِّـم نجـد تهامـةٌ ونجـد وَوَجْـدٌ للـسُّرى وذَ ميلُ

ويـا ريمَ نجـدٍ والعوادي كثيرةً بحكـم اللّـيالي والوفاءُ قليلُ [٤]

وأشـار الدكتور عبد العزيز عتيق [٥] إلى أنّ القائلين بدعوى التقليد قد استندوا إلى عدة مسلّمات لاحظوها في الأدب الأندلسي أهمها:

١ - المعارضـة في النشاط الثقافي والتي أشرنا إليها آنفاً، نحو تلقيب الأندلسيين أنفسهم بأسماء مشرقية، على نحو ما أشرنا إليه سالفاً [٦].

٢ - التطابق التام أحياناً بين الشاعر الأندلسي والمشرقي في طريقة النظم، كالتطابق الحاصل بين قصيدتي أبي نواس ويحيى بن الحكم الغزال وقصيدة أبي نواس مطلعها:

---

(١) ديـوان أحمـد بـن حمديس، تح: د. إحسان عباس، القصيدة رقم (٢٨٣)، دار صادر، بيروت ١٩٦٠.

(٢) ديوان ابن خفاجة، القصيدة (١٧)؛ تح: د. السيد مصطفى غازي، مصر ١٩٦٠، وتنظر: قصائد أخرى في الديوان: ٧٥؛ ١٤٧، ١٨٨، ١٨٩.

(٣) الديوان: القصيدة (٦٣).

(٤) الديوان: القصيدة (٢٣٣).

(٥) الأدب العربي في الأندلس: ١٦٠ - ١٦٢ د. عبد العزيز عتيق، ط ٢، بيروت ١٩٧٦.

(٦) ينظر الفصل الأول: ٤٨ - ٥٠.

لقد طالَ في رسم الديار بكائي وقد طالَ ترددي بها وعنائي [(١)]

أما قصيدة يحيى بن الحكم الغزال المستهلة بقوله:

ولما رأيت الشرب أكدَتْ سماؤهم تأبطتُ زقّي واحتسبــتُ عنائي [(٢)]

وقـــد مـــرَّ بنا هذا التطابق فيما تقدم حينما أورد ابن دحية [(٣)] انشاد الغزال لهذه القصيدة وادعائه بأنها لأبي نواس في مجلس من مجالس اللهو في بغداد.

٣ – محاكـــاة الشاعر الأندلسي لصنوه المشرقي في النسج على منواله في موضوع واحد، ووزن واحد، وقافية واحدة، فهارون الرشيد مثلاً يقول في جواريه قصيدة مطلعها:

مَلَكَ الثلاثُ الآنسات عناني وحَلَلْنَ مـــن قلبي بكلِّ مكانِ [(٤)]

ويـــأتي ســـليمان بن المستعين الأموي (ت ٤٠٣ – ٤٠٧ هــ) فيعارض الرشيد بقصيدته التي مطلعها:

عَجَباً يَهابُ الليثُ حَدَّ سناني وأهابُ لحظَ فواترِ الأجفانِ [(٥)]

ويـــرى أحد الباحثين: ((أن هذه الاعتبارات وأمثالها هي التي دعت بعض مؤرخي الأدب العـــربي إلى القول بالتقليد في الشعر الأندلسي، وعدم وضوح الشخصية الأندلسية فيه، وبالتالي نفي صفة الاستقلال الذاتي منه)) [(٦)].

إلاّ أنّـــنا لا يمكـــن أن نستسلم لهذه الدعوى ولأصحابها لأنها تحاول طمس معالم شخصية الشعر الأندلسي، لذلك قام عدد من الباحثين لينظر إلى مسألة التقليد نظرة أكثر واقعية وموضوعية ومنهم الباحثان أبو القاسم محمد كرّو وعبد الله شرّيط فقالا: ((إن من صـــعب النظـــر الحـــديث عن تقليد المغرب للمشرق، وهو حديث أفاض فيه القدماء والمعاصـــرون مـــن مؤرخـــي الأدب العربي، حين رأوا في أوجه التشابه هذه مجرد تقليد ومحاكاة ....

أمـــا المعاصـــرون فقد ساروا على هذا المنوال، فقلّدوا القدماء وقالوا بقولهم ولم

---

(١) ديوان أبي نواس: ٣٥٨.

(٢) نفح الطيب: ٢ / ٢٦٠ – ٢٦١.

(٣) المطرب: ١٤٧ – ١٤٨.

(٤) الذخيرة: ق ١ م ١: ٤٧ والقطعة الشعرية (٣) أبيات.

(٥) الذخيرة: ٤٧ – ٤٨ والقطعة الشعرية (١٠) أبيات.

(٦) الأدب العربي في الأندلس: ١٦٢ د. عبد العزيز عتيق.

يحاولوا أن يبحثوا القضية في ضوء طرائق التحليل العلمي الحديث ...)) [١].

وقريب من هذا يراه الدكتور إحسان عباس: ((... وليس من السهل أن يقال أن الشركة في الموضوع تدل على تقليد أو محاكاة لأن مواد الحياة في طور حضاري ما قد تكون متشابهة وهي التي تصنع الموضوع الشعري، ولكن حين نجد التشابه في الشكل والطريقة وحين تكثر المعارضة أو السرد، وحين تستغل الصور نفسها في الموضوع الواحد، فحينئذ يمكننا القول بالتقليد والمحاكاة ...)) [٢]، ويلتقي مع الدكتور عبد العزيز عتيق في هذا الرأي [٣].

وقد نظر الدكتور حازم عبد الله باعتدال إلى مرحلة التقليد ووحدانه نظرةً لا بد أن يجوصها الأديب المبتدئ ليتنقل إلى مرحلة أكثر نضجاً، عرفت بالتجديد فهو يقول: ((التقليد ... ظاهرة عامة ولازمة للأدب بحيث لو حاول أحد الشعراء أن يكون مجدداً في فترة التقليد هذه لما أمكنه ذلك لأنه لا يملك من الطبع والقابلية ما يعينه على التجديد، فلا نكاد نجد طبقة من شعراء الأندلس تصل إلى درجة طبقة الفحول كالمتنبي وأبي تمام وابن الرومي وأبي نواس ...)) [٤].

وهذه نظرة منطقية جاءت منسجمة مع الواقع، تحمل في ثناياها روح الدفاع عن بداية التقليد في الشعر الأندلسي.

إلاّ أني أرى أن هناك حالة من الاعجاب بعمل شعري معين تخامر الشاعر أولاً ثم ينتقل بعد ذلك إلى التقليد، فالشاعر الأندلسي يطلع على أشعار غيره سواء أكانوا مشرقيين أم أندلسيين بوسائل الاطلاع المعروفة – المتمثلة بالرحلات العلمية – من الأندلس وإليها، أو ما نقله الرحالة، من آثار شعرية مشرقية مهمة – فاطلاع الشعراء الأندلسيين على هذه الآثار الأدبية القيّمة، أدى إلى إعجابهم بها إعجاباً كبيراً، ومن ثم أولوها جلّ اهتمامهم دراسةً وتحليلاً ومعارضةً.

ولا بد من الاشارة إلى نمو الذوق عند الأندلسيين من خلال تذوقهم لدرر الشعر المشرقي، فلم تأت المعارضة إلاّ نتيجة ثقافة أدبية ونقدية واسعة، تحلى بها الأندلسيون

(١) شخصيات أدبية من المشرق والمغرب: ١٤٨.
(٢) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة: ١٢٥.
(٣) الأدب العربي في الأندلس: ١٦٤ – ١٦٥.
(٤) ابن شهيد الأندلسي حياته وأدبه: ١٢٨ د. حازم عبد الله خضر.

من خلال اختيارهم لأروع القصائد المشرقية للنسج على منوالها، وقد أشار الدكتور محسن جمال الدين إلى هذه الناحية بقوله: ((ونحن إذا أحلنا النظر في دواوين شعراء الأندلس وفي البقايا من أشعارهم مما تضمّنها المجاميع والكتب الأدبية وجدنا أن أبناء تلك البلاد ممن بهرتهم روائع أهل المشرق قد عارضوها)) [١].

وتلتقي هنا مع الأستاذ الباحث في أن أساس المعارضة الشعرية هو الانبهار والإعجاب، وليس من شك أن الانبهار والاعجاب لا يتأتيان إلاّ للرائع والجميل بالنسبة للحياة فكيف الحال بالنسبة لروائع الشعر العربي ؟

ويقيناً أن للقصيدة العربية المشرقية وقعاً كبيراً في النفوس الأندلسية وبالأخص القصيدة الجاهلية التي قال عنها الدكتور يوسف حسين بكار: ((ان القصيدة الجاهلية كادت تكون المقياس الوحيد والأنموذج الأمثل الذي اتخذه النقاد واتبعوه في كلامهم على القصيدة وبنائها من ناحية، وفي أحكامهم على الشعر والشعراء في مختلف العصور من ناحية أخرى إذ لم يكتف معظم النقّاد بتفصيل القصيدة، بل راحوا يدعون إلى الالتزام بنهج القصيدة الجاهلية)) [٢].

وقد نقلت لنا المصادر الأندلسية ولا سيّما ذخيرة ابن بسام ألواناً من تأثر الأندلسيين بالشعر الجاهلي ومعارضتهم له، وبخاصة في رسالة التوابع والزوابع التي ألّفها أبو عامر بن شهيد الأندلسي (ت ٤٢١ هـ) وفيها يشير إلى أنه اتصل بتوابع الشعراء والفحول المعروفين في الجاهلية وكان ممن اتصل بهم طرفة بن العبد، وقيس بن الخطيم وامرؤ القيس وعارضهم بقصائد على غرار قصائدهم.

إلاّ أن هذه المعارضات لم تأت على نمط واحد بل جاءت على نمطين، منها المعارضة التامة والناقصة، واتفقت معارضة ابن شهيد لطرفة في اللفظ والمعنى [٣]، إلاّ أن حركة الروي قد اختلفت بين القصيدتين، فقصيدة طرفة رويها مضموم في حين قصيدة ابن شهيد رويها مكسور فقال طرفة بن العبد:

---

(١) بحث د. محسن جمال الدين ((معالم شخصية المتنبي في الأندلس)): ٩٢، مجلة المورد العراقية، بغداد ١ / ٣ / ١٩٧٧.

(٢) بناء القصيدة في النقد العربي القديم ((في ضوء النقد الحديث)): ٢٨ د. يوسف حسين بكار، ط ٢، بيروت ١٩٨٣.

(٣) ابن شهيد حياته وأدبه: ١١٢.

لهند، بحزّانِ الشريف، طلولُ تلوحُ، وأدنى عهدهنّ محيل [1]

وقال ابن شهيد معارضاً في قصيدة مطلعها:

أمــنْ رســمِ دارٍ بالعقيق محيل ....

ولما هبطنا العيثَ تذعر وحشُه علــى كـــــلِّ حـــوارِ العنانِ أسيلِ [2]

والطريقة التي سلكها ابن شهيد نفسُها مع طرفة، حيث إنه عارض قصيدة قيس بن الخطيم معارضة تامة ومطلعها:

تذكر ليلى حسنها وصفاءها وبانت فأمسى ما ينال لقاءها [3]

ويعارضها ابن شهيد بقصيدته التي مطلعها:

منازلهم تبكي اليك عفاءَها سقتْها الثُريّا بالعري نحاءها [4]

فالمعارضة هنا تامة، كما نظر ابن شهيد إلى قصيدة امرئ القيس التي مطلعها:

سما لك شوقٌ بعدما كان أقصرا وحلّتْ سليمى بطنَ قوٍ فعرعرا [5]

فقال ابن شهيد معارضاً في قصيدة مطلعها:

شـــجته مغانٍ من سليمى وأدؤر ....

وأخـــــرى اعتلقـــــا ودونها قـــــصور وحجـــــاب ووال ومعـــــشر [6]

والمعارضة هنا بين امرئ القيس وابن شهيد أيضاً ناقصة، فقد اختلفت حركة حروف الروي، فجاء الروي مفتوحاً عند امرئ القيس ومضموماً عند ابن شهيد.

وبعـــد أن عرّفنا بالقصائد الثلاث التي عارض بها ابن شهيد نظيراتها عند الشعراء الجاهليين، يتضح لنا أن ابن شهيد كان معجباً بهؤلاء الفحول وبقصائدهم، ونتمحص عن هذا الإعجاب ولادة ثلاث قصائد أندلسية على غرار القصائد المشرقية الثلاث.

وأن تعمـــد ابن شهيد في معارضة شعراء معينين بل قصائد معينة واختياره للمعاني

(١) ديوان طرفة بن العبد: ٧٩، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

(٢) ديوان ابن شهيد الأندلسي: ١٤٠ جمَعَهُ: يعقوب زكي، القاهرة.

(٣) ديـــوان قـــيس بن الخطيم: ٢١ – ٢٤، تح: إبراهيم السامرائي و د. أحمد مطلوب، ط ١، بغداد ١٩٦٢.

(٤) ديوان ابن شهيد: ٨٢ – ٨٤.

(٥) ديوان امرئ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القصيدة (٤)، مصر ١٩٦٩ م.

(٦) ديوان ابن شهيد: ١٠٧ – ١٠٩.

الحـــسنة عند هؤلاء الفحول هو دلالة على إعجاب ابن شهيد بشعرهم، فضلاً عن سمو الذوق النقدي عنده.

ولم يقتـــصر إعجـــاب الـــشعراء الأندلسيين على الشعراء الجاهليين، بل تعداه إلى الـــشعراء الإســـلاميين الفحـــول كالمتـــنبي وأبي تمام والبحتري، وهذا ابن زيدون (ت ٤٦٣ هـــ) يعجب بقصيدة المتنبي التي نظمها في مصر، يوم وجوده فيها بزيارته لكافور الإخشيدي التي قال فيها:

بـــم الـــتعلل لا أهلٌ ولا وطنُ	ولا نـــديـــمٌ ولا كـــأسٌ ولا سكنُ
أريـــد مـــن زمـــني ذا أنْ يبلِّغني	مـــا لـــيس يَـــبْلغُهُ من نفسه الزمنُ

والتي ختمها بقوله:

هو الوفي ولكني ذكرتُ له	مودةً فهو يبلـــوها ويمتحنُ [١]

فعارضه ابن زيدون في أبيات يقول فيها:

هـــل تذكرونَ غريباً عادهُ شجنُ	مـــن ذكـــرِكُمْ وجفا أجفانهُ الوسنُ
يُخفـــي لـــواعجُه والشوقُ يفضَحُهُ	فقـــد تـــساوى لديـــه السِّرُ والعَلَنُ
بـــم التعللُ ؟ لا أهـــلٌ ولا وطنُ	ولا نـــديمٌ ولا كـــأسٌ ولا سكنُ [٢]

وهكـــذا اتضح لنا أن نزعة الإعجاب والتقليد كانت داعياً من دواعي المعارضات الشعرية.

ب – نزعة التفوق والإبداع:

إنّ الـــتفوق والإبـــداع همـــا شغل الأندلسيين الشاغل فقد عمد الأندلسيون في معارضـــاتهم إلى إثبات مقدرتهم الإبداعية من خلال وقوع الشاعر الأندلسي على قصيدة لغـــيره، ولا ســـيما أشعار المشارقة من عصره أو من عصر سابق له، فيتمثلها ويصهرها ويصقلها، وبرغم الاحتفاظ بما هو جوهري فيها يعطيها شكلاً جديداً، عن طريق التقديم والحـــذف والإضـــافة والإصلاح، لتوائم العصر، الذي نقلت إليه، وفي هذه الحالة تكون قـــصيدته بديعـــة بقدر ما يظهر فيها من شخصيته هو وبقدر ما تذوب فيها آثار النقل

(١) شرح ديوان المتنبي: مج ٢ ج ٤: ٣٦٣ – ٣٧٠.

(٢) ديوان ابن زيدون ورسائله: ١٦٢ – ١٦٣.

والاقتباس [١].

وقد عرّف ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) في العمدة الإبداع بقوله: ((إتيان الشاعر بالمعنى المستطرف، والذي لم تجر العادة بمثله ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وإنْ كثر وتكرر [٢]، وأشار ابن سعيد الأندلسي [٣] (ت ٦٨٥ هـ) إلى أن المطرب: ((ما نقص فيه الغوص عن درجة الاختراع إلاّ أن فيه مسحة الإبداع كقول زهير في المتقدمين)).

تراهُ إذا ما جئْتَهُ مُتهللاً كأنكَ تُعطيه الذي أنت سائلُهُ [٤]

وتسابق الشعراء الأندلسيون من أجل الإبداع في قصائد المعارضة ليؤدوا التهمة الموجهة إليهم بعدم مقدرتهم على الإبداع والتي وصمت أدبهم بأنه مجرد تقليد لأدب المشارقة.

وعاد ابن بسام ليدافع عن الأندلسيين ليقرر بأنهم تجاوزوا التقليد الأعمى لأهل المشرق بقوله: ((أهل هذه الجزيرة – مذ كانوا – رؤساء خطابة، ورؤوس شعر وكتابة، تدفقوا فأنسوا البحور، وأشرقوا فباروا الشموس والبدور، وذهب كلامهم بين رقة الهواء، وجزالة الصخرة الصماء كما قال صاحبهم عبد الجليل بن وهبون يصف شعره:

رقيقٌ كما غنّت حمامةُ أيكةٍ وجزلٌ كما شَقّ الهواءَ عقابُ)) [٥]

ونجد روح التفوق والإبداع عند الأندلسيين في عصر متقدم، ولا سيّما فهي عند ابن عبد ربه القرطبي صاحب العقد والذي عارض قصيدة صريع الغواني – كما مرَّ بنا آنفاً [٦] – والتي مطلعها:

أديرا عليّ الراحَ لا تشربا قبلي ولا تطلبا من عند قاتلتي ذحلي [٧]

(١) الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته: ١٨ د. الطاهر مكي، ط ١، مصر ١٩٨٠.

(٢) العمـــدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١ / ٢٦٥؛ تح: د. محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٤، بيروت ١٩٧٢.

(٣) قسّم ابن سعيد المغربي بكتابه ((المرقصات والمطربات)) الكلام شعراً ونثراً إلى خمس طبقات: المرقص والمطرب والمقبول والمسموح والمتروك.

(٤) المرقصات والمطربات: ٨ ابن سعيد الأندلسي، دار حمد ومحيو، بيروت ١٩٧٣.

(٥) الذخيرة: ق ١ م ١: ١٤.

(٦) ينظر بحثنا: ٣٩.

(٧) ديوان مسلم بن الوليد: القصيدة رقم (٤)، تح: د. سامي الدهان.

وقال ابن عبد ربه في معارضتها [1]:

أتقتلني ظلماً وتجحدُني قَتْلي وقد قامَ من عينيكَ لي شاهدا عدلِ

وقد وازن ابن عبد ربه بين القصيدتين وأصدر حكماً نقدياً، حكم فيه للأندلسيين على المشارقة، وليس من شك أن قصيدة ابن عبد ربه جاءت بتأثير نزعة التفوق والإبداع التي أحسَّها في نفسه، لذلك أصدر حكمه المتقدم، ولعلَّ امتيازه بهذه الجرأة في إصدار هذا الحكم يعود إلى ثقافته الواسعة وطبعه الفني الأصيل وروحه الأندلسي الطموح، ولا سيّما أنـــه لم يتخذ لنفسه إماماً من شعراء المشرق في كل فن وإنما كان يعارض هؤلاء الأئمة ليثبـــت أنه مثلهم أو أقدر منهم [2]. لم يكد يظهر بين ابن عبد ربه وبين ابن شهيد ناقد أندلـــسي، له أثر يدرس [3]، ويمثل ابن شهيد النقد في نهاية القرن الرابع الهجري ومطلع القرن الخامس، وكانت له وقفة نقدية عند المعارضة وأقر بأن المعارضة غير معيبة، بل هي أساس التفوق وإلى ذلك أشار الدكتور إحسان عباس بقوله [4]: ((وللأول مرة نرى ناقداً يقـــر مبدأ المعارضة معياراً للتفوق، فنجد ابن شهيد ناقماً على النقاد الذين كانوا يتولون ديوان الشعراء لأنهم أحرجوا عبد الرحمن بن أبي الفهد وقدموا عليه عبادة بن ماء السماء)) مـــع أن عبد الرحمن ((عزيز المادة، واسع الصدر، حتى إنه لم يكد يبقى شعراً جاهلياً ولا إســـلامياً إلاّ عارضه وناقضه، وفي كل ذلك تراه مثل الجواد إذا استولى على الأمد لا يني ولا يقصر)) [5].

ولابـــن شهيد منهج خاص في المعارضة الشعرية ارتسمه لنفسه وأورده على لسان صاحبه زهير بن نمير يقول فيه: ((إذا اعتمدت معنى قد سبقك إليه غيرك فأحسن تراكيبه وأرق حاشيته، فأضرب عنه جملة وإن لم يكن بد، ففي غير العروض التي تقدم إليها ذلك المحسن، لتنشط طبيعتك، وتقوى منتك ......)) [6].

وابن شهيد في رحلته المتخيلة عارض البحتري في قصيدته التي مطلعها:

---

(١) ديوان ابن عبد ربه الأندلسي: ١٣٢ – ١٣٣.

(٢) الأدب الأندلسي: ٢٢٩ د. أحمد هيكل.

(٣) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: ٢٦٩ د ،محمد رضوان الداية.

(٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٤٧٧ د. إحسان عباس، ط ٢، بيروت ١٩٧٨.

(٥) جذوة المقتبس: ١٢٤ – ١٢٥، ط ١، ١٩٥٢، وينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٤٧٧.

(٦) الذخيرة: ق ١ م ١: ٢٨٧.

ما على الركبِ من وقوفِ الركابِ	في مغاني الصبا ورسمِ التصابي

بقصيدة منها قوله:

وارتكضنا حتى مضى الليلُ يسعى	وأتـى الصبـحُ قاطـعُ الأسبـاب
فكـأنَّ النجومَ في الليـلِ جيـشٌ	دخلـوا للكمـونِ في جـوف غابِ [1]

ويشير أحد الباحثين [2] إلى: أن ابن شهيد انتزع إبداعه وإجادته وربما تفوقه انتزاعاً من البحتري الذي صوّر حاله بقوله: ((فكأنما غُشي وجه أبي الطبع قطعةٌ من الليل، وكَرَّ راجعاً إلى ناورده دون أن يسلم فصاح به زهير: أأجزته ؟ قال: أجزته، لا بورك فيك من زائر، ولا في صاحبك أبي عامر)) [3].

وكانت مرثية ابن دراج القسطلي بالنسبة للتفوق لا تقل شأناً عن مواطنيه من الأندلسيين فكان شديد التحسب للأندلس ولأدبائها لأنه يريد إظهار استقلالية الأندلس عن المشرق في كل شيء بل يحاول إبراز تفوقها عليه، وهذا رد فعل طبيعي على الاتهامات الموجهة للأدب الأندلسي من قبل المشارقة وبعض الأندلسيين الذين وصفوه بأنه مجرد تقليد لأدب المشارقة [4].

ويوضح منحى ابن دراج قوله في مقدم صاعد البغدادي سنة (ت ٤٠٨ هـ):

أبى اللهُ إلاّ أن يرى يَدَكَ العُليا	فَيَتْلِيهـا سَعْـداً وتُتْلِيهُ سَعْيـا

ومنها يقول:

وأهـدَتْ له بغدادُ ديـوانَ عِلْمِها	هَدِيـةُ مَـنْ وَالـى، ونُحْفَـةَ من حَيّا
فكانتْ كَمَنْ حيّا الرياضَ بزهرهـا	وأهْـدى إلى صنعاءَ من نَسْجِها وَشْيا [5]

ونجد ابن بسام يأخذه الحماس في بعض الأحكام النقدية على الشعر العربي بشقيه الأندلسي والمشرقي ويصدر أحكاماً تحتاج إلى إعادة نظر ويحاول أن يلحق الإبداع

---

(١) المصدر نفسه: ق ١ م ١: ٢٥٧ – ٢٥٨؛ رسالة التوابع والزوابع، بطرس البستاني: ١٠٤، بيروت ١٩٨٠.

(٢) تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، د. مصطفى عليان عبد الرحيم: ٣١٧.

(٣) الذخيرة: ق ١ م ١: ٢٥٨.

(٤) ابن دراج القسطلي: ١٥٥، محمد محمود يونس، بحث مصروف على الآلة الكاتبة لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٧٥.

(٥) ديوان ابن دراج: القصيدة رقم (٤٦).

والتفوق للأندلسيين على حساب المشارقة، مثلما حصل له مع ابن دراج عندما نظر إلى قصيدته في مدح الحموديين في قصيدته التي مطلعها:

لعلك يا شمسُ عند الأصيل شجيت لشَجْوِ الغريب الدليل

ومنها يقول:

فأنتم هداةُ حياةٍ وموتٍ وأنتمْ أئمةُ فعلٍ وقيلِ
وساداتُ من حلّ جناتِ عدنٍ جميع شبابهمْ والكهولِ
وأنتمْ خلائفُ دنيا ودينٍ بحكْمِ الكتابِ وحُكْمِ العقولِ
ووالدُكمْ خاتمُ الأنبياءِ لكمْ منهُ مجدٌ خفي كفيلِ
وبطرقُهُ الوحيُ وَهْناً وأنتُمْ ضجيعاه بين يدَيّ جبريلِ
وزوَّدكُمْ كلَّ هديٍ زكيٍ وأوْدعَكُمْ كلَّ رَأيٍ أصيلِ [1]

فقال عنها ابن بسام: ((لو قرعتْ – هذه القصيدةُ – سمعَ دعبل بن علي الخزاعي والكميت بن زيد الأسدي، لأمسكا عن القول، ولرُبّما إليها من القوّة والحول، بل لو رآها السيد الحميري، وكُثيرُ الخزاعي لأقاماها بَيّنة على الدّعوى، ولتلقياها بشارة على زعمهما بخروج الخيل من رضوى ...)) [2].

ولقد ردّ أحد الباحثين [3] هذا الرأي لأن فيه تطاولاً على المشارقة دون إقامة دليل، فيه حكم لابن دراج على السيد الحميري ودعبل وكثير دون تبرير نقدي حكماً عريضاً يحتاج إلى إقامة الدليل والحجة، لاسيّما أن هؤلاء من أعلام الأدب في المشرق، فضلاً عن أن منهم من مازه النقاد بقصائد فريدة كتائية دعبل في تمجيد آل البيت والأسى لأحوالهم [4]، ولامية السيد الحميري التي عارضها ابن دراج والتي يقول فيها:

هل عند من أحببت تنويلُ أم لا فإنّ اللومَ تضليلُ

(١) المصدر نفسه: القصيدة رقم (٣١).

(٢) الذخيرة: ق ١ م ١: ٨٨.

(٣) بحث د. محمود علي مكي ((التشيع في الأندلس))، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية: ١٣٩، ع (١ – ٢) سنة ١٩٥٤ نقلاً عن تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري: ٣٢٠.

(٤) طبقات الشعراء لابن المعتز: ١٩، تح: عبد الستار أحمد فراج: ٢٦٨، ط ٣ مصر.

أم في الحـــشى مـــنك جوى باطنٌ لـــيس تداويـــه إلاّ الأباطـــيلُ [(١)]

وعـــي النقّاد شعر السيد الحميري، فقال العتبي فيه: ((ليس في عصرنا هذا أحسنَ مذهباً في شعره، ولا أنقى ألفاظاً من السيد)) [(٢)].

ويـــرى أحـــد الباحثين أنه كان أحرى بابن بسام أن يقصر من تطاوله أو أن يقيم الدليل على حكمه، وقد يشفع له أنه يصدر أحكاماً ولا يغيب عن خاطره تهوين المشارقة من شأن أدب الأندلسيين ورفضهم له [(٣)].

وحكـــم ابن بسام المتقدم آنفاً يجعلنا نتفق مع ما أشار إليه الدكتور محمد رضوان الداية: ((بأن ابن بسام يمثل وجهاً أندلسياً بارزاً ممن انتصروا للأندلسية ويرى أن الإبداع الفـــني لـــيس مقصوراً على قوم بأعيانهم ولا زمان موقوت، وينبغي عدم الاقتصار على دارمية وأطلال حولة وما شابه ذلك ...)) [(٤)].

فهـــو يدعو دعوة صريحة إلى أن في الأندلسيين من الطاقات والإبداعات الأدبية ما يفوقـــون بهـــا المشارقة، ولا شك بأن أحد أسباب تأليفه لكتاب الذخيرة هو لإظهار ما لأهل أفقه من الإبداع الفني [(٥)].

نخلـــص من هذا أن المعارضة الشعرية في الأندلس كان وراءها دافع الإبداع الفني والتفوق على المشارقة؛ لذلك نضجت المعارضة الشعرية في الأندلس في القرن الذي عاش فيه ابن بسام والذي سبقه.

ولعـــل مـــا يعزز حجتنا بتفوق الأندلسيين وإبداعهم هو تفردهم بقصائد شغلت الشعراء والنقّاد قدامى ومحدثين ومن هذه القصائد قلادة ابن زيدون (ت ٤٦٣ هـــ) التي عارضـــها الـــشعراء وتناولها النقّاد بالدرس والتحليل متمثلين صورها، مبهورين بحسن صياغتها، وقصيدة ابن زيدون هذه لا تُمَل بحق، وشهد لابن زيدون براعته وتفوقه على كـــل مـــن نسج على هذا المنوال سواء أكان قبله أم بعده، ولذلك يقول الدكتور شوقي ضـــيف: ((ويعود القدماء مراراً إلى بيان العلاقة بين الشاعرين – ابن زيدون والبحتري –

(١) ديوان السيد الحميري، رقم القصيدة (١٢٨): ٣٢١ – ٣٢٣، بلغت القصيدة (١٨).
(٢) الأغاني: ٧ / ٢٤٠، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٦.
(٣) تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري: ٣٢٠.
(٤) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: ٣٧٢.
(٥) ابن بسام وكتابه الذخيرة: ١٢٣ د. حسين يوسف حريوش، ط عمان ١٩٨٤.

ملاحظين أن ابن زيدون أخذ من البحتري – في بعض أبياته هذا المعنى أو ذاك ولاحظوا – فيما لاحظوا – أن قلادة ابن زيدون الكبرى:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا — وناب عن طيب لقيانا تجافينا

إنما نظمها على نمط البحتري:

يكادُ عاذلُنا في الحبِّ يغرينا — فما لحاجُك في لسوم المحبينا

وهي ملاحظة صحيحة، غير أنها لا تنتقص يتيمة ابن زيدون الفريدة شيئاً من روعتها الأدبية، إذ استطاع أن يحلّق بأجنحته الشعرية في آفاق الشعر العليا تحليقاً، لعل شاعراً لم يستطع بعده أن يرتفع بأجنحته إلى السمت الذي حلّق فيه ...)) [١].

وكانت نزعة التفوق عند ابن زيدون هي التي دفعته إلى قول رائعته التي بز بها البحتري، فجاءت قصيدته وثيقة أدبية ناطقة بتفوق الأندلسيين على المشارقة ولا سيما أن موضوع هذه القصيدة هو المعارضة.

وفضلاً عن قصيدة ابن زيدون المذكورة سالفاً تهدينا المصادر الأدبية إلى رائعة أخرى أتت فيها الأندلسيون تفوقاً مشهوداً، وهذه القصيدة عرفت بالعصماء ((يا ليل الصب)) التي نظمها أبو الحسن الحصري القيرواني (ت ٤٨٨ هـ) في مدح الأمير أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر صاحب امارة (مرسية)، إلاّ أن هذه القصيدة تختلف عن سابقتها فلم يعارض الشاعر بها أحداً، وإنما كانت هدفاً لمعارضة الكثير من الشعراء نظراً لما امتازت به من تفوق وإبداع. وبلغ عدد أبيات هذه القصيدة تسعة وتسعين بيتاً ومطلعها:

يا ليلَ الصبِّ متى غدُه — أقيامَ الساعة موعدُهُ [٢]

وقال فيها أحد الباحثين ((لقد تمس الحصري في هذه القصيدة حيث أودعها بنات أفكاره ودقائق أسراره فكللها من الدرّ أغلاه، ومن البديع أعلاه فأتت وكأنّها غادة حسناء، وقد كساها من ماء الطبع دلالاً، وكادت أن تطأ مفاخرها هامة الجوزاء ... ومن ذلك الحين تلقفها الشعراء شرقاً وغرباً يقلدون بحرها وموضوعها معارضين هذه القصيدة

(١) بحث د. شوقي ضيف ((الإيقاع الموسيقي في شعر ابن زيدون)): ٨، مجلة الكتاب العراقية، بغداد، العددان (١١، ١٢)، تشرين الثاني ١٩٧٥

(٢) ينظر النص الكامل لقصيدة ((يا ليل الصب)) مع معارضات شعراء تونس في كتاب: ((أبو الحسن الحصري)) للأستاذين محمد المرزوقي والجيلاني ابن الحاج يحيى، مطبعة المنار، تونس ١٩٦٣.

ناطمين على إيقاعها ...)) [1].

وقد بلــغ معارضوها أكثر من تسعين شاعراً وشاعرة، ولعل في هذا العدد الكبير من الشعراء ما يؤيد صحة ما ذهبنا إليه، بأن تفوق الحصري وابداعه حدا بهؤلاء الشعراء النسج على منوالها.

وقـــد أكـــد الأندلـــسيون فيما بعد على المعارضة والاحـــادة، ورددها حازم القـــرطاجني (ت ٦٨٤هـــ) إذ دعا إلى محاكاة الأوائل، واتهم الشعراء بالخروج عن مهيع الـــشعر لـــذلك، ولأنهم ابتعدوا عن مواده التي يجب مراعاتها، فالمعارضة فيما نرى عند حـــازم القرطاجني تعني الإبداع نصاً وروحاً، لذلك نجده يقول: ((فللشعر مواد يبحث مـــنها، فـــإذا خلا منها صار مجرد كلام، وأن محاكاة الأوائل تسوق الشاعرية إلى الإبداع وتنميتها)) [2]. وهكذا يكون التفوق والإبداع داعياً من دواعي المعارضة الشعرية.

٢ – الدواعي الخاصة:

ويشتمل البحث هنا على الوقوف على دواعي المعارضات الشعرية الأندلسية التي تأتـــت نـــتيجة إعجـــاب ملوك الأندلس بقصيدة معينة، ومناسبتها هو طلب من الملك الأندلسي يوجهه إلى شاعره في معارضتها، لذلك اتخذت طابعاً فردياً، لأن مصدر الرغبة في المعارضة هو الفرد ((الملك الأندلسي)) لذلك جاءت هذه المعارضات في أغلبها من أشعار السلطانيات.

ومـــن أمثلتها، طلب المنصور بن أبي عامر من ابن دراج معارضة قصيدة أبي نواس والتي مطلعها:

أجارةَ بَيْتَينا أبوكِ غيـــورُ ... وميسورُ ما يرجى لديكِ عسيرُ [3]

فعارضها ابن دراج بقصيدة مطلعها:

(١) ديـــوان ليل الصب: ١٥؛ مجموعة معارضات قصيدة أبي الحسن الحصري القيرواني، عني بجمعها محمد علي حسن، منشورات الأديب، مطبعة الايمان، بغداد، ط ١، ١٩٦٨.

(٢) مـــنهاج الـــبلغاء وسراج الأدباء: ١٠ حازم القرطاجني، تح: محمد بن الحبيب بن الخوجة، تونس ١٩٦٦؛ وينظر: تيارات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري: ٦٧٣.

(٣) ديوان أبي نواس: ٤١٧ – ٤٢٦.

دعي عزمات المستطام تسير فتُنجدُ في عرضِ الفلا وتغورُ [(١)]

وابـــن دراج استطاع أن يتفوق في هذه القصيدة على أبي نواس، في عدد الأبيات، وفي المعاني والصور واللغة حيث استطاع أن يشق غبار أبي نواس، وما يمكن ملاحظته أن التفوق والإبداع يشكلان قاسماً مشتركاً بين الدواعي العامة والخاصة لأهميته، وليس غريباً هذا الاشتراك، لأن المعارضة هي عمل إبداعي.

وقد تأتي المعارضة رداً على الاتهامات التي طالما كثرت في مجالس ملوك الأندلس صـــد أدب الأندلسيين، وقد روى لنا المقري [(٢)] تعليق أحد الحاضرين ((وهذا مالا يقدر أندلسي على مثله)) على القطعة المشرقية التي أنشدت في المجلس ومطلعها:

وماذا عليهم لو أجابوا فسلموا وقد علموا أني المشوقُ المتيمُ

فانبرى يحيى بن هذيل لهذا المتحدث وعارض القطعة بقطعة مطلعها:

عرفتُ بعرف الريح أين تيمموا وأينَ استقـــلَّ الظاعــــونَ وخيموا

تفـــوق بهـــا ابن هذيل على القطعة المشرقية، فجاءت ضعيفة، فضلاً عن الصور الشعرية الرائعة التي استطاع ابن هذيل أن يلائم بينها في قطعته.

ولم يكن التفوق حليف الأندلسيين دائماً في معارضتهم لشعراء المشرق ويروي لنا ابـــن بسام [(٣)] تغافل المأمون بن ذي النون من جواب عبد الله بن شرف عندما ادعى أنّ بإمكانـــه أن يعـــارض المتنبي ((بقصيدة تنسي اسمه وتعمي رسمه)) لأن المأمون على علم مسبق بتقصير أهل أفقه عن بلوغ شأو المتنبي، ونزولاً عند رغبة عبد الله بن شرف، فقد أشار إليه المأمون بن ذي النون معارضة قصيدة المتنبي التي يقول فيها: ((لعينيك ما يلقى الفـــؤاد ومـــا لقـــي)) إلاّ أن ابن شرف وكما توقع له المأمون جهد نفسه ولم يفلح في معارضتها [(٤)].

ومـــن القـــصائد المعارضـــة التي اتخذت طابعاً فريداً، ما رواه الحميري في كتابه **((البديع في فصل الربيع))** [(٥)] من أن الفقيه أبو الحسن بن علي قال قصيدة ضادية يصف

(١) ديوان ابن دراج: القصيدة (٧٨).
(٢) نفح الطيب: ج ٣ / ١٥٣ - ١٥٤.
(٣) الذخيرة: ق ٤ م ١: ٢٤.
(٤) المصدر نفسه: ق ٤ م ١: ٢٤.
(٥) كـــتاب ((البـــديع في فصل الربيع)) للحميري هكذا باتفاق الأندلسيين الثقات الذين تحدثوا عن
=

فيها نواوير الربيع بوصف حسن بديع، ومدح بها ذا الوزارتين القاضي بن عباد مطلعها:

كأنما الروضُ لمّا   وَشَتْ يدُ المزنِ أرضَهْ

ثم انتقل إلى مدح القاضي ابن عباد:

وجُـه ابـن عـبادِ السـعد   ب حـين تأمّـلَ قرضَـهْ
حـوى بطـولَ يديـه   طـولَ الثـناءِ وعرضَـهْ [1]

ولما اطلع عليها أبو الوليد بن عامر الحميري قال قصيدة بين يدي القاضي ابن عباد معارضاً قصيدة أبي الحسن علي ومطلعها:

انظر إلى النهر وأعجب   بحسـن مـراه وأرضه [2]

ولمـا أتم إنـشادها طلب منه القاضي ابن عباد أن يستحضر صاحب الشرطة أبا بكـر بن القوطية والأديبين أبي جعفر بن الأبار وأبي بكر بن نصر وأمرهم عنه بالعمل في ذلـك المعنى على العروض والقافية، ففعل، فصنع الشعراء الثلاثة من ليلتهم أشعاراً رائعة السمات فائقة الصفات[3].

وإن هـذه الدواعي الخاصة هي التي أثّرت في الشعر الأندلسي فجعلته يتصاعف، وهـي ظاهرة تنم عن الإبداع والخلق في القصيدة المعارضة وورث المعتمد بن عباد عن آبائـه احتضان الشعراء في مجلسه، فكان ابن زيدون من شعراء المعتمد الذين آثرهم على غيرهم، لذلك نجده في استحسان أبيات كانت تغنى له يأمر ابن زيدون معارضتها فينشد ابن زيدون:

يُقَصـرُ قُرْبك ليلـي الطويـلا   ويـشفي وصـالك قلـبي العليـلا

الكـتاب ومـؤلفه كالحمـيدي في الجـذوة: ١٦٢، وابن بسام في الذخيرة: ق ٢ م ١: ٢٠٠، والمقـري في نفح الطيب: ٣ / ٤٢٨ إلاّ أن محققه هنري بيرس هو الذي غيّر عنوان الكتاب إلى ((الـبديع في وصف الربيع)) في حين لم نجد أية إشارة لما يطابق هذا العنوان، وقد أشار إلى هذه الحقـيقة السيد مقداد رحيم حصر في بحثه الموسوم: ((تاريخ النوريات في الشعر العربي والمشرق في الأندلس)) المنشور في مجلة كلية آداب المستنصرية، العدد (١١)، ١٩٨٥: ٢١٥.

(١) الـبديع في وصـف الربيع: ٤١، لأبي الوليد إسماعيل بن عامر الحميري، اعتنى بنشره وتصحيحه: هنري بيرس ١٩٤٠، المطبعة الاقتصادية بالرباط، وبلغت القصيدة (١٤) بيتاً.

(٢) البديع في وصف الربيع: ٤١ – ٤٢، وبلغت القصيدة (١٤) بيتاً.

(٣) البديع في وص الربيع: ٤٢.

وإن عــصفت منك ريحُ الصدود فقــــدت نــسيم الحــياة العليـــلا [(١)]

إلاّ أن المقري لم يسعفنا في معرفة قائل الأبيات التي عارضها ابن زيدون، واقتصر على ذكر أبيات ابن زيدون لوحدها، ونقف على قصيدة معارضة ثانية اقترح المعتمد على ابن زيدون معارضة أبيات أخرى فأنشده على وزنها ورويها:

أنـــت المـــسبب للولـــوع ومــــثير كامـــنة الدمـــوع
يتمنـــيـــان لــــو أغفيـــا مهمـــا طلعـــت مـــن الطلـــوع [(٢)]

وهذه القصيدة هي الأخرى لم نقف على الشاعر الذي عارضه ابن زيدون،، إلاّ أننا نخلص إلى أن هاتين القصيدتين قد قالهما نزولاً عند رغبة المعتمد الذي كان على ما يبدو معجباً بهما، وكذلك الأمر بالنسبة لقصيدة ابن اللبانة فيما يرويه لنا ابن بسام من أن الأمير مبـــشر بـــن سليمان، كان جالساً في مجلسه بميورقة ووردته قصيدة من نظم أبي المطهر البغدادي مطلعها:

هو طيفها وطروقه تعليل فمتى يفي لك والوفاء قليل [(٣)]

فكلف الأمير أبا بكر الداني (ابن اللبانة) معارضتها فقال:

ني الطيف لو سمح الكرى تعليل يكفي المحب من الوفاء قليل [(٤)]

بعد هذا العرض الموجز نكون قد وقفنا على الدواعي الخاصة التي كان لها أثرٌ كبيرٌ في إثـــراء الشعر الأندلسي، لأن كل قصيدة شعرية قيلت بفعل الدواعي الخاصة ما هي إلاّ ولادة شعرية جديدة، لتلتقي مع القصائد التي قيلت بفعل الدواعي العامة التي تقدم ذكرها.

---

(١) ديوان ابن زيدون: ٥١٢ – ٥١٣، وبلغت القصيدة (٦) أبيات.

(٢) نفح الطيب: ٦٢، مج ٢ ج ٤، طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد.

(٣) الذخيرة: ق ٣ م ٢: ٦٨٨.

(٤) الذخيرة: ق ٣ م ٢: ٦٨٩ – ٦٩٠، وبلغت القصيدة (٢٥) بيتاً. وينظر: شعر ابن اللبانة الداني، جمع وتحقيق: د. محمد مجيد السعيد، القصيدة (٦٦) وبلغت (٢٧) بيتاً.

الفصل الثاني: المعارضات في الشعر الأندلسي قبل القرن الخامس الهجري

لا يكاد يخلـــو عصر من العصور الأدبيـــة [1] من المعارضات الشعرية، وتشكل هـــذه المعارضـــات جـــزءاً لا يستهان به من نتاج الشعراء، ولمّا فتح العرب المسلمون الأندلس، لم يحد شعراؤهم عن هذا الفن، لذلك توخينا الوقوف على المعارضة الشعرية فـــيما بعـــد الفتح العربي للأندلس حتى مطلع القرن الخامس الهجري، وقد أشار الدكتور

---

(١) إنّ المعارضـــة ضاربة الجذور في الشعر العربي، وأصولها تمتد إلى العصر الجاهلي، إذ جاءت بدايتها الأولى في حكـــومة أم جندب ((زوج امرئ القيس))، وهذه الرواية التي أوردها ابن قتيبة تفيد أنه لمـــا تحـــاكم امرؤ القيس وعلقمة الفحل إلى أم جندب في أيّهما أشعر، فقالت لهما: قولا شعراً تصفان فيه الخيل على روي واحد وقافية واحدة، فقال امرؤ القيس:

خليليّ مرّا بي على أم جندبِ — لنقضي حاجاتِ الفؤادِ المعذّبِ

وقال علقمة:

ذهبتَ من الهجرانِ في كلِّ مذهبِ — ولـــم يكُ حقّاً كـــلُّ هـــذا التجنـــبِ

ثم أنـــشداها جـــميعاً، فقالت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك، قال: وكيف ذاك ؟ قالت لأنك قلت:

فللسوطِ ألهوبٌ وللساق درّةٌ — وللزّجرِ منه وقعُ أخرجَ مهذبِ

فجهدت فرسك بسوطكَ، ومريتهُ ساقكَ، وقال علقمة:

فأدْرَكَهُنّ ثانياً من عنانِه — يمرّ كمَرّ الرائح المتحلب

فـــأدرك طريدته وهو ثانٍ عنانَ فرسه، لم يضربه بسوط، ولا مراه بساق، ولا زجره، قال: ما هو بأشعر مني ولكنك له وامق ! فطلقها فخلف عليها علقمة، فسمي بذلك ((الفحل)).

ولـــئن صـــحّت هـــذه الرواية، فإنها تفيد بأن المعارضة الشعرية عريقة الجذور في الشعر العربي، ويـــستمد مـــنها أيضاً ملامح قصيدة المعارضة التامة من قول أم جندب ((قولا شعراً تصفان فيه الخـــيل علـــى روي واحـــد وقافية واحدة)) أي أنها اشترطت على الشاعرين المتعارضين وحدة الموضوع والوزن والقافية وحركة حرف الروي. وللاستزادة ينظر:

أ – الـــشعر والشعراء لابن قتيبة: ١ / ٢١٨ – ٢٢٠، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر ١٩٨٢.

ب – بحـــث الأســـتاذ علـــي الجارم ((المعارضات في الشعر الجاهلي))، مجلة الكتاب المصرية: ٣٨٣ – ٣٨٧، السنة الأولى، المجلد الثاني، يوليو ١٩٤٦: ٣٨٣ – ٣٨٧.

ج – شـــعراء الـــنصرانية قبل الإسلام: ٢٧ – ٢٩، جمع لويس شيخو اليسوعي، ط ٢، بيروت ١٩٦٧.

د – تاريخ المعارضات: ١٦ – ١٧.

إحسان عباس إلى أن هذه الفترة لم تصل إلينا دواوين شعرائها وكل ما سلكه من الشعر الأندلسي الذي يمثلها قطع مثبوتة في كتب التاريخ والتراجم [1]. إلاّ أن ندرة الدواوين لم تقف عقبة أمامنا فتحرينا قصائد المعارضة عند السرّيين منهم وفقاً للأغراض الشعرية: المديح، والوصف، والنوريات، والمجون، والغزل، وأغراض أخرى.

أ – المعارضات في المديح:

مما يلاحظ على الشعراء الأندلسيين أنهم أكثروا من قصائد المديح، واستحدث كثرة قصائد المدح إلى كثرة معارضات المديح، لأن الشاعر الأندلسي يطمح أن يرضي ممدوحه بقصيدة يصمص فيها عيشه، ويأمن بها من شر الحسّاد، لذلك تأتي الشعراء الأندلسيون في قصائد المديح وانتحوا القصائد الجياد عند المشارقة وأخذوا ينسجون على منوالهم، لأنهم يشعرون بأستاذية المشارقة، فضلاً عن التقدم الحضاري والفكري الذي حظي به المشارقة قبل إخوانهم الأندلسيين، وكانت قصائد المديح عند المتنبي هي أكثر من غيرها هدفاً للمعارضة الشعرية، ومنها قصيدته في مدح ابن العميد:

بادٍ هواكَ صبرتَ أمْ لا تصبرا	وبُكاكَ إنْ لم يجرِ دمعُكَ أو جرى
كَمْ غرّ صبرُكَ وابتسامُكَ صاحباً	لمّا رآكَ وفي الحشى مالا يُرى

وفيها يقول:

أنتَ الوحيدُ إذا ارتكبتَ طريقةً	ومن الرّديف وقدْ ركبتَ غَضَنْفَراً
قطفَ الرّجالُ القولَ وقتَ نباته	وقطفتَ أنتَ القولَ لمّا نَوّرا
مَنْ مُبلغُ الأعرابِ أني بعدَها	شاهدتُ رسطاليسَ والإسكندرا

وختمها بقوله:

أنا منْ جميعِ النّاسِ أطيبُ منزلاً	وأسرُّ راحلةً وأربحُ مَتْجراً
زُحَلٌ عليّ انّ الكواكبَ قومُه	لو كانَ منكَ لكانَ أكرمَ مَعْشرا [2]

ونظر ابن حزم (أبو المغيرة عبد الوهاب) (ت ٤٣٨ هـ) إلى قصيدة المتنبي المذكورة آنفاً في مدح ابن العميد، وعارضها بقصيدة تامة مادحاً المنصور بن أبي

---

(١) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس للكتاني، تح: د. إحسان عباس، مقدمة المحقق: ٩، ط ٢، بيروت ١٩٨٥.

(٢) شرح ديوان المتنبي، مج ١، ج ٢: ٢٦٤ – ٢٧٦، والقصيدة في (٤٧) بيتاً.

عامر مطلعها [1]:

أمـــن البُـــراقِ التاجَ برقٌ ما سرى	إلاّ وردُ الأفـــقَ مـــرطاً أحمـــرا
أتُعْـتُهُ نطـــرَ المـــشوق بمقلة	لم تـــدرِ مُذْ عهدُ الأثيلة ما الكرى

ومنها يقول:

وســـللتُ مـــن نارِ الصَّبابة صارماً	وجـــروتُ مـــن وفد التصابي عَسكرا
إلاّ تـــــرى المنصورَ تحتَ لوائه	تلـــــقَ ابْـــنه طلـــقَ الجبين مطفّـــرا

وختمها بقوله:

غـــيري الذي اتّخذَ المدائح مكسبا	وســـوايَ مَـــنْ جَعَلَ القوافيَ مَتجرا
أنـــا ما شعـــرتُ لأن أنبّـــهَ خاملاً	لكـــنْ لأمـــنـــعَ شاعراً أنْ يَشْعُـــرا

لـــدى المـــوازنة بـــين القـــصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الروي والموضـــوع، حـــيث حاول ابن حزم أن يتمثل ألفاظ المتنبي في قصيدته، لذلك جاءت معارضته من المعارضات التامة.

ويرى الدكتور نوفل [2] أن ابن عبد ربه في قصيدته التي مطلعها:

ألما على قصرِ الخليفةِ فانظرا إلى مُنيَةٍ زهراءَ شيدتْ لأزهرا [3]

عـــارض المتنبي في قصيدته الرائية (باد هواك ...) ومن الثابت أن المتنبي قصد ابن العمـــيد ســـنة ٣٥٤ هـــ في أرجان [4]، وأما قصيدة ابن عبد ربه، فقد نظمت في مدح محمـــد بن عبد الرحمن (٢٣٨ – ٢٧٣ هـــ) فمن غير المعقول أن يكون ابن عبد ربه قد عـــارض المتـــنبي، وذلك لتقدم قصيدة ابن عبد ربه على قصيدة المتنبي بأكثر من ثمانين عاماً.

ومـــن قصائد المديح التي عني بها شعراء الأندلس في القرن الرابع الهجري، قصيدة ابن ميّادة الرمّاح بن أبرد بن ثوبان (ت ١٣٦ هـــ) في مدح أبي جعفر المنصور العباسي والتي يقول فيها:

(١) الذخيرة: ق ١ م ١: ١٧٩.
(٢) تاريخ المعارضات: ١٣٢.
(٣) ديوان ابن عبد ربه: ٦٨.
(٤) وفيات الأعيان: ٥ / ١٠٤.

وكـــواعب قـــد قُلـــن يومَ تواعدٍ   قـــولَ المجـــد وهـــنَّ كالمـــزاحِ
يـــا ليلـــنا في عيـــــرِ أمـــرٍ فادحٍ   طلعـــتْ علينـــا العـــيسُ بالرّماحِ
يـــنا كـــذاك رأيتنــــي متعصباً   بالخـــزِّ فـــوق جلالـــةِ ســـرداحِ

ومما قاله في مدح المنصور وبني هاشم:

فلـــئـــن بقـــيتُ لألحقنّ بأبْحُرٍ   يَنْمـــيـــــنَ لا قطـــعٍ ولا أتـــــراحِ
قـــومٌ إذا جُلـــبَ الثناءُ اليهمُ   بـــيعَ الثـــنـــاءُ هـــناك بالأربـــاحِ
ولأحلـــسنَّ إلى الخلـــيفـــةِ إنّهُ   رحـــبُ الفـــناءِ بواســـعٍ نفّاحِ [1]

فعارضها صاعد الأندلسي (ت قريباً من ٤١٠هـ) مادحاً أبا الحسن علي بن وداعة السلمي:

أبـــا حـــســـن ربيعةُ مـــن سُلَيْمٍ   ســـــانٌ زانَ عالـــيـــةَ الـــرماحِ
واني عائـــذٌ بـــكَ مـــن هـــنات   تحـــثّنَ دعائمـــي تحـــتَ القـــداحِ
فكـــرّ علـــى ابن عمّكَ والتشلْهُ   فلـــيس حمـــى ابـــن عمّـــكَ بالمُباحِ
فـــإنَ الجـــار عندكَ بيـــن حَنْيّ   عُقـــابِ الـــدّجنِ كاســـــرةِ الجُـــناحِ

ومنها في المدح:

تُـــصَدُّ الخـــيلُ باســـكَ في غديرٍ   علـــى ظمـــأ عـــن المـــاءِ القَـــراحِ
تطْـــلُـــكَ طالعـــاً ببني سُلَيْـــمٍ   علـــيها عـــندَ مفتـــصحِ الـــصباحِ
إذا ســـاورتَ قـــرنَكَ في مكـــرٍ   جعلـــتَ لَـــهُ ذراعَـــك كالوشاحِ [2]

لـــدى المـــوازنة بين القصيدتين نجد أن المعارضة ناقصة إذ اتفقت القصيدتان في الموضـــوع واختلفـــتا في الـــوزن، وابن ميادة يستنهض همة ممدوحه أبي جعفر المنصور العباسي بعد أن يخلص من أبيات في الغزل طغت عليها الصنعة الشعرية.

أما صاعد الأندلسي في قصيدته فإنه يستعين بأفكار ابن ميادة ويناشده بحق القرابة والـــود والصداقة أن يوفر له الرعاية والحماية، وهو أهل لذلك لأن مقامه عال ومثله من يقدر على إيواء الجار والقريب والبعيد [3].

(١) كتاب الأغاني، مج ٢: ٢٨٤ لأبي الفرج الأصفهاني، بيروت ١٩٥٥.
(٢) الذخيرة: ق ٤ م ١: ٥٤.
(٣) تأريخ المعارضات: ١١٤ - ١١٥.

ويطالعنا ابن هانئ الأندلسي (ت ٣٦٢ هـ) الذي لقّب متنبي الأندلس، بقصيدة عارض بها أبا الطيب في مدح علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي التي مطلعها:

أطاعنُ خيلاً من فوارسها الدّهرُ ... وحيداً وما قولي كذا ومعي الصّبرُ

ويقول فيها في المدح:

وغيثٍ ظننّا تحتهُ أنَّ عامراً ... علا لم يمُتْ أو في السّحابِ له قبرُ

أو ابنَ ابنهِ الباقي عليَّ بن أحمدٍ ... يجودُ به لو لم أجزْ ويدِي صفرُ

وأنّ سحاباً جودُهُ مثل جوده ... سحابٌ على كلِّ السّحاب لهُ فخرُ

فتىً لا يضمُّ القلبُ همّاتِ قلبه ... ولو ضمّها قلبٌ لما ضمّهُ صدرُ

وختمها بقوله:

أزالتْ بكَ الأيامُ عَتْبي كأنّما ... بنوها لها ذنبٌ وأنتَ لها عُذْرُ [1]

وعارضها ابن هانئ بقصيدة مدح بها المعز لدين الله الفاطمي يوم أن فتح قائده جوهر بلاد مصر وخلعها من حكم العباسيين مطلعها [2]:

تقولُ بنو العبّاسِ هل فُتِحَتْ مصرُ ... فقلْ لبني العباسِ قد قُضِيَ الأمرُ

وقد جاوزَ الأسكندريةَ جوهرٌ ... تطالعُهُ البُشرى ويقدُمُهُ النّصرُ

ومما قاله في المدح:

إمامٌ رأيتُ الدِّينَ مرتبطاً بهِ ... فطاعتُهُ فوزٌ وعصيانُهُ خسرُ

أرى مدحَهُ كالمدحِ لله إنّهُ ... قنوتٌ وتسبيحٌ يُحط بهِ الوزرُ

هو الوارثُ الدّنيا ومن خُلقَتْ لهُ ... من الناس حتّى يلتقي القَطْرُ والقُطْرُ

وختمها بقوله:

فلو سَمعَ التثويبَ من كانَ رِمَّةً ... رفاتاً ولبّى الصوتَ من ضمَّهُ قَبْرُ

لناديتُ مَنْ قد ماتَ: حيَّ بدولةٍ ... تقامُ لها الموتى ويرتَجعُ العُمْرُ

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد أن قصيدة المتنبي بلغت واحداً وأربعين بيتاً، وامتازت بجودة الوصف وعمق المعنى حيناً ووضوحه حيناً آخر [3]، والمتنبي عندما يمدح

---

(١) شرح ديوان المتنبي، مج ١: ٢ / ٢٥٢ - ٢٦٤ للبرقوقي، بيروت ١٩٧٩.

(٢) ديوان ابن هانئ الأندلسي: ١٣١ - ١٣٩، تقديم كرم البستاني، بيروت ١٩٦٤.

(٣) تاريخ المعارضات في الشعر العربي: ١٢٦ - ١٢٧.

علـــي بــــن أحمد بن عامر الأنطاكي، نجده غير مغالٍ في مدحه مضفياً عليه وعلى جده (عامر) صفات الكرم والرجولة.

وقد سيطرت الحكمة الشعرية على قصيدته كما سيطرت على غيرها من القصائد، وامتازت بالجرس الموسيقي فاستهوت ابن هانئ الأندلسي فعارضها بقصيدته المطولة التي بلغـــت مائة بيت وبيت، وقَصَّرَ فيها ابن هانئ ولم يبلغ شأو المتنبي بسبب لغته السطحية في هذه القصيدة التي لا تباري لغة المتنبي وافتقرت قصيدته إلى الحماس ومما يعيبها أن ابن هانـــئ كــــان مسيطراً عليه الغلو، ولم يفلح في التخلي عنه، ولعل ذلك يرجع إلى مذهبه وتعـــصبه للطالبيين ضد العباسيين، وبالغ كثيراً في ممدوحه (المعز لدين الله) وجعل الدين مــــرتبطاً به [(١)]، وهذا أقصى غاية الغلو، فإن الدين لا يرتبط بشخص مهما بلغ مقامه بين المـــسلمين، ولم يقف عند هذا الحد بل تمادى وأشرك الممدوح مع الله ﷻ في المديح، وهو ضرب من الاشراك بالله.

ومـــن معارضـــات المديح ما رواه الحميدي [(٢)] في ترجمة ابن دراج القسطلي (ت ٤٢١هـــ) أن أول معارضة قالها كانت لصاعد البغدادي، وكانت في مدح المنصور بن أبي عامر في قصيدته التي مطلعها [(٣)]:

أضـــاءَ لهـــا فجـــرُ النُّهى فنهاها عــن الدَّنَــف الـمُــضني بحرِّ هَواها
وضلَّلـــها صـــبحٌ جلا ليلةَ الدُّجا وقـــد كـــان يهـــديها إليَّ دُجاها

ويرى الدكتور إحسان عباس [(٤)] أن سر معارضة ابن دراج القسطلي لصاعد يعود إلى الحظـــوة الـــتي نالها صاعد عند المنصور بشعره، فأراد ابن دراج لنفسه مكانة شبيهة بمكانة صاعد، فنظم قصيدته المتقدمة آنفاً في مدح المنصور أيضاً، وأراد كذلك أن يكون له بها اسم مقيد في ديوان الشعراء.

وكان المجلس الذي يحيط بالمنصور بن أبي عامر مليئاً بالحسّاد من النقّاد والشعراء، وربمـــا اتهموه بأنه لا يستطيع المعارضة، وادعوا لدى المنصور بأنه سارق ومنتحل [(٥)]،

(١) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(٢) جذوة المقتبس: ١٠٣.
(٣) ديوان ابن دراج القسطلي رقم (٣) من الديوان: تح: د. محمود علي مكي، ط ٢، ١٩٦١.
(٤) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة: ٣٧ – ٣٨.
(٥) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة: ٣٨.

فقال قصيدة بائية مدح بها المنصور بن أبي عامر، فقد رجّح الدكتور محمود علي مكي [١] أنه قد عاد ثانية إلى معارضة صاعد البغدادي، وقد شهرت هذه القصيدة عند الأندلسيين فقالها دفاعاً عن نفسه وعن أدبه ومطلعها [٢]:

حسبي رضاكَ من الدّهر الذي عَتَبا   وجودُ كفيكَ للحظّ الذي انقلبا

يا مالكاً أصبحتْ كفّي وما ملكتْ   ومهجتي وحياتي بعضَ ما وهبا

ما أقلع العيثُ إلاّ ريثما خفقتْ   مخادحُ الجُود من يمناك فانسكبا

ولا نأى السّعدُ إلاّ وهو تجذبُهُ   شوافعُ المجد عن علياك فاقتربا

أنتَ ارتجحتَ المنى غُرّاً محجّلةً   نحوي وقد اعجزتني دُهْمَها هَرَبا

لئنْ دَهْتني شمالاً حرجفاً عَصَفَتْ   بماءِ وجهي لقد أنشأتها سُحُبَا

أما قصيدة صاعد البغدادي والتي عارضها ابن دراج فمطلعها [٣]:

يا أيها الملكُ المنصورُ من يمنٍ   والمبتني نسباً غير الذي انتسبا

بغزوةٍ في قلوب الشركِ رائعة   بين المنايا تناغي السّمر والقُضبا

أما ترى العينَ تجري فوق مرمرها   زهواً فتجري على احسانها الطربا

أجريتها فَطما الزاهي بجريتها   كما طموتَ فسُدْتَ العُجْم والعَرَبا

تخالُ فيه جنودُ الماءِ رافلةً   مستلئماتٍ تُريكَ الدّرعَ واليلبا

تحفُّها من فنونِ الأيكِ زاهرةٌ   قد أورقت فضّةً إذْ أثمَرتْ ذهبا

بديعةُ الملكِ ما ينفكُّ ناظِرها   يتلو على السّمع منها آيةً عجبا

لا يَحسنُ الدّهرُ أن ينشئ لها مثلاً   ولو تعنّت فيها نفسهُ طلبا

ولم يكف الحسّاد عن ابن دراج، والمكانة التي وصل إليها عند المنصور كانت تؤجج الغيرة والحسد في نفوسهم، والتقت رغباتهم مع رغبة المنصور بن أبي عامر في مطالبة الشاعر بالجديد من الشعر، وإن اختلفت نوايا الحسّاد عن نية المنصور، فهم يمنّون أنفسهم في تقصير ابن دراج في قول الشعر، لعلّه يخرجه من ديوان شعرائه، أما نية المنصور فلم تكن إلاّ الاستمتاع بسماع الطريف والجديد من ابن دراج.

---

(١) ديوان ابن دراج، مقدمة المحقق: ٤٥.

(٢) الديوان، القصيدة رقم (١٠٠) وبلغت (٦٤) بيتاً.

(٣) مطمح الأنفس: ٣٩٥، تح: شوابكة، وينظر: البيان المغرب: ٢ / ٢٧٧.

ومــن الجديـــر بالذكر أن المنصور بن أبي عامر كان معجباً بقصيدة أبي نواس التي مطلعها [(١)]:

أجـــارةَ بيتينا أبـــوكِ غيورُ ... وميسورُ ما يُرجى لديكِ عسيرُ

فعرض على صاعد أن يعارضها، فأبى صاعد إجلالاً لأبي نواس، فعزم عليه المنصور فأنشده [(٢)]:

إنّـــي لمـــستحـــي عُــــلا ... كَ مـــن ارتجـــالِ القـــولِ فـــيهِ

مـــن لـــيسَ يُـــدْرَكُ بالـــرّويـــ ... ـــةِ كـيفَ يُـــدْرَكُ بالـــبديهِ ؟

إلاّ أن الدكتور محمود علي مكي [(٣)]، يرى في اعتذار صاعد من معارضة أبي نواس هو احساسه بصعوبة الأمر، وليس ما برره صاعد لنفسه بإجلاله لقدر أبي نواس، ولا فرق كبير بين الأمرين فإن إجلال الشاعر لا يكون إلاّ بسموّ مرتبته فإنها لم تنفع عند المنصور الـــذي لم يـــستمع له عذراً، ولم يرضَ إلاّ بمعارضة قصيدة أبي نواس، مما اضطر صاعداً معارضة قصيدة أبي نواس بقصيدة مطلعها [(٤)]:

خدالُ البُرى إني بكنَّ بصيرُ ... طوتكنّ عني خُلْســـةٌ وقتيـــرُ

ولعل المنصور بن أبي عامر أراد أن يكرر الاختبار على ابن دراج.

وروى لـــنا ابن خلكان [(٥)]: طلب المنصور بن أبي عامر من ابن دراج معارضة أبي نواس في مدح الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر، والقصيدة مطلعها [(٦)]:

أجـــارةَ بيتيـــنـــا أبـــوكِ غيـــورُ ... وميـــسورُ مـــا يُرجى لديكِ عسيرُ

وإن كـــنتِ لا خلاً ولا أنتِ زوجةً ... فـــلا بَرِحَـــتْ دوني عليكِ ستورُ

وجـــاورتُ قـــومـــاً لا تَزاوُرَ بينَهم ... ولا وصــــلَ إلاّ أنْ يكونَ نشورُ

فمـــا أنا بالمشغوفِ ضربـــةَ لازبٍ ... ولا كـــلُّ سلطانٍ، عليَّ قديـــرُ

وإني لطـــرفِ العـــينِ بـــالعينِ زاجرٌ ... فقـــدْ كِدْتُ لا يَخفى عليَّ ضميرُ

---

(١) ديوان أبي نواس: ٤١٧، تح: د. بهجت الحديثي، بغداد ١٩٧٩ م.

(٢) الذخيرة: ق ٤ م ١: ٢٢ - ٢٣.

(٣) ديوان ابن دراج، مقدمة المحقق: ٣٧.

(٤) الذخيرة: ق ٤ م ١: ٢٢ - ٢٣.

(٥) وفيات الأعيان لابن خلكان، مج ١: ١٣٥، تح: د. إحسان عباس، بيروت ١٩٨٠ م.

(٦) ديوان أبي نواس، تح: د ، بهجت الحديثي: ٤١٧ - ٤٢٦، وبلغت القصيدة (٤٠) بيتاً.

كمـا نطـرت والريحُ ساكنـةٌ لها عقبـاه أرسـاغ اليديـن نزورُ

وأبو نواس في مطلع هذه القصيدة يتغزل بحسناء متمنعة علية لا سبيل إلى الوصول إلـيها إلى يوم القيامة، ثم ينتقل بالدعاء على نفسه إن لم تكن صاحبته ولا روحته.. وإنه ذو نظـر ثاقب يزحر عيون الناس بعينيه التي هي كنظر العقاب، ثم يطلق أبو نواس حشداً مـن المعاني العذبة في مدح الخصيب حلال فكرة خصبة واسلوب موسيقي رقيق حرساً وإيقاعاً، كما يرى الدكتور مصطفى الشكعة [1]، ومن أبياته في زوجته التي يقول فيها:

تقـولُ الـتي عـن بيتها خفَّ مركبي	عزيـزٌ علينـا أن نـراكَ تسيرُ
أمـا دونَ مـصـر للغنـى متطلبٌ	بلـى إنَّ أسبـابَ الغنـى لكثيـرُ
فقلـتُ لهـا واسـتعجَلَتْها بوادرٌ	جَـرَتْ فجرى في جريهـنَّ عَبيرُ
ذَريـني أُكثِّـرْ حاسـديـكِ برحلةٍ	إلى بلـدٍ فـيه الخـصيب أميرُ
إذا لمْ تَـزُرْ أرض الخـصيب ركابُنـا	فـأيُّ فتىً بعـدَ الخصيب تـزورُ
فـتىً يـشتري حـسـنَ الثناء بماله	ويعلـمُ أنَّ الدائـرات تـدورُ
فمـا جـازَهُ جـودٌ ولا حـلَّ دونَهُ	ولكـنْ يصيرُ الجودُ حيـثُ يصيرُ

ونستـشف مـن أبياته المتقدمة أن زوجته التي انهمرت دموعها تلتمس إليه أن يعـدل عن الرحيل من بغداد إلى مصر، لأن الرحلة شاقة، إلاّ أنه يهوّن عليها هذا الفراق لأنـه سيقـصد الخصيب فهو أجدر بالزيارة من أي كريم، وبضاعة الشعر عنده رائجة، وستدر عليه هذه الرحلة المال الوفير عندما يكون في (مصر) بلد الخصيب.

ثم ينتقل أبو نواس إلى نوع من الأدب الجغرافي في الطريف، حيث يصف رحلته إلى مصر وصفاً جغرافياً يفيد منه الظاعن ويستنير به المسافر، ويقول في وصف الرحلة:

رحلـنَ بنا من عقرقوفَ وقدْ بدا	مـن الـصبح مفتوقُ الأديمِ شهيرُ
فمـا نجـدتْ بالماء حتّى رأيتُها	مـع الـشمسِ في عيني اباغَ تغورُ
وغُمِّـرنَ مـن ماء النّقيب بشربة	وقـدْ حـانَ من ديك الصّباح زميرُ
ووافـينَ إشـراقـاً كنائسَ تدمرٍ	وهُـنَّ إلى رعـنِ المدخّـنِ صُوَرُ

إلى أن ينهي وصف الرحلة فيقول:

---

(١) الشعر والشعراء في العصر العباسي: ٣٠٠ د. مصطفى الشكعة، ط ٢، بيروت ١٩٧٥.

ولمــا أتتْ فسطاطَ مصرَ أجارها — علــى ركـبــهـا أنْ لا تــدال مجيرُ

ولعــل ما يمكن ملاحظته على أبي نواس في وصف الرحلة أنه أطال فيها وعوّر في وصــف المــدن التي مرّ بها بين بغداد ومصر، بدأ بعرقوف، وعين أباغ، وماء المقيب، وتدمر، وحمل المدحى، وغوطة دمشق، والجولان وبيسان، ونهر فطرس، وبيت المقدس، وعــزة هاشــم، والفرما، وشقور، حتى يبلغ الفسطاط، ووصف الناقة وصفاً مسرفاً في رحلــته، كمــا وصــفها الأقدمون من قبله، ولعله يناقض نفسه – كما يشير الدكتور الــشكعة [١] –، بالنسبة لموقفه الرافض من البكاء على الأطلال ووصف الأمل والرحلة علــيها، حيث لم يترك مناسبة في خمرياته إلاّ ونال فيها من البكاء على الأطلال، ووصف الابل . . .

ثم يعود ثانية إلى المديح الخالص للممدوح معرضاً بطلب النوال بعد أن انتهى من وصف الرحلة ليختتم قصيدته فيقول:

زَهَا بالخصيب السيفُ والرمحُ في الوغى — وفي الــسّلم يزهــي مــنبرٌ وسريرُ

جــوادٌ إذْ الأيــدي قبــضن عن الندى — ومــن دون عــورات النساء غيورُ

وإني جديــــرٌ إنْ بَلغــــتُكَ بــــالغنى — وأنــتَ بمــا أمّلــتُ مــنكَ جديرُ

فــإنْ تــولني مــنكَ الجميــلَ فأهلُــهُ — وإلاّ فإنّــي عــاذرٌ ومــشكورُ

أما قصيدة ابن دراج التي عارض بها قصيدة أبي نواس فمطلعها [٢]:

دعــي عزمــاتِ المستضــامِ تسيرُ — فتــنجدُ في عــرض الفَــلا وتغورُ

لعــلّ بما أشجاكِ من لوعــة النوى — يُعَــزّ ذلــيــلٌ أو يُفَــكُّ أسيرُ

ألم تعلمــي أنَ الــثــواءَ هو التوى — وأنّ بــيــوتَ العاجــزين قــبــورُ

ولم ترجُــري طيرَ السُّرى بحروفها — فتُنبِــئْكِ إنْ يَمّــنَّ فهــي سرورُ

تخوّفنــي طــولَ السّفــار وإنّــهُ — لتقبــيل كــفّ العامــريّ سفيــرُ

وقــصيدة ابن دراج جاءت بالمحاور التي انتهجها أبو نواس نفسها، فبدأ ابن دراج بمخاطبــة زوجته التي زجرته ومنعته من الرحلة خوفاً عليه من مخاطر السفر، وهو كأبي نــواس، يعد زوجته بأن رحلته إلى الممدوح تدر عليه المال الوفير ليهون عليها الفراق،

(١) الشعر والشعراء: ٣٠٠ د. مصطفى الشكعة.

(٢) ديوان ابن دراج القسطلي، القصيدة رقم (٧٨).

فيقول:

فإنّ خطيرات المهالك ضُمَّنٌ ... لراكبها أنّ الجزاءَ خَطِيرُ

ولقد تميز ابن دراج عن أبي نواس في تصوير الجانب الأسري وعاطفة الأبوة، فزوجته تطلب منه أن يعدل عن الرحلة إكراماً لها ولطفلها، لأن غيابه عنهما ربما سيعرضهما للحرمان منه فتتفكك عرى أسرتهم، فيقول:

ولمّا تدانتْ للوداع وقدْ هَفَا ... بصبريَ منها أنّةٌ وزفيرُ

تناشِدُني عهدَ المودّةِ والهوى ... وفي المهدِ مبغومُ النداءِ صغيرُ

عييٌّ بمرجوعِ الخطابِ ولفظُهُ ... بموقعِ أهواءِ النفوسِ خبيرُ

ثم ينتقل ابن دراج إلى وصف الرحلة ومشاقها ومتاعبها، واختلف في الوصف عن طريقة أبي نواس عندما ذكر المدن والمواضع التي مرّ بها، فضلاً عن وصف الناقة، وفي وصف مشاق الرحلة، يقول:

وأستنشقُ النّكباءَ وهي بوارحٌ ... وأستوطئُ الرّمضاءَ وهي تفورُ

وللموتِ في عيشِ الجبانِ تلوّنٌ ... وللذعْرِ في سمعِ الجريءِ صفيرُ

أميرٌ على غولِ التنائفِ مالُهُ ... إذا ريعَ إلاّ المشرفيَّ وزيرُ

ثم ينتقل بعد ذلك إلى ممدوحه (المنصور بن أبي عامر) ويستغرق عنده المدح أكثر من نصف القصيدة، ومما قاله في مدحه:

وأيُّ فتىً للدينِ والملكِ والنّدى ... وتصديقِ ظنّ الراغبينَ نَزورُ

مجيرُ الهدى والدينِ من كلّ ملحدٍ ... وليسَ عليهِ للضلالِ مجيرُ

تلاقتْ عليهِ من تميمٍ ويعربٍ ... شموسٌ تلألأُ في العُلا وبدورُ

من الحميريينَ الذينَ أكفُّهمْ ... سحائبُ تهمي بالندى وبحورُ

ويختم ابن دراج قصيدته بالاعتذار من الممدوح فيقول:

جنابُكَ في غفرانِ زلّةِ تائبٍ ... وإنّ الذي يجزي به لغفورُ

وقصيدة ابن دراج، وإن اتفقت مع قصيدة أبي نواس في الموضوع والوزن والقافية، إلاّ أنها اختلفت في عدد الأبيات، عندما بلغت قصيدة أبي نواس أربعين بيتاً، نجد قصيدة ابن دراج بلغت خمسة وستين بيتاً، واختلفا في نظرتهما للممدوح. فقد حسّد أبو نواس جانب الكرم عند ممدوحه الخصيب (صاحب خراج مصر) في حين حسّد ابن دراج

بشخصه القائد العربي المسلم الذي جمع الدين والدنيا وهو الحاكم الفعلي للأندلس.

ويمكننا القول: إن ابن دراج قد تفوق على أبي نواس واستطاع أن يشق غباره، فجاءت قصيدة متفوقة في معانيها وصورها ولغتها، ولربما تقدم عليه في بعض الأبيات.

ب – المعارضات في الوصف:

ويعمد ابن عبد ربه إلى نوع ثانٍ من المعارضة الشعرية، وهو المعارضة الناقصة، فيعارض أبا تمام في وصفه للقلم، وهو في هذه المعارضة لا يلتزم روي القصيدة السابقة التي يعارضها كما فعل من قبل مع مسلم بن الوليد، وإنما ينظر إلى معانيها، ثم ينشئ قصيدة تتضمن هذه المعاني مع شيء من التقليب والتغيير والعكس والإسهاب [1].

ومما قاله أبو تمام في وصف القلم:

لكَ القلمُ الأعلى الذي بشباتهِ ... يصابُ من الأمرِ الكُلى والمفاصلُ

لعابُ الأفاعي القاتلات لعابُه ... وأرى الجَنى إشارتهُ أيدٍ عواسلُ

له ريقةٌ طَلٌّ ولكنّ وقعها ... بآثارهِ في الشّرق والغربِ وابلُ

فصيحٌ إذا استنطقْتهُ وهو راكبٌ ... وأعجمُ إن خاطبْتهُ وهو راجلُ

إذا ما امتطى الخمسَ اللّطافَ وأفرغتْ ... عليه لعابُ الفكرِ وهي حوافلُ

أطاعتهُ أطرافُ القنا وتقوّضتْ ... لنجواهُ تقويضَ الخيامِ الجحافلُ

إذا استغزرَ الذّهنَ الجليّ وأقبلتْ ... أعاليه في القرطاسِ وهي أسافلُ

وقد رفدتهُ الخنصران وسدّدتْ ... ثلاث نواحيهِ الثلاثُ الأناملُ

رأيت جليلاً شأنهُ وهو مرهفٌ ... ضنىً وسميناً خطبُهُ وهو ناحلُ [2]

وقال ابن عبد ربه معارضاً:

بكفّهِ ساحرُ البيان إذا ... أدارَهُ في صحيفةٍ سَحَرا

ينطقُ في عجمة بلفظتهِ ... تصمُّ عنها وتُسمعُ البصرا

نوادرٌ يقرعُ القلوبَ بها ... إنْ تستبنْها وجدتَها صُورا

نظامُ درِّ الكلام ضمّنهُ ... سلكاً لخط الكتاب مُستطرا

(١) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة: ٢٠٢.

(٢) شرح الصولي لديوان أبي تمام: ٢ / ٣٣٢ – ٣٣٥، تح: د. خلف رشيد نعمان، بغداد ١٩٨٢ م، وذكرها ابن عبد ربه في العقد: ٤ / ١٩٢ – ١٩٣.

إذا امتطى الخنصرينِ أذكرَ منْ ... سحبانَ فيما أطالَ واختصرا !
يخاطبُ الغائبَ البعيدَ بما ... يخاطبُ الشاهدَ الذي حضرا
ترى المقاديرَ تستدفُّ لَهُ ... وتُنفذُ الحادثاتُ ما أمَرا
شَحتٌ [1] ضئيلٌ لفعلهِ خطرٌ ... أعظِمْ بهِ في ملمّةٍ خطرا
تمجُّ فكّاهُ ريقةً صغُرَتْ ... وخَطْبُها في القلوبِ قدْ كبُرا [2]

ولا بدّ من الإشارة بأن ابن عبد ربه في كتابه (المجنبة في الأجوبة) تناول الكلام عن الأقلام، وساق قطعة شعرية لعدد من الشعراء، منهم أبو الحسن بن عبد الملك الهاشمي، والعلوي، وأبو تمام، والبحتري، وابن أبي طاهر، ثم أردف تلك القصائد والمقطعات بقصيدته الرائية المتقدمة في القلم [3].

ومن الباحثين الذين وقفوا وقفة متأنية عند معارضة ابن عبد ربه الدكتور أحمد هيكل، حيث وازن بين القصيدتين [4]، ووجد أن ابن عبد ربه قد استعار المعاني من قصيدة أبي تمام في وصف القلم وعارضها على الشكل الآتي:

له ريقةٌ طَلٌ ولكنّ وقعَها ... بآثارِه في الشّرقِ والغربِ وابلُ

أما القلم عند ابن عبد ربه فإنه:

تمجُّ فكّاهُ ريقةً صَغُرَتْ ... وخطبُها في القلوبِ قَدْ كَبُرا

والقلم عند الشاعرين يمج ريقه قليلة، واستمد أبو تمام صورته من الطبيعة وجعل الريقة عندما يمجها القلم طلاً، ثم يتضاعف فتصير وابلاً، أما ابن عبد ربه فإنه قصر عن أبي تمام في هذه الصورة، وقدّم الفكرة تقديماً إخبارياً ساذجاً.

والقلم عند أبي تمام.

فصيح إذا استنطقْتَهُ وهو راكبٌ ... وأعجمُ إنْ خاطبْتَهُ وهو راجلُ

أما القلم عند ابن عبد ربه:

ينطقْ في عجمة بلفظته ... تصمُّ عَنها وتُسمعُ البَصرا

---

(١) الشحت: الدقيق الطاهر.
(٢) الديوان: ٨٧، وذكرها ابن عبد ربه في العقد مج. ٤ / ١٩٣ - ١٩٤.
(٣) العقد الفريد، مج ٤: ١٩٤.
(٤) الأدب الأندلسي: ٢٠٢ - ٢٠٤ د. أحمد هيكل.

والقلم عند أبي تمام ناطق في فصاحته، إذا تناوله الكاتب وبدأ يخط، وأخرس أعجم إذا تركه كاتبه ولم يستنطقه. وتتلازم الفصاحة مع النطق في قلم أبي تمام، أما قلم ابن عبد ربه فهو ناطق في عجمته، ولم يتطرق ابن عبد ربه إلى شرط الفصاحة مع النطق، وبذلك اختلفت صورة القلم عند الشاعرين.

والقلم عند أبي تمام:

إذا ما امتطى الخمسَ اللطافَ وأفرغتْ ... عليــه شــعابُ الفكــر وهي قوافلُ

أطاعَــتْهُ أطــرافُ القــنا وتقوّضَــتْ ... لــنجواهُ تقــويضَ الخــيامِ الجحافلِ

أما قلم ابن عبد ربه:

إذا امتطى الخنصرين أذكَرَ منْ ... سحبانَ فيما أطالَ واختَصَرا

والقلم عند ابن عبد ربه فارس في ميدان البلاغة فهو يشبهه بأحد بلغاء العرب وهو سحبان بن وائل، وقلمه ممتط للخنصرين فقط.

أما قلم أبي تمام فهو ممتط للأصابع الخمس، وهو فارس ميدان حقيقي يأمر فيطاع، ولم يوفق أبو تمام في هذه الصورة، لعدم تلاؤم أجزاء الصورة في البيت الأول، فضلاً عن وجود بعد بين المشبه (القلم) والمشبه به (الفارس الحقيقي)، ولعل ابن عبد ربه أقرب إلى الواقع عندما شبّه (القلم) بـــ (سحبان وائل) فارس البلاغة.

والقلم عند أبي تمام:

رأيتُ جليلاً شأنُهُ وهو مرهفُ ... ضنىً وسميناً خطبُه وهو ناحلُ

أما قلم ابن عبد ربه:

شخْتٌ ضئيلٌ لفِعْله خَطَرُ ... أعظِمْ به في مُلمَّـــة خَطَرا

والقلم عند الشاعرين ضئيل، ولكن أثره ضخم، غير أن أبا تمام في بيته أتى بزيادة مقـــصدة عندما وصف خطره بأنه ((سمين))، ولعل ذلك يعود إلى حب أبي تمام الشديد للمقابلة بين الألفاظ، ومن الملاحظ أن ابن عبد ربه في معارضته لأبي تمام حاول تحديد الصور بالإضافات والتعديلات، فوفق حيناً وأخفق حيناً آخر.

واعـــتمد أبو تمام وابن عبد ربه في وصفهما للقلم على التشخيص [1]، ونجد أن

---

(١) التـــشخيص: وهو من الظواهر التي يرسم فيها الشاعر صورة نابضة بالحياة، ويتمثل في خلع الحياة علـــى المحـــسات الجامدة، والظواهر الطبيعية الصامتة، حتى إنها تعامل معاملة الذي يعقل ويفهم، =

الشاعرين اتفقا على اضباع صفة الحياة على القلم، فيصفانه وكأنه إنسان أمامهما مسبغين عليه الصفات الإنسانية، والشواهد كثيرة بين القصيدتين.

ولم تقتصر المعارضات الشعرية في الوصف على معارضة الأندلسيين للمشارقة، بل تعـــدت المعارضة في الوصف على معارضة الأندلسيين فيما بينهم، ومن المقطعات التي شـــغف بهـــا الأندلســـيون وعارضوها، مقطعة قالها أبو علي ادريس بن اليماني العبدري اليابسي (ت ٤٧٠ هـــ) في وصف الحمامة، من قصيدة في مدح ابن واجب مطلعها [1]:

وادي الأراكِ أطلْتَ شكوى الشاكي ... بشميـــم كـــلِّ نشامـــةٍ وأراكِ

يقول فيها في وصف الحمامة:

ورقـــاءُ مطوقةُ السوالـــفِ سندساً ... لم يحـــك صنعتَهـــا حياكَةُ حاكِ
تـــشدو على خُضْرِ الغصون بألسنٍ ... صـــبغت ملاتمهـــا بـــلا مسواكِ
وكـــأن أرجلَهـــا القوانـــي أُلبست ... نُعْـــلاً من المرجـــانِ دونَ شراكِ
وكأنّهـــا كُحلَـــتْ بنـــارِ جوانحي ... فتـــرى لأعيـــنها لَهيـــبَ حشاكِ

وعارضـــه أبـــو الربيع القصاعي في صفتها وليس في وصفها ويعتذر ابن بسام عن روايـــة شعر أبي الربيع القصاعي في وصف الحمامة لأن أبا الربيع حرج إلى ذكر الحمامة بوصف غير رائق استرد فيه، ورأى أن لا يكون ممن يرويه [2].

ومما قاله أبو الربيع القصاعي في صفة الحمامة معارضاً ادريس بن اليمان [3]:

زَعَـــمَ العبيــــرُ بأنّـــهُ حاكـــاكِ ... كـــذبَ العـــبيرُ ومـــا حكى ريّاكِ
هـــذا شـــيُمك فلـــيهبَّ نسيمُـــهُ ... حـــتى تَـــبين مقالـــةُ الأفّـــاكِ

وتخلـــع عليها صفات المخلوقات العاقلة المدركة النابضة بالحياة، وهو الذي يطلق عليه الغربيون اسم (PERSONIFICATION).

ينظـــر: الطبيـــعة في القرآن الكريم: ١٦٠ د. كاصد ياسر الزيدي، بغداد ١٩٨٠، الصورة الفنية معـــياراً نقدياً: ٤١٩ د. عبد الإله الصائغ، بغداد ١٩٨٧؛ وينظر: المديح في شعر صدر الإسلام: ٢٠٨ خلـــف حـــسن علي، رسالة ماجستير، مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم اللغة العربية ١٩٨٧.

(١) الذخيرة، ق ٣ م ١: ٣٤٤ – ٣٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ق ٣ م ١: ٣٤٥.

(٣) المصدر نفسه، ق ٣ م ١: ٣٤٥.

وإنْ ادّعى ريمُ الفلاةِ بأنّ في ... عينيه لمحةَ عينِك السّفاكِ
فَلْيَلْتَمحك بمقلتيهِ مُغازلاً ... حتى تفنّدَ قولَهُ عيناكِ

وعارضه يحيى بن هذيل في صفة الحمامة وقال [(١)]:

وَمُرِنّةٍ والدّجْنُ ينسجُ فوقها ... بُرْدَيْنِ من طلٍّ ونوءٍ باكِ
مالتْ على طيِّ الجناحِ وإنّما ... جعلتْ أريكتها قضيبَ أراكِ
وترنّمتْ لَحْنينِ قد حَلّتْهُما ... بغناءِ مُسْمِعةٍ وأنّةِ شاكِ
فقدتُ من نفسي لفرطِ تلهفي ... نفسَ الحياةِ وقلتُ من أبكاكِ

وعارضه في وصف الحمامة يوسف بن هارون الرمادي (ت ٤٠٣ هـ) بقوله [(٢)]:

أحمامةَ فوقَ الأراكةِ تَثْني ... بحياةِ من أبكاكِ ما أبكاكِ ؟
أمّا أنا فبكيتُ من حُرق الهوى ... وفراق من أهوى، أأنتِ كذاكِ ؟

وعارضه في وصف الحمامة أيضاً، أبو مروان المعروف بالبلينة، فقال من قصيدة أولها [(٣)]:

يومَ العقيقِ غدوتُ من قتلاكِ ... لما رمتْ بسهامها عيناكِ

ثم خرج إلى صفة الحمامة، فقال:

أحمامةً بكتْ الهديلَ وإنّما ... طَرِبتْ فغنّتْ فوق غُصْنِ أراكِ
معشوقةُ التطويق ذاتُ قلائدٍ ... غَنيتْ جواهُرها عن الأسلاكِ
ناحتْ على غصنٍ وكلُّ شجٍ بكى ... يوماً بلا دمعٍ فليس بباكِ
لو كنتِ صادقةً وكنتِ شجيةً ... جادَتْ دمُوعكِ حينَ جدَّ بُكاكِ

ونحن نضع هذه المقطعات الشعرية في الميزان نجد أن أبا علي ادريس بن اليماني العبدري، قد قدّم صورة رائعة لوصف الحمامة، لذلك أثنى عليه ابن بسام بقوله: ((وأجاد أراد وزاد)) [(٤)].

---

(١) الذخيرة، ق ٣ م ١: ٣٤٦.
(٢) شعر الرمادي يوسف بن هارون: ٤٦، تح: ماهر زهير جرار، ط١، بيروت ١٩٨٠.
(٣) الذخيرة، ق ٣ م ١: ٣٤٨.
(٤) المصدر نفسه، ق ٣ م ١: ٣٤٥.

وأخفق أبو الربيع في معارضته في وصف الحمامة، لذلك اعتذر ابن بسام [(١)]، كما قدمـــا عن رواية شعره في الوصف واكتفى بإيراد أربعة أبيات في صفتها وتابعه يحيى بن هذيل، وأبو مروان البلّية في معارضة ادريس في صفتها، في حين تفرّد الرمادي بين هؤلاء الـــشعراء في المعارضة في وصف الحمامة ملتقياً مع ادريس بن علي وهو الواصف الأول للحمامة.

واعـــتمد الـــشعراء الأندلسيون هنا في المعارضة على مبدأ التشخيص، فقد أسبغ الشعراء على الحمامة صفة الإنسان، فأخذوا يحاطبونها وكأنها تفهم، ولم يقتصر أبو الربيع القـــضاعي على إسباغ صفة الإنسانية على الحمامة، فجعل العبير ينطق ويحاكي الحمامة، حيث أعطاه صفة إنسانية بقوله:

زعم العبيرُ بأنّهُ حاكاكِ   كذبَ العبيرُ وما حكى رياكِ

كما أسبغ الصفة الإنسانية على الغزال حيث جعلها تدعي، بقوله:

وإنْ أدعى ريمُ الفلاة بأنّ في   عينيهِ لحمـــةَ عيـــكِ السفّاكِ

ولم يشخص يحيى بن هذيل مقطعته، في حين يشخص يوسف بن هارون الرمادي مقطعته ويسبغ على الحمامة صفة إنسانية ويسألها وكأنها تفقهه فيقول:

أحمامةً فوق الأراكةِ تَنْثَني   بحياةِ من أبكاكِ ما أبكاكِ ؟

ويـــشخص أبـــو مروان المعروف بالبلّية مقطعته ويسبغ على الحمامة صفة البكاء وهي صفة إنسانية فيقول:

أحمامةً بكت الهديلَ وإنّما   طربتْ فغنّتْ فوقَ غُصْنِ أراكِ

وتتباين حال الحمامة عند الشعراء، فهي شادية عند ادريس، إذ يقول:

((تشدو على خُضْر الغصون بألسن)).

وحمامة كل من يحيى بن هذيل والرمادي باكية إذ يقولان لها: ما أبكاكِ ؟

ج – المعارضات في النوريـــات:

وهـــو ضـــرب من المعارضة في الوصف، إلاّ أنه وصف من نوع خاص، وصف للنوريات، في معارضة نوريات المشارقة، وقد وقف ثلاثة من الشعراء الأندلسيين وهم: أبو الحزم جهور بن أبي عبدة، وسعيد بن فرج الجياني، وأبو بكر بن القوطية، على قصيدة

(١) الذخيرة، ق ٣ م ١: ٣٤٥.

لابـــن الرومي، فضّل بها النرجس على الورد، فعارضوه معارضة تامة فضّلوا فيها قصائد الأزهار على الورد، قال ابن الرومي في النرجس [(١)]:

للنـــرجسِ الفـــضلُ المـــبينُ وإنْ أبى ... آب وحـــــادَ عـــن الطريقةِ حائدُ
مـــنْ فـــضـــله عندَ الحجـــاج بأنّهُ ... زهـــرٌ ونَـــوْرٌ وهـــو نبـــتٌ واحدُ
يحكـــي مـــصابيحَ السمـــاء وتارةً ... يحكـــي مـــصابيحَ الوجوهِ تراصَدُ
ينهـــي الـــنديمَ علـــى القبيح بلحظه ... وعلـــى المدامةِ والسماعِ مُساعدُ
اطلـــبْ بعفـــوِكَ فـــي الملاحِ سَمِيَّهُ ... أبـــداً فإنّـــكَ لا محـــالةَ واجـــدُ
والـــوردُ لـــــو فتشتَ فـــردُ اسمَهُ ... مـــا في المـــلاحِ لـــهُ، سميُّ واحِدُ
هـــذي الـــنجـــومُ هي التي ربَّتهُمَا ... بحـــيا الـــسحابِ كما يربي الوالِدُ
فـــتأملِ الاثنـــيـــنَ: مـــن أدناهُمَـــا ... شَـــبَهاً بـــوالِدِهِ، فـــذاكَ الماجِـــدُ
أيـــنَ العـــيـــونُ مـــن الخدودِ نفاسةً ... ورياســـةً لـــولا القياسُ الفاسِـــدُ

قال أبو الحزم بن جهور معارضاً ابن الرومي [(٢)]:

الـــوردُ أحسنُ ما رأتْ عيني وأذْ ... كـــى مـــا سقى ماءُ السّحابُ الجائدُ
خَـــضعَتْ نواويـــرُ الرّياضِ لِحُسنِهِ ... فـــتذلّلَـــت تنقـــادُ وهي شـــواردُ
وإذا تـــبـــدَّى الـــوردُ في أغصانِهِ ... يـــزهو فـــــذا مَيْتٌ وهـــذا حاسِدُ

---

(١) ديوان ابن الرومي: ٢ / ٦٤٣ - ٦٤٤، تح: د. حسين نصّار، القاهرة، ١٩٧٤.

(٢) الحلـــة السيراء: ١ / ٢٤٦ - ٢٥٠ لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار، تح: د. حسين مؤنس، ج ١، وينظر: نفح الطيب: ١ / ٣٠٤.

وقـــد خلط نفر من أصحاب التراجم في نسبة هذه الأبيات فحصل لبس بين أبي الحزم جهور بن أبي عبده وحفـــيده الوزيـــر أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور الذي استبد بقرطبة وتوفي سنة (٤٣٥ هـــــ) وذلـــك لاشتراك الاثنين في الاسم والكنية فنسب لصاحب قرطبة شعراً ليس له، وممـــن وقع في هذا اللبس الحميدي في جذوة المقتبس: ١٧٧، والضبي في البغية: ٢٦٠ - ٢٦١، وذلك لاعتماد الأخير على الحميدي في نقل الترجمتين عن الجذوة، وفصّل ابن الأبار في حلته هذه المـــسألة وناقشها مناقشة طريفة (١ / ٢٥٠) ووقع في اللبس أيضاً، الفتح بن خاقان عندما ترجم للوزيـــر بن جهور بن محمد في كتابه (**مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**)، ونسب الفتح الأبيات في القسم الأول من كتابه للحفيد وليس للجد، والصواب أن تكون للجد، وقد نبّه على هذا الخلط محمد علي شوابكة، محقق الكتاب: ١٨٤ - ١٨٦.

وإذا أتى وفدُ الربيع مُبَشراً   بطلوعِ صفحته فنِعمَ الوافدُ
ليس المبشِّرُ كالمبشَّر باسمه   خبرٌ عليه من النُبوةِ شاهدُ
وإذا تعرّى الوردُ من أوراقِه   بَقِيَتْ عوارفُهُ فَهُنَّ خوالدُ

وعارضها سعيد بن فرج الجياني، فقال [1]:

عني إليكَ فما القياسُ الفاسِدُ   إلاّ الذي ردّ العيانَ الشاهِدُ
أزَعَمْتَ أنّ الوردَ من تفضيلِه   خجِلٌ وناحلُهُ الفضيلةَ عانِدُ
إن كانَ يستحيي لفضلِ جمالِه   فحياؤُهُ فيهِ جمالُ زائدُ
والنرجسُ المصفرُّ أعظمُ ريبةً   من أنْ يحولَ عليهِ لونٌ واحِدُ
ليسَ البياضُ بِصُفْرةٍ في وجهِهِ   صِفَةً كما وَصَفَ الحزينُ الفاقِدُ
والنرجسُ المتحطُ إما راكعٌ   ذلاً إلى عفَرِ الثرى أو ساجِدُ

وختمها بقوله:

وإذا فَخَرَتْ على الخدودِ بمقلةٍ   يرفانها بادٍ فأصلُكَ فاسِدُ
ولو أنّ فِعْلاً للكواكِبِ في الثرى   ربّى الرياضَ كما يُربي الوالِدُ
وتنازعَ النوّارُ شبهَ صفاتِها   ما كان غيرَ الوردِ فيها الماجِدُ
الوردُ وقّادُ التوقُّدِ ناصرٌ   والنجم ناريٌّ مضيٌّ واقِدُ

وعارضها أبو بكر بن القوطية [2] فقال:

كُسفَتْ خدود النرجسِ المصفَرِ مِنْ   حسَدٍ وقدْ يذوي العدوَ الحاسِدُ
واصفرّ حتّى كادَ أنْ يقضي أسىً   لمّا رأى الوَرْدَ الذي هو وارِدُ
هيْهاتَ للوَرْدِ الفضائلُ كُلُّها   وإنْ ادّعى التكذيبَ فيه مُعانِدُ
فَصلُ القَضِيّةِ إنّ هذا ممتعٌ   فَصْلَ الربيعِ وكلُّ نَوْرٍ بائِدُ
وكفى افتخاراً إنّ هذا نافِقٌ   غضاً ومبتذلاً وهذا كاسِدُ

---

(١) البديع في وصف الربيع للحميري: ٧٧ – ٨٢، تح: هنري بيرس، المطبعة الاقتصادية بالرباط، ١٩٤٠.

(٢) يرجح الدكتور إحسان في الهامش (١) من الذخيرة: ق ٢ م ١: ٢١٥، أن ابن القوطية المقصود هنا هو صاحب الشرطة الحفيد، وليس المعروف بأبي بكر محمد بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية صاحب كتاب الأفعال وكتاب افتتاح الأندلس.

لو لم يكن للورد إلاّ أنّهُ يفنى ويبقى مــازُهُ المتعاهدُ
ولَـهُ منافع لا تحمل كثرةً ومرافقٌ مشكورةٌ وفوائدُ
والنرجس المصفرُ ليسَ بنافع مَيْتاً ولا في الروض إذْ هوَ وافدُ
هذا عقيمٌ لا يُنشاءُ بذكره أبداً وعقبُ الورد باقٍ خالدُ [١]

بعد أن وضعنا هذه القصائد الأربع في ميزان النقد، وجدنا ابن الرومي يضع قصيدة دالية يفضل بها النرجس على الورد، ويرى أحد الباحثين أنه كان ((متعاشاً بمظاهر الطبيعة تعاشه في بعض نماذج الهجاء والوصف، فيعارض بين زهرة وأخرى، مظهراً فضل احداها على الثانية مفصحاً عن شدة تنبه لمواضع التباين والرموز التي تحفل بها الطبيعة)) [٢]، إلاّ أنـه كان في نظر الشعراء الأندلسيين الثلاثة [٣]، غامطاً حق الورد فعارضوه بقصائد تامة، حاولوا أن يبينوا خطل رأيه معتمدين المحاججة، وأولهم أبو الحزم بن جهور برد على ابن الرومي، ويفضل الورد على بقية الأزهار، فالورد أحسن ما رأت عينه، ويعتمد في رده على موروثه الثقافي والديني، فيرد رداً طريفاً بقوله:

وإذا أتى وفــدُ الربيعِ مُبشّراً بطلوع صفحته فنعم الوافدُ
ليسَ المبشّر كالمبشّر باسمه خبرٌ عليه من النبوة شاهدُ

فالورد عنده هو الذي يسبق فصل الربيع، ويظهر للعيان مبشراً بمقدم الربيع، ويعني على الورد (نعم) وهي للمدح، وهو يشبه الرسول محمد ﷺ بالورد، والمؤمنين المبشرين يشبههم بفصل الربيع، ولا شك أن الرسول ﷺ هو أفضل عباد الله قاطبةً فهو ولا شك أفضل من المبشرين بالجنة، وكذلك فالورد أحسن من فصل الربيع.

أما سعيد بن فرج الجياني، وأبو بكر بن القوطية، فقد نصبا نفسيهما محاميين يدافعان عن مظلوم وهو الورد، وقد ظلمه الجاني ابن الرومي، وجعلا الأمر قضية لها حاكم وشهود وأدلة وبراهين، ومثال ذلك قول سعيد بن فرج الجياني:

عني إليكَ فما القياسُ الفاسدُ إلاّ الذي ردّ العيانَ الشاهدُ

---

(١) البديع في وصف الربيع: ٧٣ – ٧٤، وينظر: شعر أبي بكر بن القوطية من أعيان المائة الخامسة الهجرية: ٩٥، تح: هدى شوكت بهنام، مجلة المورد، ١٤ / ١ / ١٩٨٥، وهي في (٢٠) بيتاً.
(٢) ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره: ٤٠ إيليا حاوي، ط ٢، بيروت ١٩٨٠.
(٣) تقدم ذكرهم في الصفحة السابقة.

والقـــياس من عدة الحكام في القضاء بين الناس، فيقيسون حكم حالة متأخرة على سابقة لها، تماثلها وتوازيها، وكذلك ورد عنده ((العيان الشاهد)) فلا يمكن أن يتم حكم دون شهود.

وكذلك قول أبي بكر بن القوطية:

هـــيهـــات للـــوردِ الفـــضائلُ كلُّها وإنِ ادَّعـــى الـــتكذيبَ فيه معانِدُ
فَـــصـــلُ القـــضيةِ إنَّ هـــذا ممتِعٌ فَـــصل الـــربيع وكـــلُّ نَـــوْرٍ بائدُ

ولو نظرنا إلى مفردات ابن القوطية: (ادعى، التكذيب، معاند، قضية) وجدناها من متداولات المحاكم، وقد وفق الشعراء الأندلسيون في المعارضة إلى حد بعيد من ناحية البناء الفني.

د – المعارضات في المجون:

وأول من يطالعنا يحيى بن الحكم الغزال (ت ٢٥٠ هـــ) والذي عارض أبا نواس معارضة تامة بأسلوب القصة الشعرية، وقصة القصيدة كما أوردها المقري[1]، أن الغزال عندما رحل إلى العراق ضمه مجلس لهو في بغداد ووجد هؤلاء يلهجون بذكرى أبي نواس ويـــرون أنه لا يدانيه أحد، كما وجدهم يزرون بأهل الأندلس، وشعرائها والغزال يستمع إليهم، فلما تناولوا في حديثهم ذكر أبي نواس قال لهم من يحفظ منكم قوله:

ولمّا رأيتُ الشّرْبَ أكْدَتْ سماؤهُمْ تأبّطْـــتُ زِقّـــي واحْتَسَـــبْتُ عنائي
فلمـــا أتـــيتُ الحـــانَ ناديـــتُ ربّهُ فهـــبّ خفيفَ الروح نحـــوَ ندائي
قَلـــيلُ هجُـــوعِ العـــينِ إلاّ تعلـــةً علـــى وجـــلٍ مـــني ومنْ نظرائي
فقلـــتُ أذقْنيهـــا فلمّـــا أذاقَنيْ طـــرحـــتُ إليـــهِ ريطتي وردائـــي
وقلـــتُ أعـــرْني بذلَةً أستَتِر بهـــا بـــذلـــتُ له فيهـــا طـــلاقَ نسائي
فـــو الله ما بـــرّتْ يميني ولا وفتْ لَـــهُ غيـــرَ أني ضامِـــنٌ بوفائـــي
وأتـــتْ إليّ صـــحبيْ ولم أكُ آيـــباً فكـــلٌ يفدّينـــي وحـــقّ فدائِي

وأعجـــب المجلـــس بهذه القصيدة التي شابهت شعر أبي نواس فتصوروا أن الغزال ينشدهم شعراً لأبي نواس لم يسمعوا به من قبل، ولما أطربوا قال لهم: حفظوا عليكم فإنه

(١) نفح الطيب: ٢ / ١٦١.

لي، فأنكروا ذلك، فأنشدهم قصيدة أخرى لها:

تَداركتُ في شربِ النبيذِ خطائيْ　　وفارقتُ فيــهِ شيمتيْ وحَيائي

فلما أتم القصيدة بالإنشاد خجلوا وافترقوا عنه [1].

ويـــرجح أن قـــصيدة أبي نـــواس الـــتي عارضها يحيى بن الغزال كانت في مدح هارون بن الرشيد والتي يقول فيها [2]:

لقـــدَ طالَ في رســـمِ الدّيارِ بُكائي　　وقـــدْ طـــالَ ترداديِ بهـا وعنائي

كـــأني مريـــعٌ في الديـــارِ طريـــدةٌ　　أراهـــا أمامـــي مـــرّةً وورائـــي

فلمّــا بدا لـــي اليأسُ عدّيتُ ناقتي　　عـــن الـــدّارِ، واستولى عليَّ عَزائي

إلى بـــيتِ حـــانٍ ما تَهـــرُّ كلابُـــهُ　　عليَّ ولا يكـــرنَ طـــولَ ثوانـــي

فمـــا رمته حتّى أتى دونَ ما حَوتْ　　يمينـــي حتّى ريطَتـــي وحذائـــي

فـــإن لم تكُ الصهباءُ أوْدَتْ بتالدي　　فلَـــمْ تُنْسِني أكرومتي وحياتـــي

وختمها بمدح هارون الرشيد:

إمـــامٌ يخـــافُ اللهَ حتّـــى كأنّمَا　　يُـــراقـــبُ لُقـــياهُ صباحَ مساءِ

أشـــمُّ، طُـــوالُ الـــساعدينِ، كأنما　　يُـــناطُ نجـــاداً سيفُـــهُ بلواءِ

عـــند وضع القصيدتين في الميزان، نجد قصيدة أبي نواس من الشعر التقليدي الذي بـــدأه صاحبه بالوقوف على الأطلال، ثم انتقل إلى وصف حالة اليأس عنده، التي عالجها باللجوء إلى حانة الخمر لأنها متنفسه الوحيد، الذي يسرب فيها غضبه وينسى همومه، هذا الحـــان الـــذي طالما تردد عليه حتى أصبحت الكلاب التي في بابه تألفه ولا تنكره، وأبو نواس عندما يشرب الخمرة فإنه لا يفكر بكم سيكلفه سعرها، وهو ينفق كل ما في يمينه حتى لا يبقى شيئاً عنده فيضطر أن يدفع بدلته وحذاءه لقاء المزيد من الشراب، ثم ينتقل إلى وصف الكؤوس المترعة بالخمرة قبل أن يشربها، وبعد ذلك يصل إلى الغرض الرئيس الذي قيلت فيه القصيدة وهو المدح.

أمـــا أســـلوبه الشعري فإنه يمتاز بالسهولة حتى يقارب لغة التخاطب اليومي، أما قصيدة يحيى الغزال، فإنها تتفق مع قصيدة أبي نواس في الأسلوب الشعري السهل، ويقدم

---

(١) المطرب: ١٤٧ – ١٤٨، نفح الطيب: ٢ / ٢٦٠ – ٢٦١.

(٢) ديوان أبي نواس: ٣٥٨ – ٣٥٩، القصيدة في (١٣) بيتاً.

الغزال قصيدته بأسلوب القصة الشعرية، إلاّ أن قصيدته لم تكن تقليدية بل اعتمدت على عـرض واحد هو الخمرة، فيصف لجوءه إلى حانة الخمر في ساعة متأخرة من الليل، وهو يـنادي رب الحـان، ذلك الرجل الذي لا ينام ويسهر مع الندامى ملبياً طلباتهم فيستقبل الغزال بحفة روح يستحسنها، ولما يتورط في احتساء الخمرة، فإنه يعب منها كثيراً، إلى أن يتاع بدلته، وهذا احتذاء واضح بموقف أبي نواس، عندما شرب وأفلس، ودفع بدلته لرب الحان، والغزال بعد أن ارتوى لا بدّ له أن يغادر الحان، فيعود ويطلب من رب الحان إعارته بدلة عوضاً عن بدلته التي ذهب بها الشرب، والقصيدة في مجملها تصوير لمعارضة أبي نـواس الذي عرفت عنه البراعة والدقة في التصوير، وقد وفق الغزال إلى حد كبير في هـذه المعارضة، ودليلنا أنه استطاع أن يوهم السامعين بأن هذا الشعر الذي ينشده هو لأبي نواس.

هـ – المعارضات في الغزل:

وفي هـذا المـيدان يطالعنا ابن عبد ربه، وهو يعارض صريع الغواني معارضة تامة فيقول ابن عبد ربه، ومما عارضت به صريع الغواني في قوله:

أديـــرا عليّ الرّاحَ لا تَشربا قَبلي ... ولا تَطْلُبـــا مــن عنــد قاتلَتي ذَحْلي
فــيا حــزْني أنّي أمُوتُ صبابـةً ... ولكــنْ علــى مــن لا يحــلُّ لَهُ قَتْلي
فديـتُ التي صَدّت وقالتْ لتربها ... دَعــيه، الثُّــريّا منهُ أقربُ من وصلي [(١)]

وبـين أيديـنا شرح الديوان نجد صريع الغواني يضيف إلى ما ذكره ابن عبد ربه فيقول:

كتمتُ تباريحَ الصّبابة عاذلي ... فلم يدرِ ما بيْ فاسترحْتُ من العذل

وختمها بقوله:

سـأنقـادُ للــذّات متّبــع الصِّبا ... لأمــضيَ همــي أو أصــيبَ فتىً مثلي
هل العيــشُ إلاّ أن أروحَ مع الصِّبا ... وأغدو صريعَ الرّاح والأعين النُّجل [(٢)]

ويقول ابن عبد ربه، فقلت على رويه:

(١) العقــد الفريد: ٣٩٨/٥، وينظر: ديوان ابن عبد ربه: ١٣٢، تح: د. محمد رضوان الداية، ط ١، بيروت ١٩٧٩ م.

(٢) شرح ديوان صريع الغواني، القصيدة رقم (٣)، تح: د. سامي الدهان، ط ١، مصر ١٩٥٧ م.

أتقتلنــــي ظُلمــاً وتجحــدني قَتْلي ... وقــد قامَ من عينيكَ ليْ شاهِدا عَدْلِ

أطــلابَ ذَحْلِــيْ ليسَ بي غيرُ شادنٍ ... بعينَــيهِ سحــرٌ فاطلبوا عندهُ ذَحْلي

أغـــارَ علـــى قلبـــي فلمّـــا أتيتُه ... أُطالِــبُــهُ فـــيـــه أغـــارُ على عقلي

ومنها يقول:

كتمت الهوى جهديْ فَجَرّدَهُ الأسى ... بماءِ البُكــا هــذا يخــطُّ وذا يُملــي

وأحببــت فيها العـــذْلَ حبّاً لذكرها ... فـــلا شيء أشهى في فؤاديِ من العذلِ

أقـــولُ لقلبيْ كلّمـــا صامه الأسى ... أذا ما أبيـــتَ العـــزَ فاصْبرْ على الذّلِ

وختمها بقوله:

وجدت الهوى نصلاً من الموتِ مغمداً ... فجرّدتــــهُ ثم اتكـــأتُ على النّصلِ !

فإن كـــنتُ مقتـــولاً على غيـــر ريبةٍ ... فأنتِ التي عرّضـــتِ نفسيَ للقتل [(١)]

وأول مـــن وازن بين القصيدتين هو ابن عبد ربه نفسه حينما قال: ((فمن نظر إلى سهولة هذا الشعر مع بديع معناه ورقّة طبعه، لم يفضله شعر صريع الغواني عنده إلاّ بفضل التقدم ولا سيّما إذا قرن قوله في هذا الشعر:

كتمتُ الذي ألقى من الحُبِّ عاذلي ... فَلَمْ يدرِ ما بيْ فاسترحْتُ من العذلِ

بقولي في هذا الشعر:

وأحببتُ فيها العذلَ حبّاً لذكرها ... فلا شيءَ أشهى في فؤادي من العذْلِ [(٢)]

والبيتين قبله وبعده)) [(٣)]، ومن الملاحظ أن ابن عبد ربه أبدى اعجاباً كبيراً بقصيدته وفضلها على قصيدة صريع الغواني، وتابعه الباحثون في الموازنة بين القصيدتين.

ويرى الدكتور جبرائيل جبّور ((أن ابن عبد ربه قد وفّق في معارضته لصريع على تأثره له من ناحية القافية والبحر وبعض الألفاظ والمعاني والاستعانة بالبديع وعلى كونه لم ينظم معارضته هذه إثر حادثة خاصة مع حسناء خاصة)) [(٤)]، وأشار الدكتور إحسان

---

(١) العقد الفريد: ٥ / ٣٩٨ - ٣٩٩، وينظر: ديوان ابن عبد ربه: ١٣٢ - ١٣٣.

(٢) وردت روايته في الديوان:

كتمتُ تباريحَ الصّبابةِ عاذليْ ... فَلَمْ يَدْرِ ما بي فاسترحتُ من العَذْلِ

(٣) العقد الفريد: ٥ / ٣٩٩.

(٤) ابن عبد ربه، د. جبرائيل جبور: ١٨٦، ط ٢، بيروت ١٩٧٩.

عباس إلى منهج ابن عبد ربه الخاص في هذه المعارضة بقوله: ((وطريقته في المعارضة التزام المعاني الأصلية ومحاولة عكسها أو الزيادة فيها، فإذا قال مسلم: ((لا تطلب [١] دَحلي)) قال ابن عبد ربه:

أطلابُ ذَحلي ليسَ بيَ غير شادن بعينيه سحرٌ فاطلبوا عنده ذحلي

فعكس المعنى عند صريع الغواني، وإذا تحدث مسلم أنه كتم الحب عن عاذله فاستراح من العدل قال ابن عبد ربه إنه يحب العدل لكي يذكر اسمها ولا شيء أحب إليه من العدل، وإنه حقاً كتم الحب كما كتمه مسلم ولكن الأسى هو الذي أخذ يعلنه بماء البكاء:

وأحببتُ فيها العـذلَ حبّاً لذكرها فلا شيءَ أشهى في فؤادي من العذلِ
كتمتُ الهوى جهدي فجرَّدَهُ الأسى بماءِ البكا هـذا يَخُـطُّ وذا يُملي[٢]

ويـرهو ابن عبد ربه بهذه القصيدة كما قدّمنا، ويرى أنه قد فاق مسلم بن الوليد، وليس لمسلم فضل عليه إلاّ في التقدم.

و – المعارضات في أغراض أخرى:

وينقل لنا المقري في نفح الطيب قولاً للحميدي [٣]: ((أنشده بحضرة بعض ملوك الأندلس قطعة لبعض أهل المشرق، وهي:

وماذا عليهـم لو أجابـوا فسلّموا وقـد علمـوا أنـيْ المشوق المتيّمْ
سَـرَوا ونجوم الليل زواهرٌ طوالعٌ علـى أنّهُـمْ بالليـل للنـاس أنجمُ
وأخفـوا على تلكَ المطايا مسيرَهم فَـنَمّ علـيها فـي الظـلام التبسُّمُ

وأفـرط بعض الحاضرين في استحسانها، وقال هذا مالا يقدر أندلسي على مثله، وبالحضرة أبو بكر يحيى بن هذيل (ت ٣٨٩ هـ) وقال بديهاً:

عـرفتُ بعـرف الريح أينَ تيمموا وأيـنَ استقـلَّ الظاعنونَ وخيَّموا
خليليّ ردّانـيْ إلى جانـب الحمَى فلـستُ إلى غيـر الحمَـى أتيمّـمُ
أبيـتُ سميـرَ الفرقديـن كأنّمـا وسـادي قتـادٌ أو ضجيعـيَ أرقمُ

---

(١) الأسبب لا تطلبا، لأن الشاعر صرّح بها هكذا، ينظر: الديوان: ١٣٢.
(٢) تأريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة: ٢٠١.
(٣) نفح الطيب: ٣ / ١٥٣ – ١٥٤.

وأحـــور وسنـــانُ الجفـــونِ كأنَّهُ ... قـــضيـــبٌ من الريحـــانِ لَدْنٌ مُنعَمُ

نظـــرتُ إلى أجفانـــهِ وإلى الهوى ... فأيْقَنْتُ أنّيْ لســـتُ منهـــنَّ أسلـــمُ

كمــــا أنَّ إبـــراهيم أوّلُ نظـــرةٍ ... رأى في الـــدراري أنه سوفَ يسقمُ

ولا شـــك أن القطعـــة المشرقية التي أوردها المقرّي ولم يحدد قائلها هي امتحان للـــشعراء الأندلسيين في مجالس ملوكهم، وجاءت الأبيات المشرقية في الشوق إلى الأحبة بعـــد أن رحلوا عن الشاعر، واهتدوا بنجوم الليل، وهو نور يهتدي به الناس، إلاّ أن أمر رحيلهم انكشف للشاعر، لأنهم تبسموا وبرقت أسنانهم على ضياء النجوم.

إلاّ أن قطعة يحيى بن هذيل التي عارض بها القطعة المشرقية جاءت في الشوق إلى الأحـــبة أيضاً، ودلل بها مقدرته على المعارضة، وأخذ معنى (الخفاء والستر)، وتوسع به حـــيث لم يأتِ بالصورة المتقدمة في القصيدة المشرقية بل يجد أن رائحة طيب أحبته هي التي كشفت أمرهم بالنسبة له.

ويحدثنـــا ابن هذيل عن لواعج الشوق وكيف قضى ليلته، وقد رافقته الهموم وهو يـــتقلب وكأنـــه قد توسد شوكاً أو قد استقرت إلى جنب فراشه أفعى، ويختتم قصيدته باقتباس إشاري من القرآن الكريم [١].

ومن القصائد التي قيلت في الشوق إلى الأحبة وعورضت قصيدة يوسف بن هارون الرمادي التي يقول فيها [٢]:

غـــداً يـــرحلون فـــيا يوم رُسلـــ ... ـــكَ كُـــنْ بالظلام مطيءَ اللحاق

ويـــا دمـــــع عـــينيَّ سدَّ الطريق ... وأفـــــرغْ علـــيهمْ نجيـــعَ المآق

ويـــا نَفَـــسيْ حثهـــم مـــن أمام ... وقـــابِلْهُـــم بنـــسيـــم احتـــراق

ويـــا هـــم نفْسيْ بهمْ كُـــنْ ظَلا ... مـــاً وقـــيِّدْهُمُ عـــن نوىً وانطلاق

ويـــا لـــيلُ من بعـــد ذا إنْ ظَفَر ... تَ بالـــصُّبح فاقـــذفْ به في وثاق

ســـيدرونَ كـــيفَ يبيتـــونَ عَنـــ ... ـــيَ إلاّ علـــى جهـــةِ الاستراق

---

(١) فـــيه إشـــارة إلى الآيـــة ٨٨ و ٨٩ من سورة الصافات ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۞ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾.

(٢) جذوة المقتبس: ١٦٥، وقد فاتت هذه القصيدة على ماهر زهير، جامع شعر الرمادي فأغفلها.

فعارضه أمية بن غالب الموروري أبو العاص [١]:

أعـــدّوا غـــداً لبكـــورِ الفراق	ولمْ يُعملـــوا ذا هـــوىً بانْطلاقِ
فـــنَمَّ الـــرِّعاءُ بأغْـــدادِهِمْ	وجمـــعُ الركابِ دليـــلُ افتـــراقِ
أســـرَّوا نـــوى البيـــنِ في ليلِهِم	فأظهَـــرَهُ الصُّبْـــحُ قبلَ انفـــلاقِ
ويـــومُ الفـــراقِ علـــى قُبْحِهِ	يذكـــرُ ذا الشـــوقِ حسن التّلاقِ
ســـأقْطَـــعُ عَنْهُمْ سلـــوكَ السبيـــ	ـــلِ وأكشفُ للبينِ عن شرّ ساقِ
وأجعـــلُ دونَ النّـــوى عرضـــةً	تكـــونُ حديثـــاً لأهـــلِ العـــراقِ
بـــرعدِ زفـــيري، وبـــرقِ احتراقي	ولـــيـــلٍ يداجي غيـــومَ اشتيـــاقِ
فتنطـــبـــقُ الأرضُ مـــن سيلِهـــا	علـــى طـــبـــقِ الأرضِ أيَّ انطباقِ
فـــلا يستطيعـــونَ مـــن وجهةٍ	بغيـــر استـــراقٍ ولا باستـــراقِ
ويبقـــى الحبـــيـــبُ على صونِهِ	وآمَـــنَ منهمْ عـــذابَ الفـــراقِ

لـــدى المـــوازنة بين القصيدتين [٢]، وجدنا أن قصيدة يوسف بن هارون هي في الشوق إلى الأحبة ومدى تعلقه بهم، وينحو بها منحىً مبالغاً فيه معتمداً على الايهام، وحلّ ما شاء على نفسه هو مُبالغ فيه، وقد عمد الشاعر إلى التشخيص فأضفى صفة الحياة على الـــيوم الـــذي سيرحل بين أحبته وخاطبه كمخاطبة من يعقل بأن لا يعمل بالظلام، كما شـــخّص الدمـــع وطلب من دموع عينيه أن تسد الطريق على الأحبة بحر من الدم لئلا يـــرحلوا وشخّص نفسه وطلب منه أن يكون هبوة نار، وشخّص همه ليكون ليلاً يقيدهم عن السفر، وشخّص الليل وطلب منه أن يقيد الصبح فلا يظهر.

وقد عمد الشاعر إلى كل هذه المعوقات بأسلوب طريف إلاّ عنصر المبالغة أخرج تمنيات الشاعر عن حدود المعقول والممكن.

أمـــا قصيدة الموروري فإنها تناولت الموضوع ذاته في قصيدة الرمادي وهو رحيل الأحـــبة، فهو يرى أن يوم الفراق على صعوبته له حسنة لأنه يذكر الأحبة بأيام الوصال بيـــنهم، ويـــتوعد الشاعر يوم الفراق بأنه سيجعل من عصبه معوقات كثيرة تمنع السفر،

(١) المصدر نفسه: ١٦٥ – ١٦٦.

(٢) اقتـــصر الدكـــتور إحسان عباس على دراسة قصيدة يوسف بن هارون، تنظر الدراسة في: تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة: ٢١٨.

معـــتمداً المبالغة ومحاولاً الإيهام أيضاً، إلاّ أنه لا يشخص أي لم يسبغ صفات الحياة على الأشـــياء كما فعل صنوه الرمادي، فهو يتحدى يوم الفراق بأنه سيجعل من نفسه بركان غـــضب، وينجح في تقديم صورة الإنسان الغضبان من خلال ربطه بتصوير حالته النفسية غـــير المستقرة بيوم مطير فيه البرق والرعد والغيوم، ويجعل الشاعر من نفسه رعداً ومن احتـــراقه بـــرقاً ومن همومه غيوماً ثقيلة، فتهطل هذه الغيوم أمطاراً تملأ السيول، فتقطع الطـــرقات، وبـــذلك يحاصر الحبيب فلا يقوى على المغادرة، وبذلك يأمن الشاعر من عذاب فراقه.

الفصل الثالث: معارضة الأندلسيين للمشارقة

لقد برز هذا الاتجاه بشكل واضح في مطلع القرن الخامس الهجري، وقوي عوده، طوال هذا القرن، نظراً لما امتاز به هذا القرن من ازدهار حضاري في الميادين كافة، وكان للشعر نصيب في هذه النهضة، لذلك وجدنا قدراً شعرياً لا يستهان به من معارضة شعراء الأندلس لفحول شعراء المشارقة، نظراً لما لهؤلاء من منزلة كبيرة في نفوس الأندلسيين.

ويمكننا القول باطمئنان إن معارضة الأندلسيين للمشارقة أقدم أصلاً من معارضة الأندلسيين فيما بينهم، وذلك أمر طبيعي يرجع إلى أن الأندلس في تلك المدة لم يكن لها أساتيذ من الشعراء الأندلسيين لكي يكونوا مثلاً أعلى لهم وقدوة يأتسون بها، وينسجون علـــى منوالها، في حين بقي المشرق كعبة للشعراء وقبلة للقاصد بفضل التقدم الحضاري الذي أحرزه على الأندلس بقرن من الزمن كما يذهب بعض الباحثين [1].

وكـــان للمجمـــوعة الشعرية الضخمة التي نقلها أبو علي القالي إلى الأندلس سنة ٣٣٠ هـــ قـــد بلغت سبعة وسبعين ديواناً وسبع قصائد، وهذه الدواوين كلها لشعراء جاهليين ومخضرمين وإسلاميين، فضلاً عن أشعار المحدثين أمثال أبي نواس (ت ١٩٨ هـــ) وأبي تمـــام (ت ٢٣١ هـــ) وابن المعتز (ت ٢٩٦ هـــ) والصنوبري (ت ٣٣٤ هـــ) والمتـــنبي (ت ٣٥٤ هـــ) وكان لها أعظم الأثر في ازدهار معارضة الأندلسيين لشعراء المشارقة [2].

وتواصل اهتمام الأندلسيين بالشعر المشرقي في القرن السادس الهجري أيضاً وهذا ابـــن دحية الكلبي يحدثنا عن ابن زهر الحفيد (ت ٥٩٥ هـــ) بقوله إنه كان ((بمكان من اللغـــة مكين ومَوْرد من الطلب عذب معين، وكان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب)) [3].

ممـــا جعـــل ابن زهر يمتلك شاعرية يشهد له بها المراكشي إذ يقول لابن زهر: ((شعراً أجادَ في أكثره)) [4]، ولم يقف اهتمام الأندلسيين بالمشارقة عند شاعر دون آخر،

---

(١) ينظر: المعتمد بن عباد: ١٦ د. عبد الوهاب عزام، دار المعارف بمصر ١٩٥٩ م.

(٢) فهرســـة ابن خير الإشبيلي: ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٣، ٤٠٨، ٤٤٠ وينظر: تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري: ٢١.

(٣) المطـــرب مـــن أشـــعار أهل المغرب لابن دحية الكلبي: ١٨٥، تح: الأبياري وآخرين، القاهرة ١٩٥٤ م.

(٤) المعجب في أخبار الأندلس والمغرب: ١٤٦.

بل تعدى اهتمامهم إلى شعراء المشرق كافة، ولا سيما المجيدين، وشخصت عن الاهتمام الأندلسي بأشعار المشارقة حاصة المعارضة الشعرية، وارتأينا أن نقف على هذه المعارضات وَفْقَ أغراضها الشعرية، من مديح، وغزل، ووصف، وفخر، وشكوى من الزمن، ورثاء، ومجون، وأغراض أخرى.

١ – المعارضات في المديح:

استأثرت المدحُ باهتمام الشعراء الأندلسيين وذلك لأن أكثرهم عاش في بلاط الملوك والموقف يتطلب من الشاعر أن يطرق هذا الغرض الشعري، وكان للمعارضة الشعرية نصيب وافر من غرض المديح، ويروي الفتح بن خاقان أنه غُنِّي في مجلس المعتصم بالله بن يحيى محمد بن معن بن صُمادح بيتي النابغة اللَّذين قال فيهما:

ولما نزلنا بجسر الصِّحاح	ولم نعرف الحيَّ إلاَّ التماسا
أضاءت لنا النارُ وجهاً أغرَّ	ومُلتبساً بالفؤاد التباسا

فاستطابه المعتصم بالله واستحسنه، وجعله أبدعَ ما للنابغة وأحسنه وأمر ابن الحداد بمعارضته فقال على البديهة:

إذا ما التمستَ العُلا بابن معن	ظفرتَ وأحمدتَ منه التماسا
ومن يرجُ شمسَ العلى من نحيبٍ	فليس يرى من رجاهُ شماسا [1]

من الملاحظ على شعر ابن الحداد أنه التزم الوزن والقافية وحركة الروي عند النابغة بمعارضه مادحاً المعتصم بالله، ولعل في هذه الرواية ما يدلل على قدرة الأندلسيين في المعارضة والإجادة.

ونظر ابن دراج القسطلي إلى قصيدة المتنبي في مدح محمد بن العميد التي يقول فيها:

بادٍ هواكَ صبرتَ أم لم تصبرا	وبكاكَ إنْ لم يجرِ دمعكَ أو جرى
كم غرَّ صبرُكَ وابتسامُكَ صاحبا	لمّا رآكَ وفي الحشى مالا يُرى

وفيها يقول:

(١) قلائد العقيان، للفتح بن خاقان: ق ١: ٥٥، نسخة مصورة من طبعة باريس، تقديم محمد العنابي، مكتبة العتيقة، تونس ١٩٦٦؛ وينظر: ديوان النابغة الجعدي: ٨٠، تح: د. عبد العزيز رباح، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق، ط ١، ١٩٦٤ م.

أنـــت الوحيدُ إذا ارتكبتَ طريقةً ... ومـــن الـــرديفِ وقد ركبت غَضَنْفَرا
قطـــفَ الرجالُ القولَ وقت نباته ... وقطفـــتَ أنـــت القـــولَ لمّا نورا
مـــن مُـــبلـــغُ الأعرابِ أني بعدها ... شـــاهدتُ رَســـطاليـــسَ والاسكندرا

وختمها بقوله:

أنـــا مِن جميع الناس أطيبُ منزلاً ... واســـرُ راحلـــةً وأربـــحُ مَتْجـــرا
زُحـــلٌ عَلَى أنّ الكواكـــبَ قَوْمُهُ ... لـــو كـــان مـــنكَ لكان أكرمَ مَعْشَرا [1]

وعارضها ابن دراج في مدح منذر بن يحيى سنة ثمان وأربعمائة عندما كان حاجاً:

بـــشـــراك من طول الترحـــلِ والسُرى ... صبح بـــروُح السُفْـــرِ لاحَ فأسفرا
مِنْ حاجبِ الشمسِ الذي حجَب الدجى ... فجـــراً بأنهـــار النـــدى مُتفجّرا
نـــادى بحيًّ على النَّـــدى ثـــمّ اعتلى ... سُـــبـــلَ العُفـــاة مهلّـــلا ومكبّرا
لبـــيـــك اسمعـــنا نِـــداكَ ودونَـــنا ... نـــوءُ الكواكـــبِ مُخويا او ممطرا

وختمها بقوله:

وانـــصر نُـــصِرت من السماء فإنما ... ناســـبـــت أنـــصارَ الـــنبي لتُنْـــصرا
واســـلمْ ولا وجدوا لجوّك مَنفسا ... في النائـــبات ولا لبحـــرِكَ مَعـــبرا [2]

فهـــذه معارضة معنى ومبنى فهي إذاً معارضة تامة قالها في مدح ابن العميد مُسبغاً عليه صفات الكرم والشجاعة والمروءة وأصبحت هذه القصيدة هدفاً لمعارضة الشعراء لما تضمنته قصيدة المتنبي من شرف المعنى وصفاء اللفظ [3]، لذلك قال ابن بسام في معرض حديـــثه عـــن قـــصيدة ابن دراج في مدح منذر بن يحيى التُجيبي: ((أراهُ احتذى في هذه الأبيات الأخيرة حذو أبي الطيب في ابن العميد)) [4].

إلاّ أن قصيدة ابن دراج قد فاقت المتنبي في عدد الأبيات، فقد بلغت خمسة وستين بيـــتاً، في حين اقتصرت قصيدة المتنبي على ثلاثة وأربعين بيتاً، ونجح ابن دراج في عقد المقارنات بين ممدوحه (منذر بن يحيى) وسابقيه من أشراف العرب وزعمائهم، فهو يعود

(١) شرح ديوان المتنبي، مج ١: ٢ / ٢٦٤ - ٢٨٠، وبلغت القصيدة (٤٧) بيتاً.
(٢) ديوان ابن دراج، القصيدة (٣٩) وبلغت (٦٥) بيتاً.
(٣) تاريخ المعارضات: ١٣٤.
(٤) الذخيرة: ق ١ م ١: ٧٥.

إلى عمــق التاريخ ويستحضر شخصيات لها أهميتُها، وهذا ما لم نجده في قصيدة المتنبي ذاتها، أي أنه استطاع أن يتجاور التقليد إلى الإبداع.

ومن قصائد المديح عند المتنبي التي عارضها الشعراء الأندلسيون قصيدته في سيف الدولة لمّا ظفر ببني كلاب قال فيها:

بغيرك راعيــاً عبثَ الــذئابُ ... وغيرِك صارماً ثلم الضِّرابُ
وتملــك أنفسَ الــثقلين طُــرّاً ... فكيف تحــوز أنفسَها كلابُ

ومنها يقول:

يهــزُ الجيــشُ حولــك جانبيه ... كما نفـضت جناحيها العقابُ
وإنْ يــكُ سيفُ دولــةِ غيرِ قيس ... فمنه جلــودُ قيــس والثيابُ
وتحـــت ربابــه نبتــوا وأثّــوا ... وفي أيامــه كثُــروا وطابــوا

وختمها بقوله:

وكلكـــم أتـــى مأتـى أبيــه ... فكـــلُ فعـــالِ كلّكــم عجابُ
كــذا فلْيســر مَــنْ طلبَ الأعالي ... ومــثل سُــواك فلْيكنِ الطلاب [1]

فقــد عارضها ابن عبدون في قصيدة مدح بها أبا الحسين الرشيد بن المعتمد يقول فيها:

عــزيــمٌ لا يُــسدُ عليــه بابُ ... وقلـــبٌ لا يُفَـــلَ لــــه ذُبــابُ
مــضى في نائبات الدهــر صَلْــداً ... فلــم يُــثْلَمْ وقـــد طالَ الضــرابُ
وقــد زرّوا الضلوعَ علــى قلوبٍ ... لــو انْتُــضِيــتْ لقُــطّ بهــا الرقابُ
وســرت ومــن كواكبــه حُليٌّ ... علــي ومـــن غَياهبــهِ قــرابُ
ولــو سوى الرشيد جعلت هَدْيي ... لــضَــلّ الــركــبُ فيهــا والرِكابُ

وختمها بقوله:

وقــد سَــرَقتْ إليك من الدجى بي ... أعاريـــب تحـــبُ بهــا عِرابُ
هَفَــتْ بي والدجــى يهفو حشاه ... كمــا كَــسَرَت على خورٍ عُقاب [2]

---

(١) شرح ديوان المتنبي، مج ١: ١ / ٢٠٤ - ٢١٤، وبلغت القصيدة (٤٢) بيتاً.

(٢) الذخيرة: ق ٢ م ١: ٧٠٨ - ٧٠٩، وبلغت (١٥) بيتاً.

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد أن قصيدة المتنبي في مدحه لسيف الدولة، جَزْلَةَ الألفــاظ متينة التراكيب، رائعة الصور، كثرت فيها المحسِّنات اللفظية [١]. لذلك أصبحت موضع عناية الشعراء الأندلسيين فعارضها ابن عبدون الذي أجاد في هذه القصيدة لذلك أثنى ابن بسام على قصيدته بعد أن أورد قسماً منها في الذخيرة فقال: ((وهذا مما أعرب فيه، ولم أسمع له بشبيه ولعله أمير شعره ونتيجة فكره)) [٢]، وقد اثنى ابن بسام على ابن عبدون في قوله:

وسِرْتَ ومن كواكبه حليٌّ　　　علي ومـــن غياهبه قِرابُ

فقـــال: ((سلك فيه سبيلاً من البديع لا تُسلك، واستولى منه على غاية من الكلام المطـــبوع قلَّمـــا تُدرك)) [٣]. ويقابل ابن بسام بين بيت من قصيدة المتنبي مع آخر من قصيدة ابن عبدون، فهو يعرض قول المتنبي:

يهز الجيش حولَك جانبيه　　　كما نَفَضَت جناحيها العُقابُ

وقول ابن عبدون:

هفت بي والدجى يهفو حشاه　　　كما كَسَرَتْ على حزر عقابُ

فـــيأخذ ابن بسام على ابن عبدون قوله (كما كسرت على حزر عقاب) ويرى أن ابن عبدون أولى بالحساب على تقصيره كثيراً عن المتنبي، فصلاً عن سحبه للفظ المتنبي [٤] في هذا البيت.

ومن قصائد المتنبي في المدح التي استأثرت باهتمام الشعراء الأندلسيين وعارضوها، قصيدته اليائية في مدح كافور التي يقول فيها:

كفـــى بـــك داءً أنْ ترى الموت شافيا　　　وحـــسبُ المـــنايـــا أنْ يكنَّ أمانيا

تمنيـــتهـــا لمّـــا تمنيـــت أنْ تـــرى　　　صـــديقاً فأَعْـــيَا أو عـــدواً مداجيا

وفيها يقول:

أبـــا المسك ذا الوجهُ الذي كنت تائقا　　　إلـــيه وذا الوقت الذي كنت راجيا

---

(١) تاريخ المعارضات: ١٣٩.

(٢) الذخيرة: ق ٢ م ٢: ٧٠٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

أما كلُّ طيبٍ لا أبا المسك وحدهُ — وكل سحابٍ لا أخصُّ الغواديا

وختمها بقوله:

مدى بلّغ الأستاذَ أقصاهُ ربُّه — ونفسٌ له لم ترض إلاّ التناهيا

دعَتْه فلبّاها إلى المجد والعلا — وقد خالف الناسُ النفوسَ الدواعيا

فأصبحَ فوقَ العالمين يَرونَهُ — وإن كان يُدنيه التكرُّم نائيا [1]

وعارضها أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهْري (ت ٥٢٠ هـ) في مدح عمرو بن مذحج وهو وزير أندلسي في قصيدة أوردَ منها ابن بسام قوله:

مَحَضَوا يظلمون الليل لا يلبسونه — وإن كان مسكيُّ الجلابيب صافيا

يَؤمّون بيضًا في الأكنّة لم تَزَلْ — قلوبُهم حبًا عليها أداحيا

وفيها يقول:

وإني لأستحي من المجد أنْ أرى — على لمأمولٍ سواك أياديا

وإني قد أسلَفْتني قبل وقته — من البرِّ ما حازت خطاهُ الأمانيا

وختمها بقوله:

وعزَّ على العلياء أنْ يُلقيَ العصا — مقيماً بحيث البدرُ ألقى المراسيا

ومن قام رأيُ ابن المظفر بينه — وبين الليالي نامَ عنهنّ لاهيا [2]

من الموازنة بين القصيدتين نجد أن المعارضة تامة، وبلغ المدحُ حد العلوّ والمبالغة عند المتنبي وذلك نتيجة طبيعية للحيبة الكبيرة التي مُني بها عند سيف الدولة، وإهانتهُ إياه، ولا سيّما أنه قالها بعد خلافه مع سيف الدولة، وطغت معاني التطلع للمستقبل وسمة الحكمة على قصيدته، بينما نجد ابن عبدون في قصيدته لا يأخذه ما أخذ المتنبي من الغلو في المدح لاختلاف ظروف الشاعرين، كما أنه لم يعتمد على الحكمة التي اعتمد عليها المتنبي في قصيدته، لذلك لم يتمكن ابن عبدون في هذه القصيدة من بلوغ شأو المتنبي فقصُر دونه كما يرى الدكتور محمد محمود قاسم نوفل [3].

كما نظر ابن خفاجة إلى قصيدة المتنبي في مدح كافور، المذكورة آنفاً وعارضها

---

(١) شرح ديوان المتنبي، مج ٢: ٤ / ٤١٨ - ٤٣٢، بلغت القصيدة (٤٧) بيتاً.

(٢) الذخيرة، ق ٢ م ٢: ٦٨٧ - ٦٩٠، وبلغت القصيدة (٣٩) بيتاً.

(٣) تاريخ المعارضات: ١٣٦.

مادحاً أبـا العـلاء بـن زُهر الأيادي وكتب بها إليه في منتصف محرم سنة أربع عشرة وخمسمائة قال فيها:

كفــاني شــكويَّ أنْ أرى المجد شاكيا — وحســـبُ الرزايـــا أن تراني باكيا
أُداري فُـــؤاداً يصدعُ الصدرَ زفرةً — ورجـــعَ رنـــين يجلُب الدمع ساجيا
وكـيـــف أداري مـــن أُوارٍ وجدتني — لـــه صادراً عن منهل الماء صاديا
وهـــا أنـــا تلقانـــي الليالي بملئها — خطـــوباً وألقـــى بالعويـــل اللياليـــا

ومنها يقول في المدح:

كفـــى قَـــومـه علياءَ أنْ كان غايةً — لهـــم وكفـــاه أنْ يكونـــوا مباديا
تـــبوّأ مـــن رســـم الوزارة رتبـــةً — تمنّـــى مـــراقيهـــا النجـــومُ مراقيا
وأحـــرز في أحـــرى الليالي فضائلا — تُعَـــدُّ على حُكـــم المعـــالي أواليا
مكـــارمُ يُستضحى بهـــا من مُلمّةٍ — تـــنوب ويُستـــسقى الغمامُ غواديا

وختمها بقولـــه:

وإنك لَلعـــذْبُ الفراتُ على الصَّدَى — وإنْ يـــنْـــتَ والبَـــرُّ الكريمُ أياديا
شـــقيقُ الندى وابنُ النُّهى وأبو العلى — وحَسبُك بيتاً في المكـــارم عاليا [1]

مـــن الموازنة بين القصيدتين نجد أن المعارضة تامة الأركان وزناً وقافيةً، وحركة رويّ وموضـــوعاً، إلا أن طـــريقة التناول تختلف، فالمتنبي يبدأ بالمدح ويُكثر من الحكم وصـــولاً إلى غرضه الأساس وهو المديح، في حين نجد أن ابن خفاجة يبدأ قصيدته برثاء جماعـــة من الأخوان ويندب ريعان الشباب ومعاهدَ أولئك الأتراب الأحباب وصولاً إلى غرضـــه الأســـاس وهو مدحُ أبي العلاء ابن زُهر، وقد استطاع ابن خفاجة أن يشارف المتنبي في هذه القصيدة.

ولم يكن المتنبي وحده إماماً لابن عبدون في المعارضة الشعرية في قصائد المديح، بل جعل ابنَ الرومي نصب عينيه أيضاً، ولا سيّما في قصائد المديح، فنظر ابن عبدون إلى قصيدته في مدح (آل وهب)، وعارضها.

وقال فيها ابن الرومي:

---

(١) ديوان ابن خفاجة، القصيدة (١٥٠)، وبلغت (٦٢) بيتاً.

يا آلَ وهْبٍ: أعينوني على رجلٍ ... أعلى وأثقلَ في الميزان من جبلِ
حُرِمْتُ منه وقد عمت فواضلُه ... وتلكم المُثْلَةُ الكبرى من المُثُلِ
الحافظُه لا تراعيني، ونائلُه ... لا في التفاريق يأتيني ولا الجُمَلِ
مضت سنونَ أراعي نجمَ دولتِكم ... فيها، وأعْتَدُّها قسْمي من الدولِ
وإن رمى الدهرُ من يَرمي صفاتِكمُ ... ناديته: لا رماك اللهُ بالشللِ
فقد تقدمت في أمري على ثقةٍ ... منّي، يُشيّعُها أمنٌ من الخَجَلِ
فاخبِرْ وجرّبْ تجدني حيثُ تَخْبُرُني ... أمضى من السيفِ في الأعناق والقُلَلِ
وارمِ المهماتِ بي في كلِّ حادثةٍ ... ترتاعُ منها أسودُ الغابِ والأَسلِ
تلوحُ في دولةِ الأيامِ دولتُكُم ... كأنها ملةُ الإسلام في المِلَلِ [1]

وعارضها ابن عبدون في مدح المتوكل بن الأفطس بقوله:

مالي إذا نفسُ مَعْنى قُدِّست وسَرَتْ ... في جسم لفظٍ مُسَوّى الخلقِ من مُثُلِ
أنت الذي باهت الأرضُ السماءَ بهِ ... ولا لها بك إنْ باهتْك من قِبَلِ
أحوْمُ حولَ حياضٍ من رضاك وما ... لي بالورود إذا حُلّئْتُ من عملِ
راعَوا قديمَ ولاءٍ يالَ مَسْلَمَةَ ... وما اطّردْتُ بكم في المدح من مُثُلِ
تَفْري أديمي الليالي غيرَ مبقيةٍ ... عليَّ ما للّيالي وَيْلَهُنَّ ولي
وإنني في مواليكم كمُلْكِكُم ... بين المالك والإسلام في المِلَلِ [2]

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً تاماً بينهما في الوزن والقافية وحركة حرف الرويّ والموضوع، وفي المعاني، فجاءت المعارضة تامة الأركان.

واستأثرت شخصية المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس باهتمام الشعراء، فمدحه أبو الخطاب عمر بن أحمد عبد الله بن عَطيّون التُّجيبيّ الطُّلَيطلي معارضاً أبا نواس في قصيدته التي مدح بها العباس بن عبد الله بن جعفر المنصور التي يقول فيها:

أيّها المنتاب من عفرِهْ ... لست من ليلي، ولا سَمَرِهْ

---

(١) ديوان ابن الرومي، القصيدة (٥٠٤)، ج ٣، اختيار وتصنيف: كامل كيلاني، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٢٤، وبلغت القصيدة (٧٩) بيتاً.

(٢) الذخيرة، ق ٢ م ٢: ٦٩٥، وبلغت (٦) أبيات.

لا أدود الطيرَ عن شجرٍ ... قد بلوتُ المرَّ من ثَمرِهْ
فاتصل إنْ كنت متصلاً ... بقُوى مَنْ أنت من وطَرِهْ
خفت مأثورَ الحديثِ غدا ... وغدٌ أدنى لمنتَظِرِهِ
خاب من أسرَى إلى مَلِكِ ... غيرِ معلوم مدى سفَرِهِ

وفيها يقول:

تم أدناني إلى مَلكٍ ... يأمنُ الجاني لدى حُجُرِهْ
تأخذُ الأيدي مظالمَها ... ثم تستذري ذُرى عُصُرِهْ
كيف لا يُدنيك من أملٍ ... مَنْ رسولُ اللهِ مِنْ نَفَرِهْ
فاسلُ عن نوءِ تُؤَمِّلُهُ ... حسبُكَ العباسُ مِنْ مَطَرِهْ
مَلِكٌ قلَّ الشبيهُ له ... لَمْ تقعْ عينٌ على خَطَرِهْ

وختمها بقوله:

قد لبِستُ الدهرَ لِبسَ فتىً ... أحكم الآدابَ مِنْ عِبَرِهْ
فاذَّخر خيراً تُثاب بهِ ... كلُّ مَذْخورٍ لمُدَّخِرِهْ [1]

أما قصيدة ابن عطيّون في مدح ابن الأفطس فيقول فيها:

عاكفٌ جَفْني على سهرِهْ ... سيفُ جَفنٍ سُلَّ من حَوَرِهْ
نُفحتْ بالسحرِ هِمَّتُه ... فانثنى والصبرُ من جَزَرِهْ
قدرٌ ما قَدْ أُتيحَ له ... لا يَفِرُّ المؤمن منْ قَدَرِهْ
إنَّ ليلَ الصب أوله ... في تمادي الشوقِ من سَحَرِهْ
روَّعت أسماءُ أنْ طلعت ... رائعاتُ الشيبِ من شَعَرِهْ
لا تُراعي يا أسيم لها ... إنَّ حُسْنَ الروضِ في زَهَرِهْ

وختمها بقوله:

قد بنى مُلكاً مظفَّرُهُ ... باسمه المشتقِ من ظفَرِهْ
ثم سماه له عُمَرا ... كيْ يكونَ الدهرُ من عُمُرِهْ
يا مليكاً كلُّ ساردةٍ ... سقتُها في الشعر مِنْ فقَرِهْ

---

(١) ديوان أبي نواس: ٣٩٩ - ٤٠٩، وبلغت القصيدة (٣٦) بيتاً.

لـــيس لي فـــضلٌ بمدحـــته	ســـلُكُه ادرجـــتُ فـــي دُرَرهْ
إنّي في مـــا أحـــيءُ بـــه	حالـــبٌ تمـــراً إلى هجَـــرهْ [1]

تتفق القصيدتان وزناً وقافيةً ومعنىً.

بــدأ أبو نواس قصيدته بالحكم بدلاً من الوقوف على الأطلال، إلاّ أنه لم يتخلص تمامــاً مـــن البـــناء التقليدي للقصيدة، فقد وصف الرحلة والراحلة وصولاً إلى ممدوحه (العـــباس بن عبد الله بن جعفر المنصور) على الرغم من مناداته بالتحديد، كما احتوت قصيدته على صور بيانية ذات القصد البديعي واحتوت قصيدته على قدر كبير من الحكم الشعرية والأمثال.

أمـــا قـــصيدة ابن عطّيون فاحتوت كذلك على قَدْرٍ من الحكم الشعرية والأمثال، فـــضلاً عـــن الـــصور البيانية، وتجاوز ابن عطيون في قصيدته أيضاً البناءَ التقليدي، فهو يستهلها بالغزل وصولاً إلى ممدوحه، واستطاع ابن عطّيون أن يشارف أبا نواس في هذه القصيدة [2].

ويطر ابن عطّيون إلى قصيدة أخرى وهي لأبي العلاء المعري في الفخر فيعارضها مادحاً ابن الأفطس، وقصيدة أبي العلاء المعريّ يقول فيها:

أرى العـــنقاء، تكـــبرُ أنْ تُـــصادا	فعانـــدْ مـــن تطـــيقُ له عـادا
ومـــا نهـــنهتُ عـــن طلب، ولكن	هـــي الأيـــامُ لا تعطـــي قيـــادا
فـــلا تُلـــم الـــسوابـــقَ والمطايا	إذا غـــرضٌ مـــن الأغراض حادا
لعلـــك أن تَـــشُنُّ بهـــا مَغـــارا	فتُـــنجحَ، أو تُجـــشّمَهـــا طـــرادا

وفيها يقول:

فـــلا، وأبـــيك، ما أخشى انتقاضا	ولا وأبـــيك، مـــا أرجـــو ازديادا
لي الـــشـــرفُ الـــذي يطـــأُ الثُريّا	مـــع الفـــضل الذي بَهَـــرَ العبادا
وكـــــم عيـــن تُؤمّلُ أنْ تراـــي	وتفقـــدُ عـــند رؤيـــتي الـــسوادا

وختمها بقوله:

ولي نفـــس تحُـــلُّ بي الـــروابي	وتـــأبى أن تحُـــــلَّ بيَ الـــوهادا

(١) الذخيرة، ق ٣ م ٢: ٧٧٤ – ٧٧٥، وبلغت القصيدة (٢٣) بيتاً.

(٢) تاريخ المعارضات: ١٢٠.

تَشُدُّ لتقبضَ القمرين كفّاً وتحمِلُ كي تَشُدَّ النجم زادا (١)

أما قصيدة ابن عطيّون التي عارض بها أبا العلاء المعريّ مادحاً ابن الأفطس يقول فيها:

أمِنْ كيوانَ أُطلّبُ أنْ أُقادا لقد أعظمتُ شأوي ذا بعادا

وفي الأرضين أعجزُ عن مداه فكيف أرومُها سبعاً شدادا

ومقصور على الآفاق أمسى يرامح بالبُرى إنْ لم يُعادى

ومنها يقول:

يُراعُ الدهرُ من عزمات شهم يَعفي ما أفاتُ بما أفادا

وتُمضي حكمَهُ الأيامُ قسراً فتتركُ ما تُريد لما أرادا

عليّ إليّةٌ ما دُمتُ حيّاً أخُصُّ بمدحتي إلاّ جوادا

فلم نلقَ الكرامَ سواك إلاّ كما ألعيت من عوز سدادا

وختمها بقوله:

فانفقكَ الذي أعطاك مجداً أبى لك حكمُهُ إلاّ انفرادا

فصيّرَ ذكركَ السمارُ أنساً وأحْقَبتَ مَدْحَكَ الركبانُ زادا (٢)

كما نظر إلى قصيدة أبي العلاء المعرّيّ نفسها شاعرٌ آخر وهو أبو بحر يوسف بن عبد الصمد وعارضها مادحاً الوزير أبا بكر بن زيدون وزير بني عبّاد - وهو ابن الشاعر المعروف بأبي الوليد بن زيدون، فقال ابن عبد الصمد معارضاً:

زمانٌ يمنعُ الخيلَ الطرادا وسيرُ يحسبُ النخلَ القتادا

وأيامٌ تُغلّبُ كلَّ صيد وتَخْلعُ في رضى النعلِ النجادا

وقد حَسُنَ الشجاعُ فليس يدري أيربطُ الحمارَ أم الجوادا

عليكَ الجِدُّ في طلب المعالي وليسَ عليكَ أن تُعطي القيادا

فأسنى المجدِ ما أدركت سعياً وخيرُ السّعي ما كانَ اجتهادا

---

(١) شرح ديوان سقط الزند لأبي العلاء المعري: ٦٠ - ٦٤، شرح وتعليق الدكتور ن. رضا، بلغت القصيدة (٦٠) بيتاً، بيروت ١٩٦٠.

(٢) الذخيرة، ق ٣ م ٢: ٧٧٧ - ٧٧٩، وبلغت القصيدة (٢٢) بيتاً.

ولا يُقْـــبِعْكَ عَـــيشٌ في خُمـــولٍ فعَـــيرُ الـــبازِ مَـــن صـــادَ الجرادا

وقال منها:

لَـــكَ البُشْـــرُ الذي سلّى وسَرّى وأدركَ مُنتهـــى أمـــلـــي ورادا

ومـــا أخشـــى عليـــك نفادَ لَونٍ ومـــن يخشى على الشمسِ النَّفادا

وختمها بقوله:

فَـــلا جلـــبَ الزمانُ اليك همّاً ولا منعـــتك حادثـــةٌ رقـــادا

فـــإن الـــناسَ والأيـــامَ عينٌ وَجَـــدْتُكَ بـــينَ جفنـــيها سوادا [1]

لـــدى الموازنة بين القصيدة المشرقية لأبي العلاء والقصيدتين الأندلسيتين، قصيدة ابن عطيّون وابن عبد الصمد، نجد اتفاق القصيدتين الأندلسيتين مع القصيدة المشرقية في الـــوزن والقافـــية وحركة الرويّ، إلاّ أن الاختلاف هو في الموضوع، فقصيدة أبي العلاء قائمـــة علـــى الفخر وعرض الفخر يُعطي الشاعر حرية اختيار الألفاظ الضخمة والمعاني الـــسامية، لذلك جاءت قصيدة أبي العلاء قمة شعرية لا تُجارى زاخرة بالحكم التي جعل مـــنها المعريّ ديدنه في الشعر، أما قصيدتا ابن عطيّون وابن عبد الصمد فكان غرضهما المـــدح، وقد استهوت موسيقى قصيدة أبي العلاء المعري الشاعرين واستولت عليهما في قـــصيدتهما، فحرصاً على تتبع أبي العلاء تتبعاً دقيقاً لذلك جاءت قصيدتاهما لتنتظما في روائع الشعر الأندلسي، فقد أحسن ابن عطيّون البراعة والصياغة في مدح ابن الأفطس.

أمـــا ابـــن عبد الصمد فتعد قصيدته قمة في المدح والثناء ورَفْع أقدار الممدوحين لذلك فقد أبدع وأجاد فيما أراد.

ولأبي تمـــام قـــصيدة عارضه بها الأندلسيون وقالها في مدح الخليفة المعتصم ذاكراً تنكيله بالأفشين (حيذر بن كاوس).

الحـــقُ أبلـــجُ والـــسيوفُ عـــوارِ فحـــذارِ مـــن أَسَـــدِ العرينِ حذارِ

ملـــكٌ غـــدا جـــارَ الخلافة منكم والله قـــد أوصـــى بحفـــظ الجارِ

يـــا رُبّ قـــبةِ أمّـــةٍ قـــد بزّهـــا جـــبارُهـــا في طاعـــةِ الجـــبّارِ

جالـــتْ بحـــيذرَ جـــولةُ المقدارِ وأحلّـــه الطغـــيانُ دارَ بـــوارِ

ومنها يقول:

---

(١) الذخيرة، ق ٣ م ٢: ٨١٢ - ٨١٣، وبلغت القصيدة (١٩) بيتاً.

وكـذاك أهـلُ النار في الدنيا همُ ... يـومَ القـيامـة جـلُّ أهـل النارِ
يـا مـشهداً صَدَرَتْ بفرحته إلى ... أمـصارها القـصوى بنو الأمصارِ
رمقـوا أعـالي جذْعـه فكأنما ... وجـدوا الهـلالَ عشيةَ الأفطارِ

وختمها بقوله:

فـالأرضُ دارٌ أقفرتْ ما لم يكنْ ... مـن هاشـم ربٌّ لتلك الـدارِ
سـورُ القُـرآن الغرّ فيكم أُنزلت ... ولكـم تُـصاغُ محاسـنُ الأشعـارِ[1]

وقد نظر إلى هذه القصيدة وعارضها أبو إسحق إبراهيم بن خفاجة في مدح الأمير أبي يحيى بن إبراهيم، ومنها قولـه:

سَـمَحَ الخـيـالُ على النوى بمزار ... والـصبـح يَمْـسح عن جبين نَهارِ
فـرفعت من ناري لضيـف طارقٍ ... يعـشو إليـها مـن خيـالٍ طـارِ
رَكِـبَ الدجى أحسنْ بها من مركبٍ ... وطَـوَى السُّرى أحسنْ به من سارِ
وأنـاخ حـيث دمـوعُ عيني منْهَلٌ ... يَرْوي وحيثُ حشـاي موقدُ نـارِ

وفيها يقول:

لَـبِسَ التواضع عن جلال وارتقى ... شَـرَفاً بحـيث سمـا سماءَ فخارِ
ألقـتْ إليـه بالأمـورِ إمـارةٌ ... مــلأت رَواءَ أعـيـنِ النُّظـّارِ
فعـنـان تلك الدولة الغـراءِ في ... تدبيـرِ ذاك الفـارسِ المغـوارِ

وختمها بقوله:

واسـلمْ أبـا يحـيى لها من دولةٍ ... كـست الليالـي رونـقَ الأسحارِ
وامهَـدْ لها فالسيف في يد فارسٍ ... يـسطو بـه والسـهـمُ في يد بارِ
واشفع على شَحْطِ الديـارِ لآملٍ ... أهـدى الثناءَ على تنـائي الدارِ[2]

مـن الموازنة بين القصيدتين نجد أن المعارضة تامة الأركان، وقصيدة أبي تمام تنم عـن شاعرية فذّة، فقد أكثر من إظهار أصناف شتى من البديع والمحسنات اللفظية، فضلاً

(١) ديـوان أبي تمـام شرح الصولي، دراسة وتحقيق: د. خلف رشيد نعمان، ج ١، القصيدة (٧٥)، وبلغت (٦١) بيتاً، ط ١، ١٩٧٧.
(٢) ديوان ابن خفاجة، القصيدة (٢)، وبلغت (٩٩) بيتاً.

عن تمكنه من خلع الصفات والشمائل الحميدة على ممدوحه (المعتصم).

ويُعجَب ابن خفاجة في هذه القصيدة بأبي تمام، لذلك نراه يترسم خطاه، ويخلع الصفات الحميدة على ممدوحه، فضلاً عن اعتماده على البديع والمحسنات اللفظية، وتكاد لا تخلو أبيات قصيدته من الزخرفة اللفظية، وجاء نَفَسُ ابن خفاجة أطولَ في هذه القصيدة، حيث قاربت المائة بيت، فهي مطولة من مطولاته دلّل بها على مقدرة شعرية فائقة وعلى حسن تصوير وتخيل.

ولأبي تمام أيضاً قصيدة مدح المعتصم بالله عارضه بها الأصمُّ المرواني، يقول أبو تمام:

السيفُ أصدقُ إنباء من الكتب ... في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب
بيضُ الصفائحِ لا سودُ الصحائف، في ... متونهنّ جلاءُ الشكّ والريبِ
والعلمُ في شُهُبِ الأرماح لامعةً ... بين الخميسين لا في السبعة الشُهبِ
أينَ الروايةُ بلْ أين النجوم ؟ وما ... صاغوه من زُخْرُف فيها ومن كذبِ

ومنها يقول:

فَتحُ الفتوحِ المُعَلَى أنْ يُحيطَ به ... نظمٌ من الشعرِ أو نثرٌ من الخطبِ
يا يومَ وقعةَ عمورية انصرفت ... عنك المنى حُفَّلاً معسولةَ الحَلَبِ
لم يعلمِ الكفرُ كم من أعصُرٍ كَمَنَتْ ... له العواقِبُ بين السُمْرِ والقُضُبِ
تدبيرُ معتصمٍ بالله منتقمٍ ... لله مقتربٍ في الله مُرتَقِبِ
خليفة الله جازى الله سعيك عن ... جرثومة الدين والإسلام والحسبِ

وختمها بقوله:

فبين أيامِك اللاتي نُصِرْتَ بها ... وبين أيامِ بدرٍ أقربُ النسبِ
أبقت بني الأصفرِ الممراضِ كاسمهم ... صُفْرَ الوجوهِ وجلَّتْ أوجهَ العربِ [1]

وقال الأصمّ المروانيّ ابن الطليق معارضاً ومنشداً قصيدته في عبد المؤمن:

ما للعدا جُنّةٌ أوقى من الهرب ... ...

فقال عبد المؤمن رافعاً صوته: إلى أين ... إلى أين ؟ فقال الشاعر:

(١) شرح الصولي لديوان أبي تمام، دراسة وتحقيق: الدكتور خلف رشيد نعمان، ج ١، القصيدة (٣)، وبلغت (٧١) بيتاً.

... ...   أيـن المفـرُ وخيـلُ الله في الطلـبِ
وأيـن يذهب من في رأس شاهقةٍ   وقـد رمـته سمـاءُ الله بالـشُهُبِ
حدّثْ عن الروم في أقطارِ أندلسٍ   والبحـرُ قـد مـلأ العِبْـرين بالعربِ
وطـودُ طـارقَ قد حل الإمامُ به   كالطُـورِ كـان لموسـى أيمنَ الرُتبِ
لو يعرفُ الطَوْدُ ما غشّاهُ من كرمٍ   لَـم يـسْط الطورُ فيه الكفَّ للسحبِ
ولـو تـيقّنَ بأسـاً حـل ذِروتَه   لغـارَ كـالعينِ مـن خوفٍ ومِنْ رَهبِ
ومـن يعـاود هـذا الفتحَ ثانيةً   أضـعافَ مـا حدّثوا في سالك الحِقَبِ
ويَلْـبسُ الـدين عضّاً ثوب عزّتِه   كـأن أيـامَ (بـدر) عـنه لم تَغبِ [(١)]

لـدى الموازنة بـين القـصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الرويّ، وموضـوعها المـديح، فأبو تمام يمدح المعتصم بالله ويبين دوره في فتح عمورية وكسر شـوكة الروم وهو بذلك يُكذِبُ المنجمين الذين أرادوا للمعتصم الكف عن الحملة لأنه سيخسرها، في حين أقدم المعتصم وفتح عمورية فتحاً مبيناً.

وأبـو تمـام في قصيدته هذه يُفصح عن منهجه الشعري - كما هو ديدنه - في قـصائده الأخرى، فهو يكثر من البديع ويلح على المعاني الدقيقة والأفكار العميقة [(٢)]. ويـؤكد على المعاني الإسلامية في هذه القصيدة، ويرى بأن المعتصم قد أدى واجباً دينياً عند فتحه لعمورية وكأنه امتداد لمعارك العرب المسلمين مع الشرك والتي بدأت يوم بدر، لذلك فهو يقول:

خلـيفةَ الله جـازَى اللهُ سعيَك عن   جُـرثومَةِ الـدينِ والإسلام والحسبِ
فـبين أيامِـك الـلاتي نُصِرْتَ بها   وبـين أيـامِ بـدرٍ أقـربُ النسَبِ

أمـا الأصـم المرواني ابن الطليق، فهو يترسم خطى أبي تمام في هذه القصيدة في مدحه للإمام عبد المؤمن، ويرى في شخصية ممدوحه خصالاً تقارب خصال المعتصم من حـيث إقدامُه على كسر شوكة أعداء العرب المسلمين، فهو يبدأ قصيدته بتهديد الأعداء مـن جيوش عبد المؤمن الفاتح، ويرى بأن أعداءه لا يعصمهم من غصه عاصم، ويهج

---

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ٢٨٥، عبد الواحد المراكشي، تح: محمد سعيد العريان، القاهرة ١٩٦٣.

(٢) شرح الصولي لديوان أبي تمام: ٣٠، د. خلف رشيد نعمان.

المــــرواني منهج أبي تمام في الإكثار من البديع، كما يؤكد أيضاً على المعاني الإسلامية في قصيدته فيشبه جبل طارق بن زياد بجبل الطور في سيناء الذي كان يتعبد به موسى عليه السلام لذلك يقول:

وطودُ طارقَ قد حلّ الإمامُ به	كالطُّورِ كان لموسى أيمَنَ الرُّتَبِ

فالـــشاعر أفاد من القرآن الكريم، وهو كذلك يفيد من تاريخ المسلمين مستلهماً قول أبي تمام:

فبينَ أيامك اللاتي نُصِرْتَ بها	وبين أيام بــدرٍ أقربُ النَسب

فيقول:

ويَلبس الدينُ غضّاً ثوبَ عزّته	كأنّ أيامَ ((بدرٍ)) عنه لم تَغِب

والمرواني يرى أيضاً أن الفتح الذي أقدم عليه الإمام عبد المؤمن واجبٌ ديني دفاعاً عن العرب والمسلمين.

ولاحــظ بعض الدارسين أن روح المتنبي تسري في مدائح ابن حمديس، ومن مدائحه هذه قصيدته التي مدح بها تميماً أمير المهدية، والتي يقول فيها:

تَــدَرّعْت صــبري جُــنّةً للنوائب	فــإن لم تُــسالمْ يا زمانُ فحارب
عَجمْــت حــصاة لا تلــين لعاجمٍ	ورُضــت شموســاً لا تذلّ لراكبِ
كأنــك لم تقــنعْ لنفــسي بغــربة	إذا لم أقلّــب في بــلاد المغــاربِ
إذا شــئتُ أنْ أرمي الهلال بلحظة	لمحــت (تميــماً) في ســنا الثاقب
ولــو أن أرضــي حــرةٌ لأتيــتها	بعــزم يعُــدّ الــسيرَ ضربةَ لازب

وختمها بقوله:

أحــنُّ حــنين النيب للموطن الذي	مغــاني غوانــيه إلــيه جــواذبي
ومــن سارَ عن أرضٍ ثوى قلبُه بها	تمــنى لــه بالجــسم أوبــةَ آيب [١]

ويرى أحد الباحثين: ((أن ابن حمديس في هذه القصيدة قد تأثر عفوياً بروح المتنبي الشامخة في ثــورته على الدنيا وشكواه منها وفخره بعزمه وصلابة عوده وأن التشابه في الروح يمكن أن يُردّ إلى أمرين، الأول: التأثر العفويّ الطبيعي بالأصول الموروثة وبالأعلام المبدعين، والثاني: التشابه في التجارب والظروف والأحوال التي أملت أمثال هذه القصيدة

(١) ديوان ابن حمديس، تح: د. إحسان عباس، القصيدة (٢٧)، بيروت ١٩٦٠.

على الشاعرين [١].

ومن القصائد المشرقية التي لقيت هوىً عند الأندلسيين، قصيدة المتنبي الميمية في مـدح سـيف الدولـة الحمـداني فعارضها شاعران من شعراء الأندلس هما: ابن دراج القسطلي، وابن خفاجة الأندلسيُّ، يقول المتنبي:

علـى قَـدْرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ وتـأتي علـى قـدرِ الكرامِ المكارمُ
وتعظُـمُ في عـينِ الصغيرِ صغارُها وتـصغُرُ في عـينِ العظـيمِ العظائمُ
يُكلِّـفُ سـيفُ الدولة الجيشَ همَّه وقـد عجزَتْ عنه الجيوش الخضارمُ

ومنها يقول:

إذا كـان مـا تنويه فعلاً مضارعاً مـضى قـبل أنْ تُلقى عليه الجوازمُ
تمـر بـك الأبطـالُ كلمى هزيمةً ووجهُـكَ وضـاحٌ وثغـرُكَ باسمُ
تجـاوزت مقدارَ الشجاعةِ والنهى إلى قـولِ قـوم أنت بالغيبِ عالمُ
ضممت جناحيهم على القلب ضمةً تمـوت الخـوافي تحتها والقوادمُ

وختمها بقوله:

هنيـئاً لضربِ الهام والمجد والعلى وراجـيك والإسـلام أنـك سـالمُ
ولمْ لايقي الرحمن حدّيك ما وقى وتفلـيقُه هـامَ العـدا بك دائمُ [٢]

وعارض ابن دراج هذه القصيدة بقصيدة ميمية أيضاً مدح بها ممدوحه الأثير حاكم سَرَقُسْطَة منذر بن يحيى التُجيبي قال فيها:

لعـل سـنا الـبرق الذي أنا شائمُ يَهـيم مـن الدنـيا بمنْ أنا هائمُ
أمـا في حـشاه مـن جواي مخايلُ أمـا في ذُراه مـن جفـوني مباسمُ

وفيها يقول:

فملكـت تـاجَ الملكِ تاجَ مليكةٍ لتاجـيهما تعـنو الملوكُ الخضارمُ
وتوّجـتَها فوق الأكاليل والذّرى فوافـق تَغْـشاها النسورُ القشاعمْ
وأفعـالُ حفصٍ كنت تُشكلها له بـرفعك قـد أوقَتْ عليها الجوازمُ

(١) ابـن حمديس حياته وشعره: ٢١٥، نايف خالد محمد الحسن، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة بغداد ١٩٧٤

(٢) شرح ديوان المتنبي: ٤ / ٩٤ - ١٠٨، وبلغت القصيدة (٤٦) بيتاً.

ومــن أعــربت فيه أعاظمُ يعربٍ ... فمستــصغرٌ في أصــغريه العظــائمُ

وختمها بقوله:

ولا نظــم الأعــداء ما أنت ناثرٌ ... ولا نثــرَ الأعــداءُ مــا أنــت ناظِمُ

ولا عــدمَ الإشــراكُ أنّك ظافرٌ ... ولا عــدِمَ الإســلام أنــك ســالِمُ

ولا زالَ للــسيف الحنيفــيّ قائمٌ ... وأنـــت بــــه في طاعـــةِ الله قـــائمُ

جهــادٌ على الكفّارِ بالنصر مُقْدِمٌ ... ووجْــهٌ على الإسلام فالفتحِ قادِمُ [1]

وعارض ابن خفاجة قصيدة المتنبي المذكورة آنفاً بقصيدة مدح بها أمير المسلمين إبراهيم بن يوسف بن تاشفين (ت بعد ٥١٥ هـ) عندما حاصر حصن (المُورِيلّة) بظهور العــدُوّ به، غير أنها لم تكن معارضة تامة كمعارضة ابن دراج وإنما كانت معارضة معنى قال فيها:

أرأيُــكَ أمــضى أمْ حسامُكَ أقطَعُ ... ومــرآكَ أبهــى أمْ حديــثك أسمَعُ

وكــلٌّ له في جانبِ المُلْك مسلكٌ ... كــريمٌ ومــن نفسِ الإمارةِ موقِعُ

لك الخيرُ ما أهداك والسهمُ صائِبٌ ... يَطــيشُ ومــا أعداك والخيل تَمْزَعُ

ومنها يقول:

أحطْــتَ به حصراً إحاطةَ مُضغط ... تُزلــزل مــن أركانــه وتُضَعْضِعُ

وأمْطــرْتَه غيــثاً من الغيثِ واكفاً ... يظاهِــرُه وبــلٌ مــن النّبْل يهمَعُ

تَــضُمُّ جنــاحَ الجيش حولَيه ضمةً ... تكــادُ بهــا أضلاعُه تَــتقعْقعُ

وختمها بقوله:

فأسْــتودِعُ اللهَ الأمــيرَ ومهجةً ... أُشــيّعُها فــيمن هــناك أشــيّعُ

وهُنِّئْــتُها من دارِ مُلْكٍ وهُنِّئْتَ ... بــه مُلكــاً واللهُ يُعطــي ويَمْــنع [2]

ومــن الموازنة بين القصيدة المشرقية والقصيدتين الأندلسيتين لوجدنا أن الشاعرين يــشاركان المتنبي في موضوع المدح، فالمتنبي يمدح سيف الدولة، أمّا ابن دراج فيمدح المنذر بن يحيى التُّجيبي، وابن خفاجة يمدح أمير المسلمين إبراهيم بن يوسف بن تاشفين.

---

(١) ديوان ابن دراج القسطلي، القصيدة (٤٤)، وبلغت (١١١) بيتاً.

(٢) ديوان ابن خفاجة، القصيدة (٤٩)، وبلغت (٤٥) بيتاً.

والمتنبي في قصيدته يذكر لنا ثغر الحَدَث، ويخلع على سيف الدولة من الصفات والخصال الحميدة من شجاعة وإقدام ما لم يظفر بها ممدوح من قبله، وبعد ذلك يُعرِّج على وصف جيش سيف الدولة، ثم يختتم قصيدته بالدعاء لسيف الدولة.

أما ابن دراج فاستطاع أن يستوحي قصيدة المتنبي، حيث جاءت قصيدته نَفَس أطوَلَ جاورت المائة بيت، وهي بذلك أكثر من ضعف قصيدة المتنبي وبدأها بالغزل والتشوقُّ إلى المحبوب، ثم انتقل إلى غرضه الأساس وهو المدح، فخلع على ممدوحه صفات الكرم والشجاعة واصفاً مآثره في حربه مع الإفرنج، وقد اعتمد ابن دراج على الاقتباس الإشاري في قصيدته في أكثر من موضع، ولعلّ ما يُعَضّد قولنا إن ابن دراج قد تقصّد في معارضة المتنبي هو استلهام ابن دراج لمعاني المتنبي لفظاً ومعنىً.

فإذا قال المتنبي:

وتعظُم في عينِ الصغيرِ صغارُها   وتصغُرُ في عين العظيم العظائمُ

وقال ابن دراج:

ومن أعربتْ فيه أعاظمُ يعربٍ   فمستصغرٌ في أصغريه العظائمُ

وإذا قال المتنبي:

إذا ما تنويه فعلاً مضارعاً   مضى قبلَ أن تُلقى عليه الجوازمُ

قال ابن دراج:

وأفعال خَفضٍ كنت تُشكلها له   برفعك قد أوفت عليها الجوازمُ

أما قصيدة ابن خفاجة فهي في طول نَفَسها، وروحها، ومنهجها وصياغتها تذكر سيفيات المتنبي كما يشير إلى ذلك أستاذنا الدكتور ممجد مصطفى هجت [1].

وقصيدة ابن خفاجة هي معارضة ناقصة، وقد وُفق ابن خفاجة إلى حد كبير في استلهام معاني قصيدة المتنبي، ولعل شخصية الممدوح – إبراهيم بن يوسف بن تاشفين – القوية، هي التي هيأت له أسباب النجاح.

ومن المعاني التي استلهمها ابن دراج، فمن أبيات المتنبي معنىً ولفظاً قول المتنبي:

ضممت جناحيهم على القلبِ ضمةً   تموتُ الخوافي تحتها والقوادمُ

قال ابن خفاجة:

(١) الاتجاه الإسلامي: ٢٧٩.

تصمُّ حماح الجيشِ حوليهِ صمةً تكــاد بها أضلاعُــه تَتقَعْقــعُ

وعندما يصف المتنبي بلاء سيف الدولة وجيشه في موقعة الحدث نجد وصفاً يناظر هذا الوصف عند ابن خفاجة في موقعة حُصْن الموريلّة.

وابــن خفاجة يُفردُ لصفة جيش ممدوحه الأمير إبراهيم أبياتاً ولجيش العدو أبياتاً أخــرى، في حــين تقتصر أبيات المتنبي على وصف جيش سيف الدولة، ولا تتعدى إلى وصف جيش الروم، وامتازت أبيات ابن خفاجة بأنها حافلة بالمعاني والصور الإسلامية، والممدوح عنده أبلج كالصبح، ويصدع بالحق ويريبه الخلق الكريم والتقوى [(١)].

وفي المعارضات الناقصة يطالعنا ابن شُهَيد [(٢)] في المديح معارضاً قصيدة قيس بن الخطيم التي يقول فيها:

تذكّــر ليلــى حسنَها وصفاءها وبانــت فأمــسى مــا ينالُ لقاءها

ومــثلُكَ قــد أصيتُ ليس بكَنّةِ ولا جــارةٍ أفــضت إليّ حــياءها

وفيها يقول:

طعــنتَ ابن عبد القيس طعنةَ ثائرٍ لهــا نفــذٌ لــولا الشعاعُ أضاءها

ملكــت بهــا كفّــي فانهرْتُ فتقها يــرى قائمــاً من خلفها ما وراءها

ختمها بقوله:

ونُلقحهــا مبــسورةً ضــرزبية بأســيافنا حــتى نُــذلّ أباءهــا

وإنــا مُنعَــنا في بعــاث نساءنا ومــا مــنعت مِلْمخزيات نساءها [(٣)]

وقال ابن شهيد قصيدة في مدح أبي مروان معارضاً:

مــنارُلهم تبكــي إلــيك عفاءهــا ســقتْها الثــريا بالعــريِّ نحاءهــا

ألــتّتْ علــيها المُعصِرات بقطْرها وجــرت بهــا هُــوج الرياحِ ملاءها

ومنها يقول:

---

(١) الاتجاه الإسلامي: ٢٧٩.

(٢) تنظــر: الذخيرة، ق ١ م ١ / ٢٥٢ فيها تفصيل الحوار الذي جرى بين صاحب قيس بن الخطيم وعامر بن شهيد وصاحبه.

(٣) ديــوان قــيس بن الخطيم: ٢١ - ٢٤، تح: الدكتور. إبراهيم السامرائي والدكتور أحمد مطلوب، القصيدة (١)، ط ١، بغداد ١٩٦٢، وبلغت (١٨) بيتاً.

حليلـي عـرجا بـارك اللهُ فيكما ... بسـدارتِها الأولى نحيـي فِـناءها
ولا تمـنعاني أن أجـود بأدمـعٍ ... حـواها الجَـوى لما نظرْتَ جِواءها
إلـيك أبـا مـروانَ ألقـيت رابيا ... بحاجـةِ نفـسٍ ما خَربْت خراءها
هـزرتُك في نـصري ضحى فكأنني ... هـززتُ، وقد جنت الجبالَ حِراءها

وحتمها بقوله:

وكـم أمـةٍ أنحـدتَها وكأنهـا ... يـرابيعُ سَـدّتْ خـيفةً قُـصَعاءها
ومـن حطـةٍ في كنّة الصكِ فيصلٌ ... حـسمتَ بهـا أهواءها ومِراءها [(١)]

عند الموازنة بين القصيدتين وجدنا أن الاتفاق لم يحصل إلاّ في الوزن والقافية وحركة الرويّ إلاّ أنهما اختلفتا في الموضوع، فموضوع قصيدة قيس بن الخطيم هو الفخر بنفسه، فهو يبدأ القصيدة بالغزل ثم تستغرق معاني الفخر عنده، لأن قصيدته قالها حال أخذه لثأر جده (عَدِيٍّ) من قاتله.

أما قصيدة ابن شهيد فموضوعها المديح فهو يخاطب ممدوحه (أبا مروان) مستهلاً قصيدته بالمدح واصفاً تشوّقَ المنازل إلى أبي مروان ثم يصف حالة شوقه وحنينه إلى هذه المنازل التي عاش فيها طفولته وصباه، ويبكي الشاعر على هذه الديار لأن الحمام قد أثار فيه لواعج الشوق عند سماعه هديلها [(٢)]، ويفخر الشاعر بنفسه أيضاً فهو متماسك الجَنان قوي الشكيمة، إلاّ أن نائبات الدهر قد آذته وجعلته يعيش حياة العوز والحرمان، لذلك فهو يتجه إلى ممدوحه الذي خلع عليه صفات الحلم والكرم والشجاعة، فلهذا الممدوح مواقف حاسمة في الحروب.

ومـن قصائد المديح التي عارضها ابن شهيد قصيدة المتنبي في مدح سيف الدولة التي يقول فيها:

غـيري بأكثـرِ هذا الناس ينخدِعُ ... إن قاتلـوا جَبُـنوا أو حدثـوا شجعوا
أهـلُ الحفـيظة إلاّ أن تجـرِّبهم ... وفي الـتجارِب بعـد الغـيّ مـا يزِعُ

ومنها يقول:

أَأَطـرحُ المجدَ عـن كتفي وأطلبُه ... وأتـرك الغـيثَ في غِمـدي وأنتجعُ

(١) ديوان ابن شهيد الأندلسي، القصيدة (٢).
(٢) شرح ديوان المتنبي، مج ١: ٢ / ٣٣٠ - ٤٣٣، وبلغت القصيدة (٤٩) بيتاً.

والمَشرقيَّةُ لا زالت مشرّفةً دواءُ كلِّ كريمٍ أو هي الوجعُ

وختمها بقوله:

فقد يُظَنُّ شجاعاً من به خَرَقٌ وقد يُظَنّ جباناً من به زَمَعُ
إنّ السلاحَ جميعُ الناس تحملهُ وليس كلُّ ذواتِ المخلبِ السبُعُ

أما قصيدة ابن شهيد التي عارض بها المتنبي فهي في مديح يحيى المعتلي ويقول فيها:

شجتْه معانٍ من سليمى وأدْؤُرُ ... ...
وأخرى اعتلقْنا دونهن ودونها قصورٌ وحجّابٌ ووالٍ ومَعْشرُ
يُزيِّنُها ماءُ النعيم وحفّها من العيشِ فينانُ الأراكة أخضرُ

وفيها يقول:

ومن قبّة لا يدركُ الطرفُ رأسَها تزل بها ريحُ الصّبا فتحدّرُ
إذا زاحمت منها المحارمَ صوّبت هُويّاً على بُعد المدى وهي تجأرُ

وختمها بقوله:

وإنْ سلكتْ أضواجَها عَيَبَتْ بها عواربَ من ذي مُطْريات تَزَجُرُ
وسرنا نجوز النَّهج حتى بدا لنا بُغرّةِ يحيى ساطعُ اللون أزهر [(١)]

لدى الموازنة بين القصيدتين وجدنا المتنبي متألّقاً في سماء الشعر محلقاً بأجنحته، وقد خلع من الصفات على ممدوحه سيف الدولة الحمداني حتى جعل محله عنده فوق الشمس، وصوّر فتكه بالأعداء في أي وقت يشاء فلا يعصمهم من عصمه عاصم.

أما قصيدة ابن شهيد التي عارض بها المتنبي فهي ذاتها التي عارض فيها امرأ القيس، وسنتوقف عند الموازنة بين القصيدتين في موضوع الفخر، ولعل ما يدفعنا إلى القول بالمعارضة أن ابن شهيد ردّ بها على فاتك بن الصُّقْعُب عندما لقيه في رحلته المتخيلة في التوابع والزوابع [(٢)]، فضلاً عن اشتراك القصيدتين في المعاني وابن شهيد قالها في مدح يحيى المعتلي ثم عرج على الفخر بنفسه، وللمتنبي قصيدة ثانية في مدح كافور وقال فيها:

---

(١) ديوان ابن شهيد: ١٠٧ - ١٠٩.

(٢) الذخيرة، ق ١ م ١: ٢٨٨.

مــى كــنّ لي أن البــياض حضابُ ... فيحفــى بتبيــيض القرونِ [١] شابُ

لــيالي عــند البــيض[٢] فَوداي فتنةٌ ... وفحــر وذاك الفحــر عــندي عابُ

ومنها يقول:

وأصــدي فلا أُبدي إلى الماء حاجةً ... ولِلــشمس فوق اليعملات لعابُ [٣]

ولِلــسرّ مــني موضــعٌ لا يــنالُه ... نــديمٌ ولا يُفــضي إلــيه شــرابُ

وختمها بقوله:

ومــا كنت لولا أنت إلاّ مهاجراً ... لــه كــلَّ يــومٍ بلــدةٌ وصــحابُ

ولكــنكَ الدنــيا إلي حبيــبةٌ ... فمــا عــنك لي إلاّ إلــيك ذهاب [٤]

فعارضها ابن شهيد في الفخر قائلاً:

ولم أُنــسَ بالــناووسِ أيامَنا الأولى ... بهــا ايــنا محــبوبها وحــبابُها

وفتــيةِ ضــربٍ مــن زِناتــةَ ممطر ... بــويل المــنايا طعــنُها وضرابُها

وقفــنا علــى جَمْرٍ من الموت وقفةً ... صَــلى لظــاه دأبُ قومــي ودأبُها

إذاى الــشمس رامت فيه أكلَ لحومِنا ... جــرى خَــشَعاً فوق الجيادِ لُعابُها

ومما يدفعنا بالقول إلى معارضة ابن شهيد للمتنبي في هذه القصيدة هو ورودها على لسانه عند محاورته لفاتك بن الصُقْعُب أيضاً، ويستهل قصيدته بميله إلى معاشرة النساء وحبه المفرط لهنّ، ثم ينتقل إلى الفخر بنفسه، ثم يعرج إلى الغرض الرئيس وهو المديح ويضفي عليه صفات الشجاعة والكرم والمروءة والاقدام على ممدوحه. أما قصيدة ابن شهيد فقصرها على الفخر بنفسه وبصحبه، والمعارضة هنا هي معارضة ناقصة، وواضح أخذُ ابن شهيد فإذا قال المتنبي:

وأصدي فلا أبدي إلى الماء حاجةً ... وللشمس فوق اليعملات لعاب [٥]

قال ابن شهيد:

---

(١) القرون: ظفائر الشعر.

(٢) البيض: النساء.

(٣) اللعاب: أشعة الشمس.

(٤) شرح ديوان المتنبي، مج ١ ج ١ / ٣١٣ – ٣٢٧، وبلغت (٤٣) بيتاً.

(٥) ديوان ابن شهيد: ٩٥.

إذا الشمس رامت فيه أكلَ لحومنا   جرى حشعاً فوق الجياد لعابُها [1]

ومن القصائد التي نالت عناية شعراء الأندلس لأكثر من قرن، قصيدة مسلم بن الوليد ((صريع الغواني)) التي قالها في الغزل ووصف الخمرة في حضرة هارون الرشيد، وليس في مدحه كما أشار الدكتور نوفل [2]، وقد تقدمت بنا معارضة ابن عبد ربه لهذه القصيدة في الغزل أيضاً، ولجودة هذه القصيدة ومكانتها في نفوس الأندلسيين يطالعنا أبو الحسن البغدادي المعروف بالفُكَيك في القرن الخامس الهجري معارضاً لهذه القصيدة.

أما قصيدة صريع الغواني، فقد تقدمت بنا ومطلعها:

أديرا عليَّ الـراح لا تشربا قبلي   ولا تطلبا من عند قاتلي ذَحْلي

وأما معارضة أبي الحسن البغدادي فمنها قوله:

لأيـةِ حـالٍ حالَ عن سنة العدل   ولم أُصـغِ يـوماً في هـواهُ إلى العَذْلِ
ولا خطـرت ذكرى سُلوٍّ بخاطري   ولا طَمِعَـتْ نفسي لمنا عنه لي يَسلي
إذا كـان لا يُرضيـك إلاّ منيتي   فـيا قاتلـي مـن قـتلتي أنت في حِلٍّ
ولـيلٍ كـأن الأنجم الزهر نرجسٌ   بـه في ريـاض فتحـتها يـدُ الطَّـلِّ
علـى زُهُراتٍ كَحَّلَ القطرُ مُزْهَها   سـقتها تـدي المـزن علاً على نَهْلِ
كـأن علـيلَ الطـلِّ فوق عيونِها   دمـوعُ التصابي حزْنَ في الأعين النُّجل
وكـم عطّـر الروضُ النسيم كأنه   نـسيمُ نـشيد المُلْك في الحَزْنِ والسّهْل
يجـرِّد من غمْد النّدى صارمَ الحيا   فتـضربُ يمـناهُ بـه عُـنقَ الـبُخْلِ
وكـم مَبْسم من جودِ يمناه عاجلٍ   لراجـي نـوالٍ منـه في جبهـةِ المَطْلِ
تملّكـتَ رقّـي بالعـوارفِ منعِما   وأغنيـتني بالجُـودِ عـن كل ذي فَضْلِ
وأنـسيتني أرضَ العـراقِ ودجلةً   وربعـي حـتى مـا أحِنُّ إلى أهلي [3]

من الموازنة بين القصيدتين وجدنا اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الروي، وجاءت قصيدة صريع الغواني في الغزل ووصف الخمرة، في حين قصيدة الفُكَيك استهلها بالغزل ومازج بينه وبين وصف الطبيعة ثم عرّج بعد ذلك على الغرض الرئيس وهو المدح،

---

(١) الذخيرة، ق ١ م ١: ٢٨٩.

(٢) تاريخ المعارضات: ١١٦ – ١١٧.

(٣) الذخيرة، ق ٤ م ١: ٣٧٢ – ٣٧٣، وبلغت القصيدة (١١) بيتاً.

فأضفى على ممدوحه الشمائل الطيبة والخصال الحميدة من كرم ومروءة، فقد اغدق على الشاعر عطاياه ومن حوده حتى أنساه أهله.

والفُكَيك في معارضته يوافق صريع الغواني وهو بذلك يخالف ابن عبد ربه عندما عارض هذه القصيدة، كما تقدم بنا آنفاً [1].

كما يلتزم المعاني الأصلية لقصيدة صريع الغواني ويؤكدها ولا يخالفها، فإذا قال صريع الغواني:

أديرا عليّ الراح لا تشربا قبلي ... ولا تطلُبا من عند قاتلي ذَحلي

قال الفُكَيك:

إذا كان لا يُرضيك إلاّ منيتي ... فيا قاتلي من قتلتي أنت في حلِّ

وإذا قال صريع الغواني:

كتمتُ تباريحَ الصبابة عاذلي ... فلم يدرِ ما بي فاستَرحتُ من العَذْلِ

قال الفُكَيـــك:

لأية حالٍ حالَ عن سنة العدل ... ولم أُصغ يوماً في هواه إلى العَذْلِ

فكلاهما يأنف من العذل بخلاف ابن عبد ربه الذي يستعذبه.

وإذا قال صريع:

هل العيشُ إلاّ أن أروح مع الصبا ... وأغدو صريع الراح والأعين النُّجْلِ

قال الفُكَيـــك:

كأن عليلَ الظلِّ فوق عيونهـــا ... دموعُ التصابي حزْنَ في الأعين النُّجْلِ

كلاهما مفتون بالأعين النُّجل، فتن بها صريع وأكدها بعده الفُكَيك.

٢ – المعارضات في الغـــزل:

تطالعنا المعارضات بين الأندلسيين والمشارقة متخذة الغزل غرضاً لها، فيروي المقري أن أبياتاً في الغزل للوأواء الدمشقي انشدت في حضرة الفقيه المحدِّث الزاهد أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي والتي يقول فيها الوأواء:

قمـــرٌ أتـــى مـــن غـــيرِ وعدِ ... في لــــيلةِ طـــــرقَتْ بـــــسَعْدِ

بـــات الـــصباحُ إلى الـــصبا ... ح معانقــــي حــــدّاً بخــــدِّ

(١) ينظر: الفصل الأول من هذا البحث: ٣٩.

يمـــتار في وناظـــري مـا شـئت مـن خَمْـر وشَهْد [1]

فقال الطرطوشي: ((أو يظن هذا الدمشقي أن أحداً لا يحسن نظم الكذب غيره ؟ لو شئنا لكذبنا مثل هذا، ثم أنشد لنفسه يعارضه:

قمـرٌ بـدا مـن غير وعد حُقِـتْ شمائلـه بسـعد
قبّلـته ورشـفت مـا في فيـه مـن خَمْـر وشَهْد
ولـثمتُ فـاه مـن الغـرو ب إلى الصـباح المستجدّ
وسـكرت من رشفي العقيـ ـق علـى اقـاح تحـت رَنْـد
فنزعـت عـن فمـه فمـي ووضـعت خـدا فـوق خـدّ
وشمـمـت عَرْف نسيمه الـ جـاري علـى مسـك ونَـدّ [2]

ولقيت قصيدة علي بن الجهم الرصافية هوىً في نفوس الأندلسيين فعارضوها، والتي يقول فيها:

عُـيون المها بين الرصافة والجسر جلبْنَ الهوى من حيثُ أدري ولا أدري
أعـدْنَ لِيَ الـشوقَ القديمَ ولم أكُنْ سـلوتُ ولكـنْ زدْنَ جمراً على جمْرِ
وقلْـنَ لـنا نحـن الأهلّـةُ إنمـا تـضيء لمـن يسري بليلٍ ولا تقْري
فـلا بَـذْلَ إلاّ مـا تـزوّدَ ناظرٌ ولا وصـلَ إلاّ بالخيـالِ الذي يَسري

ومنها:

ولـن يُقْـبلُ الإيمان إلاّ بحبكم وهـل يقـبل اللهُ الـصلاةَ بلا طُهْرِ
ومـن كان مجهولَ المكان فإنما مـنازلُكم بين الحجون إلى الحِجْرِ [3]

وختمها:

فحـيّوا بـني العـباس مـني تحيةً تـسيرُ علـى الأيـام طيِّبةَ النشرِ

فعارضها أبو الطيب أحمد بن الحسين المسيليّ بقصيدة يقول فيها:

مـتى طلعت تلك الأهلةُ في الخُمْرِ ونابـت لـنا تلـك العيونُ عن الخَمْرِ

(١) لم أجد هذه الأبيات في ديوان الوأواء الدمشقي، تح: د. سامي الدهان، ط دمشق ١٩٥٠.
(٢) نفح الطيب: ٢ / ٨٩، وينظر: الاتجاه الإسلامي: ٤١٠.
(٣) ديـوان علي بن الجهم، تح: خليل مردم بك، القصيدة (٥١)، وبلغت (٥٦) بيتاً، وينظر: تكملة الديوان (٢٢٠ – ٢٢٣)، ط ٢، بيروت ١٩٥٩.

ومــن علم الأعجازَ تستعجز النقا ... وهــذي الثنايا الزُهْرُ تسطو على الدُرِّ
شمــوسٌ أبــتْ إلاّ التماسَ سجيّةٍ ... وأقمــارُ حسنٍ في الهوى قَمَرتْ صَبري
تذكــرتُ والتَذكار من ثَمَر الأسى ... لياليــنا بــين الرصــافة والجــسْرِ
لــياليَ لا دمعــي يُــبدّد بالــنأى ... ولا ســنتي ممــا تُــروِّعُ بالهجــرِ [1]

من الموازنة بين القصيدتين وجدنا أن الشاعر الأندلسي حاول أن يترسم خطى الشاعر المشرقي في قصيدته محاولاً تمثل ألفاظه، وعباراته فإذا قال ابن الجهم:

عيونُ المها بين الرصافةِ والجسْرِ ... جَلَبْنَ الهوى من حيث أدري ولا أدري

قال المسيلي:

تذكرت والتَذكار من ثمر الأسى ... ليالينا بين الرصافة والجِسْرِ

إلاّ أن الشاعر الأندلسي لم يتمكن من مجاراة ابن الجهم في قصيدته فقصر دونه.

ومن قصائد الغزل المشرقية التي عارضها الأندلسيون قصيدة الشريف الرضي التي يقول فيها [2]:

يــا ظبــيةَ الــبانِ ترعــى في خمائلهِ ... ليَهــنك الــيومَ إنَّ القلبَ مرعاكِ
المــاءُ عــندك مــبذولٌ لــشاربه ... ولــيس يَــرويك إلاّ مدمعي الباكي
هــبّتْ لــنا مــن رياحِ الغَوْرِ رائحةٌ ... بعــد الــرُقادِ عــرفناها بــرأياكِ
ثم انثنيــنا إذا مــا هــزّنا طــربٌ ... علــى الــرّحالِ تعلّلْــنا بذكــراكِ
ســهمٌ أصــابَ وراميــه بذي سلمٍ ... مــن بالعــراق لقد أبعدتِ مرماكِ
وعــدٌ لعينــيك عندي ما وفَيت به ... يــا قــرب ما كذبت عينيَّ عيناكِ
حكــت لحاظُك ما في الريم من مُلَح ... يــوم اللقاء فكان الفضلُ للحاكي
كــأنَ طــرفَك يــوم الجزعِ يُخبرنا ... بمــا طــوى عنك من أسماءِ قتلاكِ
أنــت النعــيمُ لقلــبي والعذابُ له ... فمــا أمــرّكِ في قلــبي وأحــلاكِ
عــندي رسائلُ شوق لست أذكرُها ... لــولا الــرقيبُ لقــد بلغتُها فاكِ
ســقى مــنى وليالي الخِيف ما شربت ... مــن الغَمــام وحــيّاها وحــياكِ

(١) المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية: ٤٥.
(٢) ديوان الشريف الرضي: ٢ / ٥٩٣ - ٥٩٤، وبلغت القصيدة (١٨) بيتاً.

إذ يلتقــي كــلُّ ذي ديــن وماطله ... مــنا ويُجــتمع المشكو والشاكي

وختمها بقوله:

يــا حــبّذا نفحــةٌ مرت بفيك لنا ... ونُطفــةٌ غُمّــسَتْ فــيها ثــناياكِ

وحــبذا وقفــةٌ والــركبُ مغتفلٌ ... علــى ثــرىً وخــدَتْ فيه مطاياكِ

لو كانت اللّمةُ السوداءُ من عُددي ... يــومَ الغمــيم لمــا أفلتِ بالشاكي

فعارضها عامر المخزومي [1] في مطلع غزلي في مدح ادريس العالي بالله:

لــولا التحــرّجُ لم يَحْجبْ محياكِ ... حيــيت عــنا، وحُيــيــنا بمَحــياكِ

أيــا غزالتنا، شمسُ الضحى طلعت ... علــى اتفــاق فــسيماها كــسيماكِ

بــدوت في حلّــة زرقاءَ وهي كذا ... فقــال قاضي الهوى ((هذي ولا ذاك))

أظمأتنــي مــنكِ، يا ظمياءُ جائرةً ... مــا كــان ضــرّكِ لو احظى بسُقياكِ

إني أراكِ بقــتل الــنفسِ حاذقــةً ... قــولي بفــضلك، مــن بالقتلِ أوصاكِ

إن كــان واديك ممنوعاً فموعدنا ... وادي الكــرى ثم تلقــاني وألقــاكِ

دمعــي بــبغدادَ ممدودٌ بدجلتها ... وأنــت مــن روض نجــد نشرُ ريّاكِ

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الرويّ، والشريف الرضيُّ كان أصدقَ في التعبير لأنه عاش معاناة حقيقية في الحبّ في حين جاءت قصيدة عامر المخزومي تقليداً ليس إلاّ.

يقول الصفدي متحدثاً عن قصيدة ابن زيدون النونية المشهورة قائلاً: ((وعارضها الناس في حياته وبعد مماته ولم يقاربوها وأظن أن ابن زيدون عارض بها البحتري)) [2] في قوله:

يكــاد عاذلــنا في الحــب يُغــرينا ... فمــا لجاجــك في لــوم المحبيــنا

نُلحــى على الوجد في ظلمٍ، فديدننا ... وجــدٌ نعانــيه أو لاحٍ يُعنّيــنا

إذا زرودُ دنــــت مـــنا صــــرائمُها ... فــلا محالــةَ مــن زَور يوافيــنا

بتــنا جُــنوحا على كُثبِ اللّوى فأبى ... خــيالُ ظمــياء إلاّ أنْ يُحييــنا

---

(١) ترجمته في الجذوة: ٣٦؛ تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ: ج٤: ٦٠٣.

(٢) تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون للصفدي: ١٣.

وفي زرود تبـــيع لـــيس يُمْهلـــنا ... تقاضـــيا وغـــريمٌ لـــيس يقـــضينا
مـــنازلٌ لم يُـــذَمّمْ عهـــد مُغـــرمنا ... فـــيها، ولا ذُمَّ يـــوماً عهـــدُها فينا

وختمها بقوله:

أدّى الأمانـــة في مـــال الشآم فما ... تلقـــاه إلاّ أمـــينَ الغـــيب مأمـــونا
تـــسمو إلى الـــرتبة العلـــيا محاسنُه ... فمـــا تـــرى وسطاً منها ولا دُونا[1]

أما قصيدة ابن زيدون فيقول فيها:

أضـــحى التنائـــي بديلاً من تدانينا ... ونـــابَ عـــن طيب لقيانا تجافينا
ألا وقَـــدْ حـــانَ صبحُ البين صبّحَنا ... حَـــيْنٌ، فقـــام بـــنا للحَيْنِ داعينا
مـــن مـــبلغُ الملبـــسينا بانتزاحهم ... حُـــزناً مـــع الدهر لا يَبْلَى ويبلينا
إن الـــزمانَ الـــذي ما زال يُضحكنا ... أنـــساً بقـــربهمُ قـــد عـــاد يُبكينا

ومنها يقول:

يـــا روضـــةً طالمـــا أجنت لواحظَنا ... ورداً جـــلاه الصبا غضاً ونسرينا
ويـــا حـــياةً تملّيـــنا بزهـــرتها ... مُـــنى ضـــروباً ولـــذاتٍ أفانيـــنا

وختمها بقوله:

وفي الجـــواب متاعٌ إنْ شفعت به ... بـــيضُ الأيـــادي التي ما زلت تُولينا
علـــيك مـــنا ســـلامُ الله ما بقيت ... صـــبابةٌ بـــك نخفـــيها فتخفيـــنا[2]

إنّ القصيدتين متشابهتان في الوزن والقافية وحركة الرويّ، أما موضوع قصيدة البحتري فهو مدح للمتوكل، في حين جاءت قصيدة ابن زيدون نابضة بالحنين، وهذا الأمر هو الذي دفع الصفدي بالاعتقاد بمعارضة ابن زيدون للبحتري، ومهما يكن من صحة ذلك الاعتقاد أو عدمه فإن قصيدة ابن زيدون قد طبّقت شهرتها الآفاق، وعورضت في المشرق والمغرب، في حين لم تعرف قصيدة البحتري بهذه الشهرة.

ومن قصائد الغزل التي عارضها الشعراء الأندلسيون قصيدة قالها العباس بن

---

(١) ديـــوان البحتري، ج ٤، تح: حسن كامل الصيرفي، القصيدة (٨٢٦)، وبلغت (٣٩) بيتاً، وينظر: بحـــث الدكـــتور محـــتار الوكيل (ابن زيدون ومعارضوه)، مجلة الكتاب العراقية: ١٢٣، العددان (١١ و ١٢)، بغداد ١٩٧٥.

(٢) ديوان ابن زيدون: ١٤١ – ١٤٨، وبلغت القصيدة (٥٢) بيتاً.

الأحنف في الغزل:

ملــك الــثلاثُ الآنساتُ عناني وحلَلْــنَ مــن قلبــي بكــلِّ مكــانِ
مــالي تطــاوعني الــبريّةُ كُلــها وأُطــيعهن، وهــنَّ في عــصياني
مــا ذاك إلاّ أنّ ســلطانَ الهــوى وبــه قَــوِيْن – أعــزُّ من سلطاني [1]

فعارضها سليمان المستعين (٤٠٤ – ٤٠٧ هـ):

عجبــاً، يهــابُ اللــيثُ حدَّ سناني وأهــابُ لحــظَ فواتــرِ الأجفــانِ
فأقــارعُ الأهــوالَ لا متهيــباً مــنها ســوى الإعــراضِ والهجــرانِ
وَتَمَلَّكَــتْ نفــسي ثلاثٌ كالدُّمى زُهْــرُ الوجــوهِ نــواعمُ الأبــدانِ
ككــواكبِ الظلمــاء لُحْنَ لناظرٍ مــن فــوقِ أغــصانٍ علــى كُثْــبانِ
هــذي الهلالُ، وتلك بنتُ المُشتري حــسناً، وهــذي أختُ غصنِ البانِ
حاكمــتُ فــيهنّ السُّلوَّ إلى الصِّبا فقــضى بــسلطانٍ علــى ســلطاني
فــأبحْنَ مــن قلبي الحمى وتركنني في عــزِّ مُلكــي كالأســيرِ العــاني
لا تعذلــوا ملكــاً تــذللَ للهــوى ذلُ الهــوى عــزٌّ وملــكٌ ثــانِ
مــا ضــرّ أنّــي عــبدُهنّ صــبابةً وبــنو الــزمانِ وهــنّ مــن عُــبداني
إن لم أُطــعْ فــيهنّ ســلطانَ الهوى كَلَفــاً بهــنّ فلــستُ مــن مروانِ [2]

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الرويّ والموضوع، إلاّ أن أبيات سليمان المستعين جاءت أصدق تعبيراً من الأبيات التي قيلت على لسان هارون الرشيد ووضعها عنه العباس بن الأحنف، لأن الشاعر الأندلسي عاش تجربة عاطفية ولوعة حقيقية، في حين أن هارون الرشيد لم يعش مثل هذه التجربة وإنما نطقت عن لسانه [3].

ومن المعارضات الناقصة في باب الغزل، أبيات ابن شهيد التي نظر فيها إلى بيت امرئ القيس الذي يقول فيه:

(١) الذخيرة، ق ١ م ١: ٤٤٧؛ الجذوة: ٢١؛ الحلة السيراء: ٢ / ٩. وقد نسبتها جميع المصادر لهارون الرشيد، إلاّ أنها أدرجت في ديوان العباس بن الأحنف: ٢٧٩، وبلغت (١٠) أبيات.

(٢) الذخيرة، ق ١ م ١: ٤٧ – ٤٨.

(٣) تاريخ المعارضات: ١٠٩ – ١١٠.

سموتُ إليها بعدما نام أهلُها ... سموَّ حُبابِ الماءِ حالاً على حالِ [1]

فعارضها ابن شهيد في المعنى بقولــه:

ولمـــا تمـــلأ مـــن ســـكرِهِ ... فـــنامَ ونامـــتْ عـــيونُ العَـــسَسْ

دنـــوتُ إلـــيه علـــى بعـــدِهِ ... دنـــوَّ رفـــيقٍ دَرَى مـــا الـــتَمَسْ

أدِبُّ إلـــيه دبـــيبَ الكـــرى ... وأسمـــو إلـــيه سمـــوَّ الـــنفَسْ

أُقَـــبِّلُ مـــنه بـــياضَ الطُّلـــى ... وأرشِـــفُ مـــنه ســـوادَ اللَّعَـــسْ

وبـــتّ بـــه لـــيلتي ناعمـــاً ... إلى أنْ تبـــسم ثغـــرُ الغَلَـــسْ [2]

ومعارضة ابن شهيد في هذه الأبيات لمعنى بيت امرئ القيس واضحة واعترف بها في المحاورة التي دارت بينه وبين فاتك بن الصُّعْقَب، محاولاً إفهام الآخرين بأنه يأخذ من غيره ولكن بصورة قليلة [3].

ومن قصائد المتنبي التي عارضها أبو بكر يحيى بن بُقيٍّ (ت 540 هـ أو 545 هـ) قصيدته في مدح سيف الدولة:

تذكـــرت مـــا بين العُذيب وبارق ... مجـــرّ عواليـــنا ومجْـــرى السوابقِ

وصـــحبةَ قـــومٍ يذبحون قنيصَهم ... بفـــضلة مـــا قد كسّروا في المفارقِ

ولـــيلاً توسّـــدْنا الـــثَّوِيّةَ تحـــته ... كـــأنَّ ثـــراها عـــنبرٌ في المـــرافقِ

بـــلادٌ إذا زارَ الحـــسانُ بغيرهـــا ... حـــصا تُـــربِها ثَقَّبْـــنَه للمخانـــقِ

ســـقتني بهـــا القُطْرُبُلّـــيَّ مليحةٌ ... علـــى كـــاذبٍ وعدها ضوءُ صادقِ

ســـهادٌ لأجفـــانٍ وشمـــسٌ لناظرٍ ... وســـقْمٌ لأبـــدانٍ ومـــسكٌ لناشِـــقِ

وأغـــيدُ يهـــوى نفسَه كلُّ عاقلٍ ... عفـــيفٍ ويهـــوى جسمَه كل فاسقِ

ومنها يقول:

تَعـــوّدَ أنْ لا تقْضَمَ الحَبّ خيلُه ... إذا الهـــامُ لم تَـــرْفَعْ جُـــنوبَ العلائقِ

---

(1) ديـــوان امـــرئ القيس: 27، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 3، دار المعارف بمصر 1969، والبيت من قصيدة مطلعها:

ألا عِمْ صباحاً أيها الطلـــل البالي ... وهل يعمن من كان في العصر الخالي

(2) ديوان ابن شهيد الأندلسي: 120.

(3) الذخيرة، ق 1 م 1: 286 – 287؛ وينظر: ابن شهيد الأندلسي حياته وأدبه: 121.

ولا تـــردَ الغُـــدْرانَ إلاّ وماؤها   مـــن الـــدّمِ كالرّيحان تحتَ الشقائقِ

وختمها بقوله:

فلـــم أرَ أرمـــى مـــنه غيرَ مخاتل   وأســـرى إلى الأعـــداءِ غـــير مُـــسارقِ
تُـــصيبُ المجانـــيقُ العظامُ بكفّه   دقائـــقَ قـــد أعـــيت قـــسيَّ البنادق [1]

فعارضها أبو بكر بن بقي بقصيدة غزلية مطلعها:

بـــأبي غـــزالاً غازَلَـــتْهُ مقلـــتي   بـــين العُـــذَيْبِ وبـــين شَـــطَّيْ بـــارقِ
وســـألت منه زيارَةً تَشفي الجوى   فأجـــابني مـــنها بـــوعدٍ صـــادقِ
بتـــنا ونحـــن من الدجى في لُجّةٍ   ومـــن الـــنجومِ الزُهْـــرِ تحت سرادِقِ
عاطيـــتُه واللـــيلُ يسحب ذيلَه   صـــهباءَ كالمـــسْكِ الفتـــيق لناشـــقِ
وضـــممتُه ضَـــمَّ الكَمِيِّ لسيفه   وذُؤابـــتاه حمائـــلٌ في عاتقـــي
حـــتى إذا أخذت به سِنَةُ الكرى   زحـــزحته شـــيئاً وكـــان مُعانقـــي
أبعدْتـــه عـــن أضـــلعٍ تـــشتاقه   كـــي لا يـــنام علـــى وســـادٍ خافـــقِ
لمَـــا رأيـــت اللـــيلَ آخرَ عهده   قـــد شـــابَ في لمـــمٍ لـــه ومَفـــارقِ
ودّعـــتُ من أهوى وقلت تأسّفاً   أعْـــززْ علـــيّ بـــأنْ أراكَ مُفارقـــي [2]

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في القافية، وحركة الرويّ، واستطاع يحيى ابن بقي أن يستوحي أبيات المتنبي الغزلية والتي وردت ضمناً في قصيدة المدح عنده، فهو يعارضه معنىً ولفظاً.

فإذا قال المتنبي:

تذكرتُ ما بين العُذيب وبارق   مجرّ عوالينا ومجرى السوابق

قال ابن بقّي:

بأبي غزالاً عازلَته مقلتي   بين العُذيبِ وبين شطَّيْ بارقِ

فأين للأندلس من (عُذيب) وهو موضع في كوفة العراق لولا المعارضة الشعرية ؟

فإذا قال المتنبي:

(١) شرح ديوان المتنبي، مج ٢ م ١: ٦٠ – ٧٣، وبلغت القصيدة (٤٧) بيتاً.
(٢) مجلــة المورد، مج (٧) ع (١) لسنة ١٣٩٨ هـــ – ١٩٧٨ م، (ابن بقي القرطبي حياته وشعره): ١٣٨، جمع وتحقيق: د. محمد مجيد السعيد، القطعة (٢٤).

سقتني بها القُطْرُبُلّيّ مليحةٌ   على كاذبٍ وعدها ضوءُ صادقِ

قال ابن بقي:

وسألت منه زيارة تشفي الجوى   فأجابني منها بوعدٍ صادقِ

وإذا قال المتنبي:

سهادٌ لأجفانٍ وشمسٌ لناظر   وسقمٌ لأبدانٍ ومسكٌ لناشقِ

قال ابن بقي:

عاطيتُه والليلُ يسحب ذيله   صهباء كالمسك الفتيقِ لناشقِ

وهكذا نجد أن ابن بقي في غزليته مترسماً خطوات المتنبي، إلاّ أن معارضته جاءت ناقصة وذلك لاختلاف البحر عند الشاعرين، فقصيدة المتنبي من بحر الطويل أما قصيدة ابن بقي فمن بحر الكامل.

ومن أشعار الوأواء الدمشقي في الغزل قوله:

لما تحققْتَ وُدّي   أعقبت وصلا بصدّ

يا أصفق الناس وجهاً   يا ناقضاً كلّ عهد

لا تنسَ ليلةَ كنّا   في الصمّ روحاً نفَسْرْدِ

وما علينا رقيبٌ   يُديلُ قرباً ببعد

إلاّ نجومٌ أنارت   كالدُرِّ في لازَوَرْدِ [1]

فعارضها المستظهر بالله أبو عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار الناصري (ت ٤١٤ هـ) [2]:

طال عمرُ الليلِ عندي   مذ تولّعتَ بصدّي

يا غزالا نقضَ الو   دَّ ولم يوف بعهدي

أنسيتَ العهدَ إذ بِتْـ   ـنا على مَفْرَشِ وردِ

واجتمعنا في وشاحٍ   وانتظمنا نظمَ عِقْد

وتعانقنا كغصنيـ   ـن وقدّانا كقدّ

(١) ديوان الوأواء الدمشقي، تح: د. سامي الدهان، القصيدة (١٠١)، ط دمشق ١٩٥٠.

(٢) تنظر ترجمته في: الحلة السيراء: ٢ / ٦٢.

وبجـــزْم اللــــيلِ تحكـــي ذهـــــــــــــــــاً في لازَوَرْدِ [1]

وأخْذُ المستظهر من الوأواء واضح في معاني الصد والهجران والمجلس الذي ضمَّ الحبيب في خلوة بينهما.

ومن أشعار الغزل المشرقية التي عارضها ابن خفاجة قول الرضي:

ولمـــا وقفـــنا بالـــسّراة غُدَيَّةً وقـــــوفاً لـــــتوديع وَرَدِّ ســـــلامِ

تلـــثَّمَ مـــرتابا بفـــضل ردائه فقلـــت هـــلالٌ بعـــد بـــدرِ تمـــامِ

وقبّلـــتُه فـــوق اللّثامِ فقال لي هـــي الخمـــرُ إلاَّ أنهـــا بفـــدامِ [2]

فعارضها ابن خفاجة من قصيدة مطلعها:

يـــــا رُبَّ بــــدرٍ زارني مـــــنه الهـــــلالُ وقـــــد تلـــــثمْ

فرشـــفتُ فـــاه في اللـــثا م أظـــــنه كأســـــاً تفـــــدمْ [3]

ومما يدفعنا إلى القول بأن بيتي ابن خفاجة هنا في معارضة الرضي هو تعليق ابن بسام على قصيدة ابن خفاجة بقوله: ((بيتاه الأولان منها أحدهما من قول الرضي لفظاً بلفظ ومعنىً بمعنى)) [4].

٣ – المعارضة في الوصف:

لقد اشتمل فن المعارضة فيما اشتمل على فنون وأغراض الشعر الأخرى، حيث جاء في الوصف بنصيب لا يستهان به في هذا المجال، فمن المعارضات التامة قصيدة أبي تمام الرائية في وصف الطبيعة التي عارضها أبو بكر نصر الإشبيلي، وابن قليل المحامي.

قال أبو تمام فيها:

رقّت حواشي الدهرِ فَهْي تَمَرْمَرُ وغـــدا الثـــرى في حُلْـــيِه يتكـــسّرُ

نـــزلتْ مقدمةُ المصيف حميدةً ويـــدُ الـــشتاء جديـــدةٌ لا تُكفَـــرُ

لـــولا الذي غرس الشتاءَ بكفّه لاقـــى المـــصيفَ هـــشائما لا تُثمـــرُ

---

(١) الـــذخيرة، ق ١ م ١: ٥٧ – ٤٥٨ وينظر: رايات المبرزين وغايات المميزين لأبي سعيد المغربي: ٦٦، تح: د. النعمان عبد المتعال، القاهرة ١٩٧٣.

(٢) الذخيرة، ق ٣ م ٢: ٥٧٤.

(٣) ديوان ابن خفاجة، القصيدة (٢٦٨).

(٤) الذخيرة، ق ٣ م ٢: ٥٧٤.

أولا ترى الأشياءَ إنْ هي غُيِّرتْ ... سَــمُجَتْ وحُــسن الأرضِ حينَ تُغيَّرُ
دنــيا معاشــي للورى حتى إذا ... حُلــي الــربيع فإنمــا هــي منظــرُ
حــتى غــدَتْ وهَداتُها بنجادها ... فنــتين في خِلَــعِ الــربيع تَبختــرُ
مــصفرّةٌ محمــرةٌ فكأنهــا ... عُــصَبٌ تُــيَمَّنُ في الوغــى وتُمــضَرُّ
مــن فاقــعٍ غــضّ النباتُ كأنه ... درُّ يُــشقّقُ قــبلُ ثمّ يُزَعْفَــرُ
أو ســاطعٍ في حُمْــرةٍ فكأن ما ... يدنــو إلــيه مــن الهــواءِ مُعَصْفرُ [1]

وختمها بقوله يمدح المعتصم المشرقي:

ملــك يَــضلّ الفخــر في أيامــه ... ويقــلُّ في نفحاتــه مــا يكثُــرُ
فَلْيَعْــسُرنْ علــى اللــيالي بعــدَه ... أنْ يُبتلــى بــصروفِهِنّ المُعْــسِرُ

وعارضها أبو بكر بن نصر الإشبيلي:

انظــر نــسيمَ الزهْر رقَّ فوجهُهُ ... لــكَ عــن أسرَّتِهِ الــسَرِيَّة يُسفِرُ
خَــضِلٌ بــريْعان الربيعِ وقد غدا ... للعــين وهــو مــن الــنَّظارةِ مَنْظرُ
وكأنمــا تلــك الــرياضُ عرائسُ ... ملبوسُــهن مَعْــصفرٌ ومزعفَــرُ
أو كالقــيانِ لَبِــسْنَ موشى الحُلى ... فلَهُــنَ مــن وشي اللباسِ تبخْتُرُ [2]

ونظر ابن قليل البجاني إلى قصيدة أبي تمام وعارضها:

ضــحك الــربيع بروضه وَسْمِيّة ... وافتــر عــن نــور أنــيقٍ يُزهــرُ
فكأنــه زهْــر النجومِ إذا بدت ... وكأنهــا في التُــربْ وشــيٌ أخــضرُ
وكــأن عرفَ نسيمِها عند الصّبا ... عَــرفُ العبيرِ يفــوح فــيه العَنْــبرُ [3]

لدى الموازنة بين القصيدة المشرقية لأبي تمام والقصيدتين الأندلسيتين قصيدة ابن نصر الإشبيلي وابن قليل البجاني نجد اتفاق القصيدتين الأندلسيتين مع القصيدة المشرقية في الوزن والقافية وحركة الروي، وعلى الرغم من أن الموضوع الأصلي لقصيدة أبي تمام هو المدح، إلاّ أن الأبيات التي استهل بها القصيدة كانت في وصف الطبيعة، لذلك جاءت

---

(١) ديوان أبي تمام بشرح الصولي، القصيدة (٧٤)، وبلغت (٣٢) بيتاً.
(٢) جذوة المقتبس: ٣٦٩.
(٣) المصدر نفسه: ٣٦٩.

قصيدتا الأندلسيين بالوصف كذلك ولا سيّما ابن نصر الإشبيلي فكان ألصق بالمعارضة من ابن قليل الحائي، لذلك يرى الدكتور إحسان عباس: أن مشاركة ابن نصر الكاتب لأبي تمام لم تقتصر على المعارضة حسب وإنما هي في جزئيات القصيدة فيقول ابن نصر:

خضل بريْعان الربيع وقد غدا ... للعين وهوَ من النظارة منظرُ

وإنما هو ناظر فيه إلى قول أبي تمام:

دنيا مُعاشٍ للورى حتى إذا ... جُلِيَ الربيع فإنما هي منظر

وكذاك قول ابن نصر الإشبيلي:

وكأنما تلك الرياضُ عرائسُ ... ملبوسهُن معصفرٌ ومزعفرُ

إنما هو ناظر فيه إلى قول أبي تمام:

مصفرة محمرة فكأنها ... عُصَبٌ تَيمّن في الوغى وتُمَضَّرُ

فضلاً عن اختلاف الشعراء في فهمهم للربيع، فأبو تمام متفهم لطبيعة الحياة وترجح الإنسان بين العمل والمتعة، في حين يصور الشاعران الأندلسيان الربيع بأنه منظر [١]، ويخلُصُ الدكتور إحسان عباس إلى أن الشاعر الأندلسي أرق، وصورة أبي تمام أعرب [٢].

ومن قصائد الوصف التي لاقت هوى في نفوس الشعراء الأندلسيين قصيدة أبي فراس الحمداني التي قالها عندما كان أسيراً عند الروم، عارضها أبو بكر محمد بن سوار الأشبوني عندما اعتقل في مدينة (قورية) وقصيدة أبي فراس يقول فيها:

أراكَ عــصيَّ الدمــع شيمتك الصبرُ ... أمـا للهــوى نهــيٌ عليـك ولا أمرُ

بلــى، أنــا مــشتاقٌ، وعندي لوعةٌ ... ولكــنَّ مثلــي لا يُــذاعُ لــه ســرُّ

إذا الليــل أضواني بسطْتُ يدَ الهوى ... وأذلَلْــت دَمعــاً مــن خلائقه الكِبْرُ

تكــادُ تُــضيء الــنارُ بين جوانحي ... إذا هــي أذكَــتْها الــصبابةُ والفكْــرُ

معللَــتي بالوصْــلِ، والمــوتُ دونه ... إذا مُــتّ ظمآنــا فــلا نــزلَ القطْرُ

حفظْــتُ وضــيّعتَ المــودةَ بينــنا ... وأحــسنُ، من بعض الوفاء لك العذرُ

ومــا هــذه الأيــامُ إلاّ صــحائف ... لأحــرفها، مــن كــف كاتبها، بشْرُ

بنفــسي مــن الغادين في الحي عادةً ... هــواي لهــا ذنــبٌ، وبهجــتها عُذْرُ

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة: ١١١ – ١١٢.

(٢) المصدر نفسه: ١١٢.

تـــروغ إلى الواشــين فيّ، وإنّ لي ... لأذنابهـا، عـن كـلّ واشـية، وَقْرُ

وختمها بقوله:

أعزُّ بني الدنيا وأعلى ذوي العُلا ... وأكـرمُ مَنْ فوقَ الترابِ ولا فَخْرُ [1]

فعارضها أبو بكر بن سوار الأشوني واصفاً حاله في الأسر:

ولـيل كهـمّ العاشـقين قميـصُه ... ركـبتُ دياجـيه ومـركبُها وَعْرُ

سَـرَيت وأصـحابي يُميلُهم الكرى ... بِهِـمْ مِـنْهُ في سُكْرٍ وما بهم سُكْرُ

رمـيتُ بجـسمي قلـبه فـنفدتُهُ ... كمـا نفـذَ الإصباحُ إذ فُتِقَ الفَجرُ

ولمـا بـدا وجـهُ الصباح تَطلّعَتْ ... خـيولُ مـن الـوادي مُحَجَّلَةٌ غُرُّ

فقلـتُ لهم: خيلُ النصارى فتسمّروا ... إلـيها وكُـرّوا ها هنا يَحْسُن الكَرُّ

وكانـت حمـيا الـنوم قد صَرَعَتْهُمُ ... فَفَلُّـوا وولُّـوا مدبـرين وما قَرّوا

ومنها يقول:

فجـاءوا بأنـواع الكُبول ونَظّموا ... سلاسـلَ في جيدي كما يُنظْم الدُرُّ

وسـاقوا كلاباً كالفحولة أجْسماً ... لهـا أعـينٌ خُـضْرٌ مَلاحِظُها شَزْرُ

فـسبحان ربي مـا أحـلُ حلالَه ... تُحلّـصي مـنها له الحمدُ والشُكْرُ

فـضاقت عليّ الأرض حتى كأنها ... بمـا رَحُـبَتْ ما كان في طولِها فِترُ

فـناديت في حولٍ من الدهر كاملٍ ... ألاَ رجـلَ حـرُّ الأرجـلِ حـرُّ

وختمها بقوله:

بعـدلِ عليّ تَعْمُرُ الأرضُ كلُّها ... وتتّـسع الدنـيا ولـو أنهـا قَبْـرُ

حنـيني إلـيه مـوثَقاً ومسرّحاً ... كمـا حن للبرّ الذي يفرِقُ البَحْرُ [2]

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقهما في الوزن والقافية وحركة الرويّ والموضوع، وتشترك القصيدتان بالمعاني والأفكار، فكل منهما شاعر ومقاتل أدت بهما الحروب إلى الأسر، فالحمداني أسير الروم، والأشوني أسير الإسبان، فيفيد الأشبوني كثيراً

(١) ديـوان أبي فـراس الحمداني، رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه: ١٥٧ - ١٦١، دار صادر، بيروت ١٩٦٦، وبلغت القصيدة (٣٣) بيتاً.

(٢) الذخيرة، ق ٢ م ٢: ٨١٥ - ٨١٧، وبلغت القصيدة (٢٦) بيتاً.

من معاني قصيدة أبي فراس الحمداني ليصور حالة الأسر التي عاشها [(١)].

ومن المعارضات الناقصة في باب الوصف، معارضة ابن حمديس في قصيدته في وصف الزرافة في معلقة امرئ القيس [(٢)]، وذلك لأن الشاعر التزم الوزن والقافية، فأخلّ بالمضمون وذلك واضح في البيت الأخير من القصيدة.

يقول ابن حمديس:

وَنوبِيةٍ في الخَلْـقِ مـنها خلائقُ   متى ما تـرَقَّ العينُ فيها تُسَهل
إذا مـا اسْمُها ألقاهُ في السمعِ ذاكرٌ   رأى الطـرفُ مـنه ما عَناه بمَقْوَلِ

ومنها يقول:

كـأن الخطوطَ البيضَ والصُّفْرَ أشبَهَتْ   علـى جسمها ترصيعُ عاجٍ بصندلِ
إذا طالـعَ السطحَ اسـتجادت بطاحه   بـرأس له هادٍ على السُّحْبِ مُعْتَلِ

وختمها بقوله:

وتحـسبها مـن نفسها إنْ تبخترت   تُـزَفُّ إلى بعـلٍ عروساً وتنجلـي
وكم منشد قولَ امرئ القيس حَولَها   ((أفـاطم مهلاً بعضَ هذا التَدَلُّلِ)) [(٣)]

ويشير أحد الباحثين إلى أن ابن حمديس كان معجباً بامرئ القيس ميالاً إلى محاكاته ومعارضته في بعض آثاره، حيث صرّح في هذه الأبيات السابقة [(٤)]، وتأثر ابن حمديس واضح بامرئ القيس، فضلاً عن اعتماده البحر والوزن والقافية وحركة حرف الرويّ نفسها.

وتأتي أبيات ابن شهيد اللامية في معارضة طرفة بن العبد، ضمن المعارضات الناقصة، وذلك لاختلاف القصيدتين في حركة الروي، استمع لطرفة حيث يقول:

---

(١) تاريخ المعارضات: ١١١.

(٢) مطلعها:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

والمعلقـة بلغـت (٨١) بيتاً. ينظر: شرح المعلقات السبع للزوزني: ٧، ٥٦، دار الجليل، ط ٢، بيروت ١٩٧٢ م.

(٣) ديوان ابن حمديس، القصيدة (٢٤٩).

(٤) ابـن حمـديس حياته وشعره: ٩٥، نايف خالد محمد الحسن، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة بغداد ١٩٧٤.

لهندِ، بحزّانِ الشريفِ، طلولُ ... تلوح، وأدنى عهدهِن مُحيلُ
وبالسفْحِ آياتٌ، كأنَّ رسومِها ... يمانٍ، وشتّه رَيْدةٌ وسمولُ [1]

ويختمها بقوله:

وإن امرأً لمن يعفُ يوماً، فُكاهةً ... لمن لم يُرِدْ سوءاً بها لَجَهولُ
تَعارفُ أرواحُ الرجال إذا التقَوا ... فمنهم عدوٌّ يُتّقى وخليلُ [2]

وأما معارضة ابن شهيد فيقول فيها:

أمِن رسمِ دارٍ بالعقيق مُحيلِ ... .
ولما هبطنا الغيثَ تُذْعَرُ وحشُه ... على كلِّ خوارِ العنانِ أسيل
وثارت بناتُ الأعوجيّاتِ بالضُحَى ... أبابيلَ من أعطافِ غيرِ وبيلِ

وختمها بقوله:

إلى أن ثناهم راكدين لما احتسَوا ... خليعين من بطشٍ وفصلِ عقولِ
نشاوى على الزهراءِ صرعى كأنهم ... أساطينُ قصرٍ او جذوعُ نخيلِ [3]

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية واختلافاً في حركة الرويّ، فضلاً عن الاختلاف في موضوع القصيدتين، فطرفة في قصيدته يهجو ابن عمه عبد عمرو بن بشر، ويبدؤها بالبكاء على الأطلال، ثم ينتقل إلى الغرض الرئيس في القصيدة وهو هجاء ابن عمه الذي وشى به إلى عمرو بن هند، ثم يختتم الأبيات بالحكم وامتاز أسلوبها بالرصانة والصعوبة.

أما قصيدة أبي عامر بن شهيد فهي وصف رحلة صيد سار هو وصحبه فيها، وابن شهيد يغفل ذكر الأبيات في بكاء الأطلال مع أن المطلع يدل عليها، ثم يصف الخيل، ثم يصف الفرسان الذين تميزوا بالشجاعة والإقدام في الحرب ثم يصور مجلسهم واحتساءهم الخمرة مبيناً أثرها فيهم، حيث يصبحون لا حول لهم ولا قوة، بأسلوب سهل قريب إلى النفس.

---

(١) تنظر: الذخيرة، ق ١ م ١: ٢٥٠ فيها تفصيل الحوار الذي جرى بين صاحب طرفة بن العبد وعامر بن شهيد وصاحبه زهير بن نمير.

(٢) ديوان طرفة بن العبد: ٧٩ - ٨١، وأبيات القصيدة (١٧) بيتاً، المؤسسة العربية للطباعة والنشر - لبنان.

(٣) ديوان ابن شهيد، القصيدة (٥٣)، وبلغت (١٣) بيتاً وشطراً.

٤ – المعارضات في الفخر:

معارضات الفخر لا تقل شأناً عن أخواتها، فقد اجتمعت قصائد في الفخر لشعراء أندلسيين، عارضوا فيها قصائد اضرابهم في المشرق، وفي مقدمتها قصيدة البحتري التي مدح فيها إسماعيل بن شهاب التي مطلعها:

مـا علـى الركب من وقوف الركاب في معـاني الـصِّبا ورسـم التصابي
أيـنَ أهْـلُ القبـاب بالأجـرع الفرْ وَتَوَلَّـوا ؟ لا أيـن أهـلُ القبـاب
سَـقْمٌ دونَ أعـيُنٍ ذات سُـقم وعـذابٌ دون الثـنايا العـذاب
عَـرِّجوا، فالدمـوعُ إن أبكِ في الربـ ـع دموعـي والاكتـئاب اكتئابي

وختمها بقوله:

خَطَـرُوا خطـرةَ الجهامِ وساروا في نواحـي الظُّـنونِ سَـيْرَ الـسحاب
أحظوا المكرماتِ، والتمسوا قا رعـةَ المجـدِ في عَـداةِ ضَـبابِ[1]

فعارضها ابن شهيد بقصيدة قال فيها:

هـذه دارُ زيـنبَ والـرباب ....
قـد تـركنا الـصِّبا لكـلِّ غَوِيٍّ وانـسلخنا مـن كـلِّ ذامٍ وعـاب
وانقطعـنا لـواعظاتِ مـشيب أذنتـنا حـياتُها بَـذهاب
وإذا مـا الـصِّبا تَحَمَّـلَ عـنا فَقَبـيحٌ بـنا ارتـضاءُ التـصابي

وختمها بقوله:

مـن شـهيدٍ في سرِّها ثُمَّ من أشـ ـجَعَ في الـسرِّ مـن لباب الُّلباب
خطـباءُ الأنـامِ إنْ عـنَّ خطـبٌ وأعاريـبُ في مـتونِ عـرابِ[2]

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد الفرق واضحاً كل الوضوح في المعنى والمبنى، فقصيدة البحتري يستغرق بكاءَ الأطلال عنده كثيراً ثم يفخر ويمدح إسماعيل بن شهاب، وقد عمد البحتري إلى الإكثار من الاستعارة والتشبيه.

أما ابن شهيد فإنه يكاد يغفل البكاء على الأطلال حين لم يذكر من أبياته سوى

(١) ديـوان البحتـري، ج ١، تـح: حسن كامل الصيرفي، مج ١، القصيدة (٢٩)، ط ٢، القاهرة ١٩٧٢، وبلغت القصيدة (٣٨) بيتاً.

(٢) ديوان ابن شهيد، القصيدة (٣)، وبلغت (٢١) بيتاً.

الشطر الأول ثم ينتقل إلى الفخر بنفسه وبأصحابه.

وترسم ابن شهيد خطا البحتري في الاستعارة والتشبيه بينما اعتمد عليها في البناء الداخلي لقصيدته [١]، وقد أورد لنا ابن بسام اعتراف ابن شهيد بأستاذية البحتري [٢].

ومن قصائد الفخر التي لقيت صدىً في نفوس الأندلسيين قصيدة لأمرئ القيس [٣] التي يقول فيها:

سمـــا لك شوق بعدما كان أقصرا ... وحلـــت ســـليمى بطن قو فعرعرا
كنانـــيّة بانَـــتْ وفي الصدرِ وُدُّها ... مجـــاورةً غـــسان والحـــيُّ يَعمُـــرا
بعـــينيّ ظُعـــنُ الحـــيّ لما تحملوا ... لدى جانبِ الأفلاجِ من جنبِ تَيْمرا

والتي ختمها بقوله:

ولا مـــثلَ يـــومٍ في قُذارانَ ظِلْتُه ... كأنّـــي وأصـــحابي علـــى قَرْنِ أعْفَرا
ونشرب حتى نحسب الخيلَ حولَنا ... نِقـــادا وحتى نحسبَ الجونَ أشقرا [٤]

فعارضها ابن شهيد بقوله:

شـــجته معانٍ من سليمى وأدؤُر ... .
وأخـــرى اعتلقنا دونَهن ودونها ... قـــصورٌ وحُجّـــابٌ ووالٍ ومَعْـــشرُ
يُـــزَيّنُها مـــاءُ النعـــيمِ وحفُهـــا ... مـــن العـــيش فيـــنانُ الأراكةِ أخضرُ

وختمها بقوله:

وإن سَـــلَكْتَ أضواجَها عَيِيتَ بها ... عـــواربَ مـــن ذي مُطْربات تَزَجّرَا
وسِـــرْنا نجـــوز النهجَ حتى بدا لنا ... بغُـــرّة يحيى ساطعُ اللّون أزْهرا [٥]

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد أمرأ القيس ينهج في بناء قصيدته منهجاً تقليدياً،

---

(١) ابن شهيد الأندلسي حياته وأدبه: ١١٧.

(٢) الذخيرة، ق ١ م ١: ٢٥٧.

(٣) تنظـــر: الذخيرة، ق ١ م ١: ٢٤٩ فيها تفصيل عن الحوار الذي جرى بين صاحب امرئ القيس مع عامر بن شهيد وصاحبه زهير بن نمير.

(٤) ديوان امرئ القيس: ٥٦ – ٧١، القصيدة (٤) وبلغت (٥٤) بيتاً، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٣، دار المعارف بمصر ١٩٦٩.

(٥) ديـــوان ابـــن شهيد الأندلسي، جمعه وحققه: يعقوب زكي، وراجعه الدكتور محمود علي مكي، القصيدة (٢٤).

فيبدؤها بمقدمة طللية يبكي بها أطلال حبيبته ثم يتغزل بها وبآثارها ويفخر بنفسه مبيناً شجاعته وقدرته على تحمل الصعاب، ولا سيما رحلته المضنية مع صاحبه إلى القيصر ثم يُعرّي نفسه بهذا الفخر، ثم يشتكي من الزمان سوء طالعه مع الأصحاب، وتستغرق هذه المعاني قصيدته كلها.

أما قصيدة ابن شهيد فإنها تدور كلها حول الفخر بنفسه فهو يسبغ على نفسه فيها صفات الفروسية والشجاعة والكرم محاولاً إيجاد نفسه عن كل مثلبة [(١)].

والتشابه بين قصيدة ابن شهيد مع قصيدة عمر بن أبي ربيعة في الوزن والقافية دفع بطرس البستاني إلى القول بمعارضتها في مَعرض كلامه عن الغـــزل لدى شعـــراء الأندلس فقال: ((... فمنهم من كان يَحِنُّ إلى الأسلوب البدوي، فيذكر أماكن العرب في البادية، وعرائسَ الشعرِ عندهم، أو يحذو حذو امرئ القيس وابن أبي ربيعة في القصص الغرامي واختيار الأهوال إلى من يحب كما قال أبو عامر بن شهيد معارضاً رائية عمر:

وأخرى اعتلقنا دونَهن ودونَها قصورٌ وحُجّابٌ ووالٍ ومَعْشَرُ

إلى آخر الأبيات)) [(٢)].

أما قصيدة عمر بن أبي ربيعة والتي نوّه البستاني بمعارضته ابن شهيد لها فمطلعها:

أمِنْ آلِ نعمٍ أنتَ غادٍ فمُبكِرِ غداةَ غدٍ أمْ رائحٌ فمُهجِّرُ [(٣)]

ولا يستبعد الدكتور حازم عبد الله خضر معارضة ابن شهيد لعمر بن أبي ربيعة في قوله: ((وإذا كان أبو عامر قد قال القصيدة الرائية هذه رداً على صاحب امرئ القيس وأكد لنا معارضته له، فإننا لا نجد غير اتفاق القافية والوزن دليلاً يثبت ما ذهب إليه البستاني، وإن كنّا من جهة أخرى لا نستبعد تقليد أبي عامر لابن أبي ربيعة خاصة وأن الأخير اشتهر بالغزل وعرف به وأبو عامر يحرص على تقليد المشهورين في فنون خاصة

(١) ابن شهيد الأندلسي حياته وأدبه: ١٨.

(٢) أدبـــاء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث: ٦٩، بطرس البستاني، ط ٦، بيروت ١٩٦٨؛ وينظر: ابن شهيد الأندلسي حياته وأدبه: ١١٩.

(٣) ديـــوان عمـــر بن أبي ربيعة، انظر: القصيدة ٦٤ – ٦٧، وبلغت(٧٣) بيتاً، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، كتاب التراث (٢) ١٩٧٨ م.

أو المشهورين في شعرهم عامة)) [١].

ومن قصائد الشعر العربي التي استأثرت باهتمام ابن شهيد قصيدة الشريف الرضي، وقد عارض ابن شهيد بيتين منها وهما:

ما إنْ رأيتُ كمعشرٍ صبروا ... عزًا على الأزلات والأزْمِ

بسطوا الوجوهَ وبين أضلعهم ... حَرُّ الجوى ومآلم الكَلْمِ [٢]

فعارضها بقوله:

إن الكريم إذا نالته مخْمَصَةٌ ... أبدى إلى الناسِ شبْعاً وهو طيانُ

يحني الضلوعَ على مثلِ اللظى حُرَقاً ... والوجهُ غَمْرٌ بماءِ البِشْرِ مَلآنُ [٣]

إنّ هذه الأبيات أوردها الفتح بن خاقان في كتابه المطمح ليبين معارضة ابن شهيد في المعنى للشريف الرضي، ولا شك بأن ابن شهيد قد استلهم معاني الشريف الرضي فقال معارضاً في الفخر [٤]:

وما ألانَ قناتي غمزُ حادثَةٍ ... ولا استخف بحِلمي قطُّ إنسان

ومن الملاحظ على الشاعرين أنهما أكدا معنى الصبر على الشداد والملمات.

٥ – المعارضات في الشكوى:

ومن قصائد الشكوى من الزمن قصيدة المتنبي في الشكوى من الأصحاب والزمن التي عارضها ابن زيدون، قوله:

بم التعلّل لا أهلٌ ولا وطنُ ... ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنُ

أريدُ من زمني ذا أن يُبلّغني ... ما ليس يبلُغُه من نفسهِ الزمنُ

لا تلقَ دَهرَكَ إلاّ غيرَ مكترثٍ ... ما دامَ يصحبُ فيه روحكَ البدنُ

فما يدومُ سرورُ ما سُرِرْتَ به ... ولا يُردّ عليك الفائتَ الحَزنُ

ومنها يقول:

يا من نُعيتُ على بعد بمجلسه ... كلٌّ بما زَعَمَ الناعون مرتَهَنُ

---

(١) ابن شهيد الأندلسي حياته وأدبه: ١٢٠.

(٢) ديوان الشريف الرضي: ٢ / ٨٤٧، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

(٣) ديوان ابن شهيد: ١٦١، تح: يعقوب زكي.

(٤) مطمح الأنفس: ١٩٠، تح: محمد علي شوابكة.

رأيتكُم لا يصونُ العَرضَ جارُكم ... ولا يدُرُّ على مرعاكم اللبنُ
جزاء كل قريبٍ منكم مللٌ ... وحظ كلّ مُحب منكم ضَغَنُ
سهِرتُ بعد رحيلي وحشةً لكم ... ثم استمر مريري وارعوى الوسَنُ

وختمها بقوله:

وإن تأخَّر عني بعضُ موعده ... فما تأخَّرُ آمالي ولا تَهِنُ
هو الوفيُّ ولكني ذكرتُ له ... مودةً فهو يبلوها ويمتحن [1]

وعارضها ابن زيدون لما حلّ به العيد وهو بعيد عن أهله، فناجاهم بهذه الأبيات:

هل تذكرونَ غريباً عادَه شجنُ ... من ذكركم – وجفا أجفانَه الوسَنُ
يُخفي لواعجَهُ والشوقُ يفضَحُه ... فقد تساوى – لديه السرُّ والعلنُ
يا ويلتاه، أيَبقى في جوانحه ... فؤادُه، وهو بالأطلال مُرتَهنُ
وأرّق العينَ – والظلماءَ عاكفة ... ورقاءُ، قد شفَّها إذ شفني حَزَنُ
فبت أشكو وتشكو فوق أيكتها ... وباتَ يهفو ارتياحاً بيننا الغُصُنُ
يا هل أجالسُ أقواماً أحبهم ... كنا وكانوا – على عهدٍ – فقد ظعنوا
أو تحفظون عهوداً لا أضيِّعُها ... إنَّ الكرامَ، بحفظ العهدِ تُمتحنُ
إنْ كان عادَكُم عيدٌ فرب فتى ... بالشوقِ قَدْ عادَه من ذكرِكُمْ حَزَنُ
وأفردتْهُ الليالي من أحبته ... فباتَ يُنشدِها – مما جَنى الزمن
((بم التعللُ ؟ لا أهلٌ ولا وطنُ ... ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكن)) [2]

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في أركان المعارضة، وموضوع القصيدتين هو الشكوى من الزمن، فالمتنبي في قصيدته يرد على الناعين بكبريائه المعهود، فلا يشمت أحداً بنفسه، ويتوجه إليهم يلومهم على موقفهم المضاد منه، ويعزي نفسه بأنه عند الهُمام كافور الرحل الكريم المعطاء الذي يجزل العطايا عليه فلا يحتاج لأحد.

أما ابن زيدون فقد عارض قصيدة المتنبي، ووقف على معانيها، ولعل ما يدفعنا بالقول إلى معارضة ابن زيدون للمتنبي هو تضمين ابن زيدون مطلع قصيدة المتنبي:

(١) شرح ديوان المتنبي، مج ٢: ٤ / ٣٦٣ – ٣٧٠، وبلغت (٢٥) بيتاً.
(٢) ديوان ابن زيدون: ١٦٢ – ١٦٣، وبلغت القصيدة (١٠) أبيات.

بم التعللُ؟ لا أهلٌ ولا وطنُ — ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنُ

في قصيدته، فضلاً عن وقوف ابن زيدون على معظم أبيات قصيدة المتنبي واستلهامها لفظاً ومعنىً، فإذا قال المتنبي:

سهرت بعد رحيلي وحشةً لكم — ثم استمر مريري وارعوى الوسَنُ

قال ابن زيدون:

هل تذكرون غريباً عادَه شجنُ — من ذكركم – وجفا أجفانه الوسنُ

إلاّ أن هناك اختلافاً في الشكوى ذاتها عند الشاعرين، فالمتنبي يشكو من الزمن ويحمل على بعض الناس لا يرجون خيره ولا يفرحون له لبغضهم إياه، في حين نجد أن الشكوى عند ابن زيدون اقتصرت على الزمن الذي أبعده عن أحبته، الذين تذكرهم يوم العيد، حينما نظر إلى الحمامة وسمع هديلها فكأنها تشكو من الزمن بعدها عن أترابها وبادلها الشكوى هو أيضاً فكتب إلى أحبته بتلك الأبيات.

ومن المعارضات الناقصة قصيدة أبي نصر المعافى التي أنشدها له الثعالبي في اليتيمة:

لمـا رأيـت الـزمان نكْـساً — وفـيـه للـرفعة اتـضاحُ
كـلُّ رئـيس بـه مـلالٌ — وكـلُّ رأس بـه صـداعُ
لَـزِمْتُ بـيتي وصُنت عِرضاً — بـه عـن الذلّـة امتـناعُ
أشـربُ ممـا ادخَـرْتُ راحاً — لهـا علـى راحـتي شـعَاعُ
لي مـن قواريـرها ندامـى — ومـن قـراقيرها سَـماعُ
وأجـتني مـن ثِمـار [(١)] قوم — قـد أقفـرت مـنهم البـقاعُ
بـشرٌ وكعْـبُ أمـامَ عـيني — هـذا يعـوثُ وذا سـواعُ [(٢)]

ولاقت هذه القصيدة هوىً في نفس أبي محمد عبد المجيد بن عبدون فعارضها من قصيدة مطلعها:

سأطلبُ لا بألسنة اليراعِ — سوى ذا الحظِ من أيدي الزِماعِ

---

(١) وردت (عقول) في التيمة.

(٢) البيت الأخير من اليتيمة ولم يروه ابن بسام، تنظر: القصيدة في يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد: ج٤: ١٣٢، ط ٢، القاهرة ١٩٥٦، وتنظر: الذخيرة، ق ٢ م ٢: ٧١٣.

ومنها يقول:

فسلني عن ملوكِ الأرض تسألْ ... حبيراً فاقضِ حقَّ الاستماعِ
كأعضاءٍ بها ألمٌ فقلْبُ ... على ضَمَدٍ ورأسٌ في صُداعِ
ومن عصبٍ إذا سئلتُ حِراكاً ... شكت بسكونها نخلُ النخاعُ
ويمنى لا تجودُ على شِمالٍ ... ولا تُصغي المودة للذِراعِ
وعينٍ لا تُغمّض عن قبيحٍ ... وأُذْنٌ لا تُألَم من قذاعِ
فما أتقَوا ولا همّوا ببقيا ... ونقلُ الطبع ليسَ بمُستطاعِ
فلو سقَتِ السماءُ الشريَ أريا ... لما احلولتْ مراعيه لراعِ
بدهرٍ ضاعتِ الأحسابُ فيه ... ضَياعَ الرأي في السرِّ المذاعِ
فعفتُهم بتاتاً لا بثُنيا ... ولا شرطٍ ولا دركِ ارتجاعِ
ولم أجعلْ قِراني غير بيتي ... فحسبي ما تقدَّم من قراعِ [1]

من الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في أركان المعارضة، وقد أتى ابن عبدون على معاني أبي نصر المعالي، بل حتى ألفاظه، فإذا قال أبو نصر المعالي:

كُلُّ رئيسٍ بهِ ملالٌ ... وكلُّ رأسٍ بهِ صداعُ

وقال ابن عبدون:

كأعضاءٍ بها ألمٌ فقلبٌ ... على ضمَدٍ ورأسٌ في صداعِ

٦ - المعارضات في أغراض أخرى:

ومن القصائد المشرقية التي عارضها الأندلسيون، قصيدة أبي العلاء المعري الطائية التي خاطب بها صاحب دار العِلْم ببغداد وعرَّض بأمور له، قال فيها:

لمن جيرةٍ سيموا النوالَ فلمْ يُنطوا ... يُظلِّلُهُمْ ما ظلَّ ينبتُهُ الخطُّ
وجوتُ لهمْ أنْ يَقربوا فتباعدوا ... وأنْ لا يَشطوا بالمزارِ فقد شَطوا
يمانونَ أحياناً، شآمونَ تارةً ... يُعلونَ عن غورِ العراقِ لِيخطُوا

وفيها يقول:

أخازنَ دارَ العلم كم من تَنُوفَةٍ ... أتتْ دوننا فيها العوازفُ واللَّغطُ
ومحواة أرضٍ صَدَّ محوةَ بعدِها ... وحيُّ المنايا من أساوِدها نَشْطُ

---

(١) الذخيرة، ق ٢ م ٢: ٧١٣ - ٧١٤، وبلغت (١٥) بيتاً.

إذا جمحتْ خيلُ الكلام فإنّما ... لـديكَ يُعاني مـن أعنّتِها الضبطُ

وختمها بقوله:

أولئكَ إنْ يَقْعُد بكَ الجاهُ يَنهضوا ... بجـاه، وإن يـبخلْ بـنافلة يَعطـوا
شكرتُهُمْ شكرَ الوليدِ بفارس ... رجالاً بِحمص كانَ جدّهُم السِمطُ [1]

وقال ابن زيدون:

شَحَطْنا، وما للدارِ نأيٌ ولا شَحْطٌ ... وشَطَّ بِمَنْ نهوى المزارَ، وما شَطُّوا
أَأَحْبابَنا أَلْوَتْ بحادثِ عهدنا ... حـوادثُ لا عقـدٌ علـيها ولا شرطُ
لَعَمْرُكُمُ إنّ الزمانَ الذي قضى ... بـشتِ جميع الشمْلِ منا لمشتّطُ
وأمـا الكَرى مُذْ لَمْ أزرْكُمْ فهاجرٌ ... زيارتُـهُ غـبٌّ، وإلمامُـه فـرطُ

وفيها يقول:

علـيك (أبـا بكـرٍ) بكرتُ بهمةٍ ... لهـا الخطـرُ العالي، وإن نالَها حطُّ
أبى بعـدَ مـا هِيلَ الترابُ على أبي ... ورهطـيَ فَذّاً حيثُ لم يُبقِ لي رَهْطُ
لـكَ النعمةُ الخضراءُ تَندى ظلالها ... علـيَّ، ولا جحـدٌ لديَّ ولا غَمْطُ
ولـولاكَ لم تَـثْقُبْ زنـادُ قريحتي ... فيـنتهبُ الظلمـاءَ من نارِها سقْطُ

وختمها بقوله:

فإنْ يُسعفِ المولى فَنُعْمى هنيئةٌ ... تُـنَفّسُ عـن نفـسٍ الـطَّ بهـا ضَغْطُ
وإنْ يأبَ إلاّ قبضَ مبسوطِ فضلهِ ... ففـي يـد مولى فَوقَهُ القبضُ والبَسْطُ [2]

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الروي، إلاّ أن موضوع القصيدتين مختلف فأبو العلاء في قصيدته خاطب دار العلم ببغداد واستهل قصيدته بالشوق إلى الأصحاب الذين بعدوا عنه ثم ينتقل إلى الغزل ويصف، ثم ينتقل إلى وصف الخمرة وصولاً إلى غرضه الرئيس وهو مخاطبة خازن دار العلم ويبيّن أفضال خازن الدار عليه ويختتمها في بسط الشكر لخازن الدار.

وجاءت قصيدة أبي العلاء المعري جيدة الوصف متماسكة البناء حتى أصبحت

(١) شرح ديوان سقط الزند، القصيدة (٥٨)، وبلغت (٥٥) بيتاً.
(٢) ديوان ابن زيدون: ٢٨٥ – ٢٩٣، تح: علي عبد العظيم، وبلغت (٤٠) بيتاً.

محط أنظار الشعراء على مختلف العصور، لذلك فقد عورضت كثيراً، وممن عارضها ابن زيدون الذي ترسّم خطا أبي العلاء فلم يحد عنه، لذلك جاءت قصيدة ابن زيدون لا تقل في روعتها عن قصيدة أبي العلاء، أما قصيدة ابن زيدون فقد كتبها إلى أستاذه أبي بكر مسلم بن أحمد بن أفلح النحوي بعد أن لجأ إلى إشبيلية فاراً من سجنه بقرطبة، واستهلها بذكر الديار والشوق إلى الأحبة ومدى تعلقه بذكرهم، ثم ينتقل إلى الغرض الرئيس وهو التماس الشفاعة.

ومن القصائد الطوال التي لاقت هوىً في نفوس الأندلسيين فعورضت قصيدة أبي العلاء المعري أيضاً ويقول فيها [1]:

معاني اللّوى من شخصك اليوم أطلالُ ... وفي النومِ مغنىً من خيالك مِحلالُ
معانيك شتّى، والعبارةُ واحدٌ ... فطرفك مُغتالٌ، وزندُك مغتالُ
وأبعضتُ فيك النخلَ، والنحلُ يانعٌ ... وأعجبني من حبّك الطَّلحُ والضالُ
وأهوى لجرّاك السماوةَ والقطا ... ولو أنّ صنفيه وشاةٌ وعُذّالُ

ومنها:

صحبت كرانا والركابُ سفائنٌ ... كعادك فينا والركائبُ إجمالُ
تمنّيت أنّ الخمرَ حلّت لنشوةٍ ... تُجهِّلني كيف اطمأنّت بي الحالُ
فأذْهلُ أنّي بالعراق على شفى ... رزيّ الأماني لا أنيسٌ ولا مالُ
مُقلٌّ من الأهلين: يُسْرٍ وأُسْرَةٍ ... كفى حزنًا، بَينٌ مُشتٌّ وإقلالُ

وختمها بقوله:

سيطلبني رزقي، الذي لو طلبتُهُ ... لما زادَ، والدنيا حظوظٌ وإقبالُ
إذا صدق الجدُّ افترى العمُّ للفتى ... مكارم لا تُكري وإن كذبَ الخالُ

فعارضها عبد الجبار بن حمديس (ت ٥٢٧ هـ) بقصيدة:

أحُمّلُ على نُحل العوالي وإجمالُ ... تفاءلتُ باسم لا يصحُّ به الفالُ
وحلّيتُ نفسي بالأباطيل في الهوى ... ونفسُ تُحلّى بالأباطيل مِعطالُ
وكمْ كصادٍ خالَ رِيّا بقفرة ... وقد غيض فيها الماءُ واطّردَ الآلُ

(١) شرح ديوان سقط الزند، القصيدة (٤٩)، وبلغت (٥٥) بيتاً.

أيشكو بحر الشوقِ مثلَ الصدى فمٌ ... وماءُ المآقي فوق خدّك هطّالُ

ومنها:

وليلٍ حكى للناظرينَ ظلامُهُ ... ظَليماً لَهُ من روعةِ الصّبحِ إجفالُ
كأنَّ لهُ ثوباً على الأفقِ جيبُه ... وقدْ سُحبتْ منه على الأرض أذيالُ
ويا بأبي مَنْ لمْ يزلْ مِنْ حليّها ... لدى العيدِ عرثانانِ: قلبٌ وخلخالُ
فتاةٌ تداوي كلَّ حينٍ بصحّتي ... سقامَ جفونٍ ما لها منهُ إبلالُ

وختمها بقوله:

ويا حبّذا الأحياءُ منهمْ وحبّذا ... مفاصلُ منهمْ في القبورِ وأوصالُ
ويا حبذا ما بينَهُمْ طولُ نومةٍ ... تُنبّهُني منها إلى الحشرِ أهوالُ (١)

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الروي، فضلاً عن اشتراكهما في طرق موضوعات معينة كالممازحة بين الغزل وذكريات الطفولة وتغير الأحوال والتشوّق إلى الأوطان، وامتازت القصيدتان بأنّهما من القصائد الطوال التي تمثل التلقائية في الإنشاء للتعبير عن حالات النفس دون حافزٍ خارجي، ويرى الدكتور إحسان عباس ((أن معارضة ابن حمديس للمعري ما كانت إلاّ أمراً عارضاً لم يؤثر كثيراً في طبيعة الدوافع الداخلية عند ابن حمديس)) (٢).

ومن قصائد المجون التي لم يوفق الأندلسيون في معارضاتها في المعنى قصيدة لعمر بن أبي ربيعة، حاول أبو الحسن علي بن حصن الإشبيلي معارضتها فأخفق، قال عمر:

قلتُ يوماً لها وحرّكَتِ العو ... دَ بمضرابِها فغنّتْ وغنّى
ليتني كنتُ ظهرَ عودِكِ يوماً ... فإذا ما أحتضنتُهُ كنتُ بطنا
فبكتْ ثمّ أعرضَتْ ثم قالتْ ... من بهذا أتاكَ في اليوم عنّا
قلتُ لما رأيتُ ذلك منها ... بأبي ما عليكِ أنْ أتمنّى (٣)

وقال ابن حصن معارضاً ((وهي من مستظرف مجونه)):

---

(١) ديوان ابن حمديس، تح: إحسان عباس، القصيدة (٢٣٨)، بيروت ١٩٦٠.

(٢) الديوان نفسه، مقدمة المحقق: ١٨.

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٢٢٩ – ٢٣٠، رقم القطعة (٤٣٢)، المطبعة المصرية للكتاب ١٩٧٨ م؛ الذخيرة، ق ٢ م ١: ١٦٤ – ١٦٥، وهناك اختلاف بين رواية الذخيرة والديوان.

بـأبي ظـبيٌ صـغيرُ الـسنّ ــــن حـازتْ ثلـثْ سـني
ســرّني أنْ لـيسَ يَـدري مـذهبي فـيه وفـني
فهـو يدعـوني عمّـا وأنـا أدعـوه يـا ابـني
قلـتُ لمّـا أنْ بـدا لي وجهُـه مـن تحـت بطـني
قـال مـاذا قلـته لي ؟ قلـتُ خـيراً فـيك أعـني [1]

ويرى ابن بسام أن ابن حصن قد أخفق في معارضته لعمر فقال: ((قوله: ((قلت لما أن بدا لي وجهه)) ... البيت، مما أراد أن يصهل فيه فنهق، وأن يتغزل فزلق، وإنما أراد قول عمر فقصّر، وما أورد ولا أصدر..)).

ونظر شاعر أندلسي إلى قول علي بن الجهم وعارضه، قال علي بن الجهم:

وعائـب للسـمر مـن جهلـه مُفـضّل للبـيض ذي مَحْـك
قولـوا لـه عـني: أما تستحي ؟ مـن جعـل الكافـورَ كالمِسْك [2]

فعارضه أبو جعفر بن جرج:

وعائـب للبـيض ذي إفـك معـارض الكافـور بالمـسك
دَعْ عـنكَ هذا وانقلبْ خاسئاً مـا الـنورُ مـثلُ الظُلـم الحُلْك [3]

ومما يدفعنا إلى القول بأنها معارضة هو تصريح ابن بسام بذلك: (وسمع الوزير أبو جعفر بن جرج من أهل أفقنا قول ابن الجهم ...فعارضه) [4].

ومن قصائد أبي فراس الحمداني التي عارضها الأندلسيون، قوله:

سـلي عـني سراةَ بني كلاب بـبالسَ عـندَ مُـشتَجرِ العـوالي
لقيـناهُمْ بأسـياف قـصار كفَـينَ مـؤونةَ الأسـل الطـوال
تـدورُ بـه نـساءُ بني قريظ وتـسألُهُ النـساءُ عـن الـرجال [5]

(١) الذخيرة، ق ٢ م ١: ١٦٤ - ١٦٥.
(٢) المصدر نفسه، ق ١ م ١: ١٤٨.
(٣) الذخيرة، ق ٢، م ١: ١٤٨.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) ديوان أبي فراس الحمداني: ٢٢٨، ووردت رواية البيت في الديوان:
تدورُ به إماءٌ من قُرَيْظٍ وتسألُهُ النّساءُ عن الرّجالِ

ونظر عبد الجليل بن وهبون إلى هذه القصيدة فعارضها في المعنى:

فـأين العجْبُ يا أدفونشُ هلاّ	تَجَنَّبْتَ المشيخةَ يا عَلامُ
ستسألُكَ النساءُ ولا رجالٌ	فتُحْبِرُ ما وراءكَ يا عِصامُ [(1)]

لدى الموازنة بين القطعتين نجد اتفاقاً في البحر فكلاهما من الرمل، وفضلاً عن الاتفاق في المعنى، كما أن ابن وهبون استطاع أن يتمثل معاني أبي فراس الحمداني ويصوغها صياغة جديدة.

ومن قصائد الرثاء الجاهلية قصيدة لأبي خراش الهذلي التي قالها في رثاء أخيه عروة وفيها يقول:

لَعَمْري لقد راعَتْ أُميمةَ طلعتي	وإنَّ ثوائي عندها لقليلُ
تقولُ أراهُ بعد عُروةَ لاهياً	وذلك رُزْءٌ لو عَلمتِ جليلُ
ولا تحسَبي أنّي تناسيتُ عهدَه	ولكنَّ صبري يا أُمَيْمَ جميلُ
ألم تعلمي أنْ قدْ تفرّقَ قبلنا	خليلاً صفاءٍ مالكٌ وعقيلُ

وختمها بقوله:

يُقرّبُهُ النَهضُ النجيحُ لما يرى	ومنه بُدوٌّ مرّةً ومثُولُ
فأهوى لها في الجوّ فاختلّ قلبَها	صَيُودٌ لحبّاتِ القلوبِ قتولُ [(2)]

عارضها أبو المطفر البغدادي بقصيدة مدح بها ناصر الدولة (مبشر بن سليمان):

هو طيفُها وطروقُهُ تعليلُ	فمتى يفي لك والوفاء قليلُ
وكأنْ زورتَه تخيّلُ بارقٍ	فتقتْ به النكباءُ وهي بَليلُ
ووراء وصلكُمُ القصيرِ زمانُهُ	هجرٌ كما شاءَ الغيورُ طويلُ
لو دامَ قبلكُم اجتماعٌ لم يذُقْ	ألم التفرّق مالكٌ وعقيلُ

ومنها:

وبلغت القصيدة (٩) أبيات في الديوان.

(١) الذخيرة، ق ٢ م ١: ٢٤٧.

(٢) ديوان الهذليين: ١١٦ – ١٢٣، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وبلغت القصيدة (٢٤) بيتاً، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥ م.

فــرحلتُ والــنفسُ الأبــيةُ حــرةٌ والعــزمُ مــاضٍ والحسامُ صقيلُ
بقــصائد قــست الليالي واكْتَسَتْ مــنها فــرقَّتْ بكــرةً وأصــيلُ
خــضلتْ بدجلــةَ والعراقِ ذيولُها فاهتــزَّ مــن طــربٍ إليها النيلُ
فأقَمْــتُ حــيث العزُّ أبلغُ والندى جَــمٌّ وظِــلُّ المكــرماتِ ظَليلُ

وختمها بقوله:

واهــاً لعــصرِكَ وهو يقطرُ نضرةً ويمــيسُ تحــتَ ظلالــهِ التأمــيلُ
فكأنــهُ وردُ الخــدودِ إذا اكتستْ خجــلاً وكــادَ يُــزيلُها التقبــيلُ
أيــنَ المدى ولقدْ بلغتَ من العُلا رتــباً تَــرُدُّ الطرفَ وهو كليلُ [1]

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في القافية وحركة الروي، إلاّ أنهما مختلفتان في العرض الشعري، فقصيدة أبي حراش الهذلي موضوعها الرثاء في حين قصيدة أبي المطهر البغدادي موضوعها المدح، وقد أُعجب أبو المطهر البغدادي بقصيدة الهذلي فعارضها، ولعل ما يعضد قولنا بمعارضة البغدادي للهذلي، فضلاً عن اتفاق القافية وحركة حرف الروي، وهو تمثل البغدادي لمعاني قصيدة الهذلي؛ فإذا قال الهذلي:

أَلَمْ تعلمي أنْ قد تفرّقَ قبلنا خليلا صفــاءٍ مالــكٌ وعقيلُ

قال أبو المطهر:

لو دامَ قبلكُمُ اجتماعٌ لم يدقْ ألمَ التفــرّقِ مــالكٌ وعقيــلُ

لم تقتصر معارضة الشعراء الأندلسيين للمشارقة على المعارضة في الأعراض الشعرية التي وقفنا عليها فيما تقدم، وإنما لمسنا أن هناك معارضة في منهج الشعراء المشارقة من قبل شعراء الأندلس ووجدناه عند الأعمى التطيلي وابن حديس.

فالأعمى التطيلي وكما أشار عدد من الباحثين [2] أنه استملى طريقة عمر بن أبي ربيعة في الغزل العذري، التي أشبه ما تكون بالشعر القصصي لأنها تعتمد على الحوار بين الشاعر وحبيبته، أو صويحباتها، ويطالعنا الأعمى التطيلي في حوار ممتع مع (أم المجد)،

---

(١) الذخيرة، ق ٣ م ٢: ٦٨٩.

(٢) بلاغة العرب في الأندلس: ١٦٦ – ١٦٧، د. أحمد ضيف، القاهرة ١٩٢٤؛ تاريخ الأدب العربي في الأندلس: ٢٠٣ د. إبراهيم علي أبو الخشب، ط ١، القاهرة ١٩٦٦؛ وينظر: الأدب العربي في الأندلس: ١٧٦ د. عبد العزيز عتيق، ط ٢، بيروت ١٩٧٦.

وهي المرأة التي كانت تتولى تمهيد السبيل بينه وبين محبوبته التي حشي أن تتعالى عليه ولا تلتفت إليه، فيقول في قينة كان يهواها:

يــا قلبُ ذُبْ كَمَداً أو لا فلا تَذُبِ ... مــا مَنْ تُحبُ ولو تحرص بمقترب
ركبـتُ هولَ الهوى من غيرِ تجربةٍ ... وراكــبُ الهولِ محمولٌ على العطب
أيــا لذيــدةُ لا واللهِ مــذ حُجِبت ... عــني فمــاليَ في اللّذاتِ مِنْ أرَبِ
تأمّلَتْنــي أُمُّ المجــد قائلـــةً ... بِمَــنْ أراكَ أســيرَ الوجدِ والطربِ
فقلــتُ: قلــبيَ صــبيٌ وإنّــكَ لو ... كتمتَ سرّي لم أكتُمْكَ كيف سُبي
وأعرضَــتْ ثم قالتْ قد أسأتَ بنا ... ظَــناً أيَجْمُل هذا من ذوي الأدبِ
فقلــتُ إني امــرؤٌ لمــا لقيــتكمُ ... والمــرءُ وقفٌ على الأرزاءِ والنوبِ
سَــبَتْ فــؤادي ذاتُ الخالِ قادرةً ... ولا نــصيبٌ له منها سوى النصبِ

وختمها بقوله:

للهِ مثلــي مــا أدنى ســجيّتَهُ ... مــن المعــالي وأنآهــا عــن الــرِّيَبِ
كَــمْ مأثمٍ مستلذٍ قد هَمَمْتُ به ... فلــم يَــدَعْني لــه ديني ولا حسَبي [1]

ويرى الدكتور إبراهيم علي أبو الخشب في هذا الحوار ((صورة من الخيال الرائع وقصة من الحوار الطلي، ومعنىً من معاني الصبابة العفيفة وشيئاً من الحديث الممتع، ولا ينكره أدب، ولا يأباه ذوق، ولا يعيبه عاقل، وقد جاءت صياغته السهلة وأسلوبه المتدفق، كما تجيء قطرات الندى على أوراق الورد، فتكسبها فتنة المنظر، وعبق الرائحة)) [2].

أما ابن حديــس فإنه يُصرّح في إحدى قصائــده عن تعمده في انتهاج منهج أبي نواس التجديدي في الشعر، والذي دعا إلى رفــض الأساليب التقليدية في مطالع القصائد الجاهلية والذي اندرج مع الزمن إلى بقية العصور الأدبية حتى وصل عصره (العصر العباسي)، فاستنكر أبو نواس سوقفه المعروف والذي يمثله قوله:

قُلْ لِمَنْ يبكي على رسمٍ دَرَسْ ... واقفاً ما ضَرَّ لَوْ كانَ جَلَسْ ؟

---

(١) مجلــة المورد، مج ٦ ع (٢) ١٩٧٧: ٣٠٢ - ٣٠٣ (المستدرك على شعر الأعمى التطيلي) د. محمد مجيد السعيد.

(٢) تاريخ الأدب العربي في الأندلس: ٤٠٢ د. إبراهيم علي أبو الخشب.

وآثر أبو نواس أن يبتدئ بعض قصائده بذكر الخمرة، لتعلقه بها.

أما قصيدة ابن حمديس التي صرّح بها التزامه منهج أبي نواس فهي في مدح المعتمد ابن عباد، ويستفتحها بذكر الخمر فيقول:

حلعتُ على نُسيّات الكروم محاسنَ ما خُلِعْنَ على الرسوم
أخذتُ بمذهب الحكمي فيها وكيفَ أميلُ عن غرض الحكيم
وما فصلُ الطلول على شمولٍ تمجُّ المسكَ في نَفَسِ النسيم
يُجدِّدُ حُبُّها في كلِّ قلبٍ إذا صقَلَتْهُ من صدأ الهموم
وكمْ علَى قديمِ الدّهرِ أصبو إلى اللّذاتِ بالقصرِ القديمِ
تُردُّ إذا طَمِنتْ عليّ كأسي كما رُدَّ اللّسانُ على الفطيم

وختمها بقوله:

فصلّ لربك المعبود وانحر قروما منهم بعد القروم
وعيد بالهدى واعد عليهم عذاب الحرب بالألم الأليم (١)

(١) ديوان ابن حمديس، القصيدة (٢٨٤).

الفصل الرابع: معارضة الأندلسيين

فيما بينهم

تحدثنا في الفصل السابق عن معارضات الأندلسيين لشعراء المشرق في القرنين الخامس والسادس الهجريين، أما المعارضات التي جرت بينهم فهي موضع عنايتنا في هذا الفصل، فقد تجلت في الأندلس بشكل واضح وجلي في القرنين الخامس والسادس الهجريين، حيث نضجت الشخصية الأندلسية وتميزت خصائصها، ولم تعد عالة على نحو ما كانت عليه من قبل، وأنجب هذان القرنان شعراء كثيرين، كابن دراج (ت ٤٢١ هـ)، وابن شهيد (ت ٤٢٦ هـ)، وابن حزم (ت ٤٥٦ هـ)، وابن زيدون (ت ٤٦٣ هـ)، وابن عمّار (ت ٤٧٧ هـ)، وابن الحداد (ت ٤٨٠ هـ)، والمعتمد بن عباد (ت ٤٨٨ هـ)، وابن اللبانة (ت ٥٠٧ هـ)، والأعمى التطيلي (ت ٥٢٥ هـ)، وابن حمديس (ت ٥٢٧ هـ)، وابن الزّقّاق (ت ٥٢٩ هـ)، وابن خفاجة (ت ٥٣٣ هـ)، والرصافي البلنسي (ت ٥٧٢ هـ) وغيرهم كثير.

ومـــن الملاحظ على شعراء القرنين الخامس والسادس الهجريين أنهم نظروا إلى الـــشعراء الـــذين ســـبقوهم والتفتوا إلى أشعارهم، فعارضوها، فضلاً عن معارضتهم لمعاصريهم.

وكـــذلك شـــأن شعراء القرن السادس فإنهم نظروا إلى شعراء القرن الخامس وعـــدوهم أساتيذ لهم، لما امتلكه شعراء هذا القرن من شاعرية فذّة أهلتهم ليكونوا هدفاً للمعارضة الشعرية، وما معارضة شعراء القرن السادس لشعراء القرن الخامس، إلاّ اعتـــراف بـــشاعريتهم وتقدمهم في ميدان الشعر، وقد أضحت دول الأندلس في تعـــددها ونـــشاطها الثقافي أشبه بدول المشرق في القرن الرابع الهجري، فأغنت هذا الفن من فنون الشعر.

وقـــد أطلق الدكتور نوفل تسمية ((المعارضات الداخلية)) [1] على تلك التي جرت بين الأندلسيين، وسنتوقف عندها موضوعاً وفناً على نحو ما تقدم بنا في الفصل السابق.

(١) تاريخ المعارضات: ٧٥.

يتصدر أعراض المعارضات الشعرية التي طرقها الشعراء الأندلسيون فيما بينهم شعر النوريات، ثم يليه الوصف والمدح والغزل والرثاء وأعراض أخرى.

١ - المعارضات في النوريات:

استأثرت النوريات باهتمام الشعراء الأندلسيين، وذلك لما للطبيعة الأندلسية الساحرة من جمال وفتنة، فكلف الشعراء بالأزهار والورود والأقاحي، فاستهلوا قصائدهم بوصف الطبيعة الأندلسية بما فيها النوريات، لذلك وجدنا قصائد معارضة عند عدد من الشعراء عنيت بالنوريات، وعلى الرغم من أن الموضوع هو جزء من موضوع عام عني به الأندلسيون وهو الوصف، فإننا لا نرى بأساً من دراسته منفرداً، وسنعود إلى الموضوع العام فيما بعد.

ويروي لنا أبو الوليد إسماعيل بن عامر الحميري (ت ٤٤٠ هـ) عدداً من المعارضات بدأت بقصيدة صادية لأبي الحسن بن علي الأستجي مدح بها القاضي ابن عباد واستهلها بوصف الطبيعة الأندلسية ثم انتقل إلى غرض المديح فقال:

كأنما الروضُ لما ... وَشَتْ يدُ المُزْنِ أرْضَهْ

بكلِّ حمراءَ صِرفٍ ... وكلِّ بيضاءَ بضّهْ

كواكبٌ في سماءٍ ... من الزبرجد غضّهْ

وختمها مادحاً:

وجْهُ ابنِ عبادِ السّعـ ... ـدِ حينَ تأملَ قَرصهْ

حوى بطولِ يديهِ ... طولَ الثناءِ وعَرْضَهْ (١)

فعارضها أبو الوليد بن عامر الحميري مادحاً ابن عباد في حضرته قائلاً:

انْظُرْ إلى النهرِ واعْجَبْ ... لحُسْنِ مرآهُ وأرضهْ

قدْ حَلَّ بين رياضٍ ... من النواويرِ غَضّهْ

فيها نهارٌ بهيّ ... بدا فزيّنَ أرْضهْ

وختمها مادحاً:

(١) البديع في وصف الربيع: ٤٠ - ٤١، وبلغت القصيدة (١٣) بيتاً.

كما ابنُ عبّادِ الند ... ب قد كسا الصونُ عِرْضهْ
سمْحٌ على المال فَظْ ... دأباً يُجدِّدُ فَضّهْ
لهُ من الجاهِ وحظٌّ ... على التواضعِ عضّهْ (١)

ولما سمع القاضي ابن عباد قصيد أبي الوليد عامر بن حبيب الحميري، أمره باستحضار صاحب الشرطة أبي بكر بن القوطية والأديبين أبي جعفر بن الأبار وأبي بكر بن نصر وأمرهم عنه بمعارضة هذه القصيدة، ولم يتوانيا عن تلبية رغبة القاضي ابن عباد، فصنعوا ذلك في ليلتهم أشعاراً رائعة السمات فائقة الصفات (٢).

فقال أبو بكر بن القوطية معارضاً:

بشاطىء الوادِ نهْرٌ ... كسا الدرانكُ أرْضهْ
خُضْراً وصُفْراً وحُمْراً ... وبعضُها مبيضّهْ
نمارقٍ وزرابٍ ... من النواوير غضّهْ

وختمها مادحاً:

حكى سجايا ابن عبا ... دِ الكريم وعِرْضهْ
قاضٍ على الحقِ ماضٍ ... راضٍ به لو أمَضّهْ
اسمُ ابتداءٍ تعالى ... أن يُحسنَ الدهرُ خَفْضهْ (٣)

وقال أبو جعفر بن الأبار معارضاً:

لا ترضَ للّحْظ غَضّهْ ... والْمَحْ من النَوْرِ غَضّهْ
خدُّ الربيع تبدّى ... فَصِلْ بلحظِكَ عَضّهْ
شقائقُ شَقَّ قلبي ... رواؤُها واقْتَضّهْ

وختمها مادحاً:

كأنما البرقُ فيه ... على احتدائكَ حَضّهْ
كأنما الرعدُ قصفاً ... بكمْ يُهدّدُ وَمْضهْ

(١) المصدر نفسه: ٤١ - ٤٢، وبلغت القصيدة (١٤) بيتاً.
(٢) المصدر نفسه: ٤٢.
(٣) البديع في وصف الربيع: ٤٣، وبلغت القصيدة (١١) بيتاً.

كأنما الريحُ تبغي ... لبعض شأوكَ نهْضةْ

كأنما البحرُ عافٍ ... إليكَ قَدْ شَدَّ غرْضَةْ

ومدَّ بالنهرِ كفاً ... لكي تُعجِّلَ قَرْضَةْ (١)

وقال أبو بكر نصر معارضاً:

أما ترى الأرض خضرا ... ءَ بالأزاهر غَضَّةْ؟

كأنها في مُلاءة ... من الزبرجد مَحْضَةْ

وفوقَ ذلك نَوْرٌ ... يعانقُ البعضُ (٢) بَعْضَةْ

من نرجسٍ ذي جُفُونٍ ... دموعُها مُرْفَضَّةْ

وختمها مادحا:

جاورْ نداهُ تُصادِفْ ... منْ طيِّبِ العيشِ خفْضَةْ

ما أضْمرَ الكُفْرَ إلا ... من باتَ يُضمِرُ بُغْضَةْ

وإنْ عصاهُ مُناوٍ ... فما ينِي أنْ يَفُضَّهْ

ولو تَحَصَّنَ منهُ ... برأس رَضْوى لرَضَّهْ (٣)

ولما علم الوزير الكاتب أبو الأصبغ (ابن عبد العزيز) بهذه المعارضات قال قصيدة في حضرة القاضي ابن عباد معارضاً:

يا مَنْ تأمَّلَ روضاً ... به النواويرُ غضَّةْ

وعاينَ الحُسْنَ منها ... قد زيَّنَ البعضُ بَعْضَةْ

فالأقحوانُ بياضٌ ... كأنَّهُ سِمْطُ فِضَّةْ

وختمها مادحاً:

قاضٍ يكافحُ عنّا ... العدى ويَنْخَزُ غُمْضَةْ

أسْدى وأولى جميلاً ... فاحْملَ اللهُ قَرْضَةْ

---

(١) المصدر نفسه: ٤٣ – ٤٥، وبلغت القصيدة (٢١) بيتاً

(٢) لم يرد في فصيح الكلام تعريف ((بعض)) بـ أل وهو ما وقع فيه الشاعر كما وقع لأبي الأصبغ بن عبد العزيز في النص التالي.

(٣) البديع في وصف الربيع: ٤٥ – ٤٦، وبلغت القصيدة (١٢) بيتاً.

أيامـــه الغُـــرُ مـــاءٌ　　صَـــفا لمَـــنْ رامَ خَوْصـــة
فالعُمْـــرُ فـــيها قـــصيرٌ　　والدّهـــرُ فـــيها كَغمْـــصَة [١]

ويروي لنا ابن حيب أنه: لما أكمل أبو الأصبع إنشاد هذا الشعر أمر القاضي عامراً الحميري والد إسماعيل صاحب كتاب (البديع في فصل الربيع) أن يدوّن له شعراً مما حادت به قريحته بديهة فقال [٢]:

أبْلـــغْ شـــقيقي عنّـــي　　مقالـــةً لتُمـــصّهْ
بـــأنْ وصـــفَ الأقاحـــي　　الـــذي وَصَـــفْتَهُ لم أرْضـــهْ
هـــلاّ وصـــفْتَ الأقاحـــي　　بأكـــؤس مِـــنْ فِـــضّهْ
قِـــيعانُها مُلبِـــساتٌ　　صـــرفَ النُـــضارِ ومحْـــضَهْ
أو لا فـــصُفرُ اليواقـــيـ　　ـــت في حـــواتمِ فـــضّهْ
أو الـــنجومُ تَـــساقطَ　　ن في المَهـــى المُبْيـــضّهْ
أو لاَ فحـــامُ مَهـــاةٍ　　بالخمـــرِ في كـــفٍّ بَـــضّهْ
وقَـــدْ باكـــرتُهُ وأنْقـــتْ　　مِـــنْ فـــضْلها فـــيه بَعْـــضَهْ [٣]

ويروي لنا أبو الوليد إسماعيل بن عامر الحميري معارضة أبي الحسن علي بن أبي غالب بن حصن لهذه الأشعار بقصيدة في مدح أبيه (ابن عامر الحميري) [٤] قال علي بن أبي غالب:

نَـــبّهْ جُفُـــونكَ للْـــرّو　　ض وَاهْجُـــرنْ كـــلَّ غمْـــضَهْ
قَـــدْ نـــبّهَ الطَـــلُ مِـــنهُ　　الجَفْـــنَ الـــذي كـــان غَـــضّهْ

---

(١) المصدر نفسه: ٤٦ - ٤٧، وبلغت القصيدة (١٢) بيتا.

(٢) المصدر نفسه: ٤٧.

وقـــد نسب السيد مقداد رحيم حصر القصيدة خطأً لعامر الحميري والد إسماعيل مؤلف كتاب البـــديع، في ص ٢٢٥ مـــن بحـــثه الموســـوم (تاريخ الموريات في الشعر العربي في المشرق وفي الأنـــدلس) المنـــشور في مجلة آداب المستنصرية ع (١١) ١٩٨٥، والصواب أن عامراً الحميري دوّنها فقط عندما أملاها عليه القاضي ابن عباد، لتحقيق ذلك، ينظر: البديع: ٤٧ - ٤٨.

(٣) البديع في وصف الربيع: ٤٧، وبلغت القصيدة (٨) أبيات.

(٤) المصدر نفسه: ٤٩.

مِنْ سَيْنٍ وردٍ كخدِ الـ ... ـحَبيبِ حاوَلْتُ عَضَّهْ
وسوسنٍ قَدْ حكى لي ... سوالفَ الغيدِ بَضَّهْ
ونرجسٍ مَنَعَ السُّهـ ... ـدُ جفْنه أن يَغُضَّهْ [1]

وختمها مادحاً ابن عامر الحميري:

كأنما ضمنت من ... معتق المسكِ مَخْضَهْ
فأشبهَتْ من طباع ابـ ... ـن عامر النَّدب بَعْضَهْ

نرى أنه قبل الخوض في الموازنة بين قصيدة أبي الحسن بن علي الأستجي – التي كانت محور المعارضة الشعرية في هذه النوريات – وبقية القصائد المعارضة أن نُنَبِّه على وهم وقع فيه الدكتور سعد إسماعيل شلبي في معرض كلامه على الشعراء الذين حضروا مجلس القاضي ابن عباد حينما قال: ((... امتدت المعارضات حتى أسهم ثمانية من الشعراء المجيدين، والقاضي ابن عباد يستمع لهم، ويهتز طرباً، لقد أنشد هذا المجلس ابن القوطية وابن الأبار، وأبو الأصبغ بن عبد العزيز وابن حصن وغيرهم من الشعراء..)) [2].

ولا يمكننا أن نوافق الدكتور شلبي فيما ذهب إليه بشأن حضور ابن حصن لهذا المجلس، فضلاً عن إنشاده قصيدة في مدحه، ونص الحميري صاحب كتاب البديع يوضح الأمر، مما جاء فيه: ((قال أبو الحسن علي بن أبي غالب في المعنى الأول والقافية والعروض موصولاً بمدح أبي ...)) [3]، وليس من المعقول أن تقال قصيدة في مدح شخصية غير شخصية ابن عباد وفي مجلسه، لذلك يكون أمراً بديهياً ومنطقياً أنها قد قيلت خارج مجلس القاضي ابن عباد، وبهذا يكون ابن حصن خارج المجلس وليس داخله، وفضلاً عن ذلك فإن البيت الأخير من القصيدة يصرح باسم ابن عامر والد إسماعيل مؤلف البديع [4].

وبذلك لا نجد ما يشير إلى أنها قيلت في مجلس القاضي ابن عباد، ولعل الذي أوقع

(١) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(٢) البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر – عصر ملوك الطوائف: ٧٤ – ٧٥ د. سعد إسماعيل شلبي، ط ١، مصر ١٩٧٨.
(٣) البديع في وصف الربيع: ٤٩.
(٤) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

الدكتور شلبي في اللبس هو شكل القصيدة وموضوعها فهي صادية كبقية القصائد التي قيلت في مجلس القاضي ابن عباد، وتشترك مع هذه القصائد في الموضوع وهو وصف الطبيعة ثم الانتقال منه إلى المدح.لدى الموازنة بين قصيدة أبي الحسن بن علي الأستجيّ التي كانت محوراً لقصائد سبعة من الشعراء عارضوها بضمنهم القاضي ابن عباد نجد أن أبا الحسن بن علي قد مدح القاضي ابن عباد مستهلاً قصيدته بوصف الطبيعة الأندلسية ثم انتقل إلى مدحه، وتتفق بقية القصائد مع قصيدته في الوزن والقافية وحركة الروي ويختلف معه القاضي ابن عباد، لأن قصيدته وإن كان موضوعها الطبيعة الأندلسية إلاّ أنها لم تكن في مدح أحد، بل كانت عبارة عن لمحات نقدية أبداها القاضي ابن عباد في قصيدة أبي الأصبغ بن عبد العزيز، وكذلك اختلفت قصيدة ابن حصن عن بقية القصائد التي قيلت في القاضي ابن عباد فجميع القصائد كما نوّهنا آنفاً كانت في مدح القاضي ابن عباد باستثناء قصيدة ابن حصن فهي في مدح ابن عامر الحميري.

كما أن ثلاثة من الشعراء وهم: (أبو بكر بن القوطيّة، أبو جعفر بن الأبار، وأبو بكر بن نصر) لم تأتِ معارضاتهم بدافع ذاتي، بل جاءت تلبيةً لأمر القاضي ابن عباد، أما الشعراء الآخرون فقد عارضوا أبيات أبي الحسن بن علي فكانت الاستجابة للمجلس داعياً للمشاركة.

ولو أمعنا النظر في هذه القصائد لوجدنا أبا الحسن بن علي قد أتى على الطبيعة الأندلسية وصوّرها تصوير الحاذق العارف، فدلت تشبيهاته على إحساس مرهف، لا سيّما حين شبّه الروض بالمرأة الجميلة، والكواكب بالزبرجد، وطل الأقاحي بالمدامع أو باللؤلؤ، والورد بصدر المحبوبة التي ترك فيها العاشق الهيمان عضّاته، وشبّه النهر بالسيف الصقيل وغدران المياه والمروج بأكؤس الفضة، ثم انتقل انتقالاً مستحسناً إلى مدح القاضي ابن عباد الذي خلع عليه صفة الكرم.

أما قصيدة أبي الوليد الحميري فجميع تشبيهاتها حسنة مستساغة تنم عن شاعرية فذة وخيال شعري واسع عند الشاعر، فهو يشبّه النهار بالذهب الذي تزدان به الفتاة، ويشبّه النرجس بلون الحبيب المفارق الذي يخالطه الشحوب والاصفرار، والأقحوان بلونه الأبيض والأصفر شبهه بالأسنان البيضاء اللامعة والتي تجاورها أسنان أُخَر مزدانة بالذهب، وشبّه ورود الباقلاء الخال على خد المرأة الحسناء الذي يزيدها جمالاً وفتنةً، وشبّه معانقة النهر بالسماء وقد كسا جنبي النهر بالأزاهر والرياحين، ثم تخلص تخلصاً

حسناً إلى مديح القاضي ابن عباد، وشبّه بينه وبين النهر، فكما أن النهر يكسو الضفتين بالورود فإن ابن عباد يصون الأعراض ويخلع عليه صفة الكرم والوجاهة، وبذلك يكون أبو الوليد الحميري قد وقف على معاني أبي الحسن بن علي وصاغها بأثواب جديدة، فأجاد ما أراد.

أما ابن القوطية فإن تشبيهاته حسنةٌ، وتنُمُّ عن شاعرية أيضاً فشبه الوردَ بوجه الفتاة الخجيلة، وهو يقف على معاني أبي الحسن بن علي، فإذا قال أبو الحسن بن علي:

كأنما الوردُ صَدرٌ أبقى به اللثمُ عَضّهْ

قال ابن القوطية:

كما الْبَنَفْسَجُ خَــدٌ أبقى به الْحَشْمُ عَضّهْ

ثم يشبه ابن القوطية الياسمين بالنجوم، ويصف الروض البديع وإن هذا الروض لجماله إذا نظر إليه إنسان فلا تستطيع عيناه مغادرته لافتتانه به وهنا ينتقل ابن القوطية من وصف الطبيعة انتقالاً حسناً فيمدح القاضي ابن عباد ويعقد موازنة بين هذا الروض البديع الرائع وسجايا ابن عباد القاضي العادل، وقد علّق أبو الوليد الحميري على مدح ابن القوطية للقاضي ابن عبـــــاد بقوله: ((أراد أنه رفيع القـــــدر لم تقـــــدر على خفضه نـــوب الدهر وهو معنى كالسحر)) [1].

أما قصيدة أبي جعفر بن الأبار فإنها أتت بنفس أطول من بقية القصائد، والملاحظ على تشبيهات ابن الأبار أنها جميلة أيضاً فهو يشبه الأرض بالسيّدة المتروحة ويشبّه الأقحوان بالنجوم ويشبه الأمطار بالجيش، ثم يدخل دخولاً مستحسناً في مدح القاضي ابن عباد.

أما قصيدة أبي بكر بن نصر فقد كان فيها مصوِّراً بارعاً للطبيعة، ولكنَّه وقَفَ أيضاً على معاني أبي الحسن بن علي فإذا قال أبو الحسن بن علي:

كواكبٌ في سماءٍ مَنَ الزبرجَد مَحْضَهْ

قال أبو بكر بن نصر:

كأنّها في مُـــــلاةٍ من الزبرجد محْضَهْ

وإذا قال أبو الحسن بن علي:

---

(١) البديع في وصف الربيع: ٤٣.

كأنّ طـــلّ الاقاحي مدامــــعٌ مُرْفَضَّـــةْ

قال أبو بكر بن نصر:

من نرجسٍ ذي جفونٍ دموعُهــــا مُرْفَضّــــةْ

أما الوزير الكاتب أبو الأصبغ (ابن عبد العزيز) فلم يكن موفقاً في بعض تشبيهاته ولا سيما قوله:

فالأقحوانُ بيــاضٌ كأنه سمطُ فضّـــةْ

لذلك انتقده القاضي ابن عباد على هذا التشبيه وقال:

أبْلِـــــغْ شــــقيقي عــــني مقالـــــةً لتُمـــــــضّهْ

بـــأنّ وصـــفَ الأقاحـــي الـــذي وصـــفْتَه لم أرْضَـــهْ

فلا يرضى القاضي ابن عباد لابن عبد العزيز تشبيه الأقحوان الأصفر، بالفضة البيضاء، لأنّ ذلك مخالف لواقع الحال.

وابن عبد العزيز عندما وصف الأقحوان فإنه اقتصر في وصفه على البياض، ولم يصف الصفرة، بينما نجد القاضي ابن عباد قد جمع بين الصفرة والبياض ((تشبيهات كلها مستولٍ على غاية الكمال، مستوفٍ نهاية الجمال، ولو وقع تشبيه من تلك التشبيهات لموسوم بهذه الصناعة متحد لها كالبضاعة بعد إعمال فكره فيه وإشغال ذهنه به لكان مستدراً مستغرباً فكيف باجتماعها على حسنها وانطباعها له.. بديهة مع كثرة اشتغاله بالعرائض عن هذه النوافل ...)) [1].

أما قصيدة ابن حصن وإن كنّا قد استبعدنا قائلها من أن يكون حاضراً مجلس القاضي ابن عباد، فإننا لا نستطيع أن ننكر معارضته لأبي الحسن بن علي الأستجيّ، فقد أتى ابن حصن على معاني قصيدته وصاغها بأثواب جديدة، فشبّه الورد بخد الحبيب والسوسن بالفتيات الجميلات وشبّه النرجس بلون العاشق المُنْهَكْ، وهو كذلك ينتقل انتقالاً حسناً إلى مدح القاضي ابن عباد.

فيما تقدم وقفنا على قصائد نوريات جاءت المعارضة فيها تامة، ولا شك أن للمعارضة في هذا المجلس، دلالة عميقة على مدى تشبث الأندلسيين بوصف الطبيعة.

ولأبي بكر بن نصر قصيدة عارض بها ابن دراج القسطلي، في قصيدته في مدح

(١) البديع في وصف الربيع: ٤٨.

المظفر عبد الملك والتي وصف بها النهار فقال:

دُعِيتْ فاصغِ لداعي الطَّرَبْ وطابَ لَكَ الدَّهرُ فاشرَبْ وطِبْ
وهذا بشيرُ الربيع الجديد يُبَشِّرُنا أنَّه قَدْ قَرُبْ
بهارٌ يروقُ بِمِسْكٍ ذكيّ وصُنْعِ بديعٍ وخَلْقٍ عَجَبْ
غصونُ الزبرجَد قد أورَقَتْ لنا فِضَّةً نَوَّرَتْ بالذهبْ
إذا جُمِعَتْ في حبال الحرير وقامت أمامَكَ مثلَ اللُّعَبْ
فمن حقِّها أنْ ترى الشاربينَ وَقَدْ فقئت سُوقُهُمْ بالنُّخَبْ
وأنْ تسألوا الله طولَ البقاء لعَبد المليكِ مليكِ العَرَبْ
فلولا محاسنُهُ لم تَرُقْ ولولا شمائلُهُ لم تَطِبْ [1]

فقال أبو بكر بن نصر في وصف أكثر نواوير الربيع في قصيدة بديعة حسنة التشبيهات غريبة الصفات مدح بها عامراً الحميري والد مؤلف البديع معارضاً في بعض أبياتها أبيات ابن دراج في وصف النهار والزبرجد يقول فيها:

أَسُلالةَ مَنْ عامرٍ سَلْني عن الـ أنوارِ تَحْصِلْ عندَكَ الأنوارُ
للهِ نيسانٌ ففيهِ تَمَّ ما قَدْ كانَ قبلُ بدا بهِ آذارُ
أما البقاعُ فإنَّها جادَتْ لنا بشموسِ نَوْرٍ بينَها أقمارُ
كالأقحوانِ بديهةً فاسْمَعْ لَهُ في الوصفِ ما فيهِ اللبيبُ يُحارُ

ومنها يقول:

وشقائقُ النُّعمانِ قُمْصُ أشبعَتْ في حُمْرةٍ فَلَها بذا إيثارُ
وكأنَّها وسطَ البقاعِ وقدْ عَلَتْ قضبانُ آسٍ في ذراها نارُ
وإذا تأملتَ البَهارَ تأمُّلاً أيقنْتَ أنَّ المسكَ منهُ مُعارُ
قضْبُ الزُّمُرُّدِ مورقاتٌ فضَّةً ولها النُّضارُ مُخلَّصاً نُوَّارُ

وختمها مادحاً:

وتحيةٌ بينَ النُّدّامِ تُحَثُّ لي تُحَبُّ الكؤوسِ وتنطِقُ الأوتارُ
وأقلُّ جودِ العامريّ مُحَمّدٍ ألْمٌ حَكَتْ حَدَقي وتلكَ نُضارُ

(١) ديوان ابن دراج، القصيدة (١٦)؛ البديع في وصف الربيع: ٥١، ١٠٠.

عَـشْرٌ تُعَـدُّ مـن المـنىٰ لأملي ... عَـشْرٌ يُـصَرِّفُها وهُـنَّ بِحـارُ[1]

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقهما في وصف النوريات والخلاص منه إلى المدح، فابن دراج القسطلي مدح المظفر عبد الملك وأبو بكر بن نصر مدح عامراً الحميري (ت ٤٤٠ هـ) واقتصر ابن دراج على وصف البهار، في حين وصف أبو بكر بن نصر نواوير كثيرة منها: الأقحوان، والنّعمان، والبهار، والنّرجس، والخيري، والسَوْسَن، والوَرْد.

إلاّ أنّ ما يدفعنا إلى القول بمعارضة أبي بكر بن نصر لابن دراج القسطلي في المعنى هو وقوف أبي بكر بن نصر على بعض معاني ابن دراج وصياغتها بأثواب جديدة.

فإذا قال ابن دراج:

بَهارٌ يروقُ بمسكٍ ذكيٍ ... وصنعٍ بديعٍ وخلقٍ عَجَبْ

قال أبو بكر بن نصر:

وإذا تأملتَ البهارَ تأمُّلاً ... أيقَنْتَ أنّ المسكَ منه مُعَارٌ

وإذا قال ابن دراج:

غصونُ الزبرجدِ قَدْ أوْقَتْ ... لنا فِضَّةً نَوَّرَتْ بالذَهَبْ

قال أبو بكر بن نصر:

قَضْبُ الزُمرُّدِ مورقاتٌ فِضّةً ... ولَها النّضارُ مخلّصاً نُوّارُ

لذلك نستبعد أن تأتي مثل هذه المعاني في قصيدة أبي بكر بن نصر مشابهة لمعاني ابن دراج القسطلي من باب المصادفة، وإنما الراجح أن يكون الشاعر مُطّلعاً على قصيدة ابن دراج معارضاً لها.

٢ – المعارضات في الوصف:

إنّ المعارضات في الوصف بين الأندلسيين هي امتداد لهذا الفن الذي بدأ بمعارضة قصائد الوصف عند المشارقة، وكما قدمنا عندما نضجت الشخصية الأندلسية، استقلت القصيدة الأندلسية وطبعت بالطابع الأندلسي، فظهرت معارضات الوصف فيما بينهم.

ومما أُنشدَ في حضرة المعتلي بالله يحيى بن علي بن حمود قول ابن قاضي ميلة يصف مركباً للروم أوقع به المسلمون وعرّقوه وذكر قتل العلج:

(١) البديع في وصف الربيع: ٥٠ – ٥١، ١٠٠.

إذا طفــا أنــصرّ الصمصام يَرْقُبُه ... أو عــاصَ في الماء من خوف الرّدى شرقا
وأيُّ عــيش لموقوف على تَلَف ... يــراقِبُ الميتــتين: الــسيفَ والغَرَقا [1]

فعارضها ابن شهيد الأندلسي مادحاً المعتلي بالله يحيى بن علي وواصفاً وقعة المعتلي على السودان بإشبيلية:

غَنَاكَ سَعْدُكَ في ظلِّ الظُّبا وَسَقَى ... ((فاشْرَبْ هنيئاً عليكَ التاجُ مُرْتَفِقا))

ومنهــــا:

ســقْياً لأُسْد تساقى الموتَ أَنْفُسُها ... وتُلْــبِسُ الــصَّبْرَ في يوم الوغى حلقا
قامَــتْ بنَــصْرِكَ لَمَّا قامَ مُرْتَجِلاً ... خَطــيْبُ جُــوْدِكَ فــيْهَا يَنْشُــرُ الوَرَقَا
سَــرَيْتَ تُقدِمُ حيثُ النَّصْرِ مُتَّحِداً ... سُــبُلَ المجــرة في إثْــرِ العُــلا طُــرُقا
أَحْــرَيْتَ للزِّنج فوق النّهرِ نهر دَمٍ ... حــتى اســتحالَ ســماءً جُلِّلَتْ شَفَقا
وَســاعد الفَلَــكُ الأعلــى بقتلهمُ ... حتّــى غــدا الفلــكُ بالنّاجي به غرقا

وختمها بقوله:

إذا وبي تعَــسرَ الخَطْــبيُّ تُعَــرِّتُهُ ... أوْ عــاذَ بالنهــر مسلوبَ القُوَى غَرِقا
وأيُّ نَهْــرٍ يرجّــي العبــر عابــرُه ... وســفْنُهُ طافــياتٌ غــوْدِرَتْ فِلَقــا

لدى الموازنة بين بيتي ابن قاضي ميلة وقصيدة ابن شهيد نجد المعارضة تامة الأركان، إلاّ أننا لا نستطيع إقامة موازنة منصفة لأن المصادر لم تمدنا إلاّ ببيتين اثنين لابن قاضي ميلة في وصف المركب، في حين نجد اثني عشر بيتاً لابن شُهيد الأندلسي مدح بها يحيى بن المعتلي، إنّا نلاحظ أخْذَ ابن شهيد لمعاني ابن قاضي ميلة في بيتيه وصياغتها بأثواب جديدة، فنظر ابن شهيد إلى بيتي ابن قاضي ميلة السابقين [2]، ففي أبياته السادس والسابع والثامن إشارة إلى منية البحر.

ومما قاله أبو محمد بن صارة في وصف زورق في نهر إشبيلية:

تأمَّــلْ حالَنــا والجــوُّ طَلْــقٍ ... محــيّاهُ وقــد طَفَــلَ المــساءُ
وقــد حالَت بنا عذراءُ حُبْلَى ... تُجَــاذِبُ مِــرْطَهَا ريــحٌ رُخَــاءُ

---

(١) الذخيرة، ق ١ م ١: ٣١٢ - ٣١٣.

(٢) ديوان ابن شهيد الأندلسي، القصيدة (٤٤).

بِنَهْـرٍ كالـمستحلِ كوثريٍّ ... تُعَبِّسُ وَجْهَهَا فيه السَّماءُ [1]

واتفق أنْ وقف أبو إسحاق بن خفاجة على القطعة، فاستطرفها واستطابها، فقال يعارضها على وزنها ورويّها وطريقتها:

ألا يا حَبَّذا ضَحِكُ الحُمَيَّا ... بحانتها وَقَدْ عَبَسَ المساءُ

وأدْهَمُ مِنْ جِيادِ الماءِ نَهْدٌ ... تُنازِعُ جُلَّهُ رِيحٌ رُخَاءُ

إذا بَدتِ الكَواكِبُ فيه غَرْقَى ... رأيتَ الأرضَ تحسُدُها السّماءُ [2]

لدى الموازنة بين القطعتين نجد بينهما معارضة تامة الأركان وابن صارة يصف الزورق وهو في النهر قبيل الغروب، ويشبهه بصفتين هما عذراء وحبلى، لأن القوم كانوا في الزورق، فقد شبّه بحبلى تداعب ذوائبها الريح ويشبه عذوبة ماء النهر بماء الكوثر العذب، وقد تلاطمت فيه الأمواج.

أما ابن خفاجة فيتمنى على صاحبه ذي النفس العزيزة الأبية أن يتنزه في داخل هذا الزورق وقت الغروب، ويشبه الزورق بالفرس لأن الأدهم هي إحدى صفات الخيل، فكأن هذا الزورق فرس يمتطيه فارس، وينتقل ابن خفاجة إلى تصوير النهر بعد غياب الشمس وظهور النجوم في السماء التي سيجدها المتنزهون في صفحة النهر، فتبدو صورة النجوم في صفحة النهر أروع مما هي عليه في السماء، فكأن السماء تحسد صفحة النهر التي هي في الأرض، ولا سيما وهي بهذه الصورة الرائعة، وقد أبدع ابن خفاجة أيّما إبداع حين شبّه القارب بالأدهم وشراع القارب بحبل الفرس الذي نازعته ريح رخاء، ولم يقصد الغرابة في الصورة على نحو ما نجد عند ابن صارة.

ولأبي الوليد يونس القسطليّ قصيدة مدح بها الوزير أبا الحسن خالد بن حسون واصفاً بناءه لمنزل أزرق وهي رياض بالجزيرة الخضراء:

بَنَيتَ بسُدّة القَصْرَيْنِ دارا ... فَـدَعْ غُمْدانَ أو إيوانَ دارا

بطَـودٍ مُـشْرِفِ الجَنَباتِ عالٍ ... كـأنَّ علـى الـنُجوم لـهُ مَـدارا

وقـد غَرَسَـتْ أياديـكَ المَعالي ... حَفافَـيْهِ وأعْـنُدُكَ الـثِّمارا

---

(١) ابن صارة الأندلسي حياته وشعره: ٤٤، تح: مصطفى عوض الكريم، ط مصر، الخرطوم ١٩٥٨م.

(٢) ديوان ابن خفاجة، القصيدة (٣٠٦).

وقال مادحاً:

فَمَنْ يكُ سائلاً عنّي فإني   نَزلتُ بأكرمِ الثقلينِ جارا
أبي الحَسنِ بْنِ حَسُّونَ الذي لا   يُجارى في السَّماحِ ولا يُبارى

وختمها بقوله:

وفوقَ الدَّوحةِ الغَنَّا غَديرٌ   تَلألأَ صَفْحَةً وصَفا قَرارا
إذا ما الصبّ أَزْرَقَ مُسْتَقِيماً   تَدَوَّمَ في البُحيرةِ واستدارا
يُجرِّدهُ فَمُ الأُنْبُوبِ صَلْتاً   حُساماً ثُمَّ يَفْتِلُهُ سِوارا [1]

وعارضه أبو بحر صفوان التجيبي مادحاً الوزير أبا عمر بن أحمد ابن الوزير أبي الحسن خالد بن حسون وواصفاً المنزل:

ومُدَّ خُيِّمْتَ بالخَضْراء دارا   وَزَنْتُ بِشِسْعِ نَعْلي تاجَ دارا
تَوهَّمتُ السماءَ بها مَحَلّي   لأني لِلنُّجومِ أَقمْتُ جارا

ومنها:

وما قالوا لها الخضراءَ إلاّ   لأنْ كانتْ لأنجُمِهِمْ مَدارا
ومنزِلُنا بأزرقَ كوثريٍّ   بمنزِلِ أزرقٍ ما إنْ يُجارى
وَطَوْدٍ لو تُزاحِمُ منكِباهُ   بِطامِ النَّجْمِ لانْتَشَرَ انتشارا

وختمها:

أبو عَمْرِو بنِ حَسّونَ الذي لا   تَشُقُّ النَّيِّرانِ لَهُ غُبارا
فَتىً في السِّنِ كَهْلٌ في المَعالي   صَغيرٌ زَيَّفَ الناسَ الكِبارا
ولا عَجَبٌ بِسُؤدَدِهِ صَغيراً   فإنَّ الخَيلَ الجُبتِ المِهارا
وإنَّ السَّهْمَ وهوَ أدَقُّ شيءٍ   يُفوتُ الرُّمْحَ سَبْقاً وابتِدارا [2]

من الموازنة بين القصيدتين نجد أن أبا الوليد القسطلي يبدأ قصيدته بالمدح ويخلع على ممدوحه صفات الكرم، ثم ينتقل إلى وصف المنزل الذي بناه الوزير أبو الحسن

(١) زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، لأبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي: ٥٩ - ٦٠، أعده وعلّق عليه: عبد القادر محداد، بيروت ١٩٨٠.
(٢) زاد المسافر: ٦٠ - ٦١.

خالد بن حسون، أي أنها على محورين فقط المدح والوصف وبلغت أحد عشر بيتاً.

أما قصيدة أبي بحر بن صفوان فجاءت بنفس أطول وبلغت ثلاثاً وعشرين بيتاً وهي على ثلاثة محاور، الأول: توجه فيه الشاعر بالمدح العام إلى الأخوان الذين رعوه وقصد بهم الوزير وحاشيته، أما المحور الثاني: فوصف به المنزل الأزرق وبيّن صفاته ومحاسنه، أما المحور الثالث: وهو الذي ختم به القصيدة فكان مدحاً خاصاً للوزير أبي عمرو بن أحمد بن حسون، وجاءت قصيدة أبي بحر صفوان بمعاني قصيدة يونس القسطلي نفسها، فلم يدع صفوان فيها، فإذا قال يونس القسطلي:

بطودٍ مُشرف الجنبات عالٍ ... كأنَّ على النُّجــومِ له مَدارا

قال صفوان:

وطود لو تُزاحــمُ منكبــاه ... نظامَ النجْم لانتشَر انتشارا

وإذا قال يونس القسطلي:

أبي الحسنِ بنِ حسونَ الذَي لا ... يُجارى في السَّماحِ ولا يُبــارى

قال صفوان:

أبو عمرو بنِ حسونَ الذّي لا ... تَشُقَ النيران لــه عبارا

ولابن خفاجة قصيدة في وصف فرس أشهب محلّى:

رب طــرفٍ كالطــرفِ سرعةَ عَدْوٍ ... لـيسَ يـسري سُــرَاهُ طيفُ الخَيالِ

إنْ سَــرى في الدُّجى فبَعْضُ الدَّراري ... أوْ سَــعى في الفــلا فإحدى السَّعَالي

لــستُ أدري إنْ قِــيْدَ لــيلةَ أَسْري ... أوْ تَمطَّيـــتهُ غَـــداةَ قِـــتالِ

أجَــنوبٌ تقــتادُ لي مِــن جَنــيبٍ ... أمْ شِــمالٌ عِــنانُها بِــشمالي

حــالَ في أنجُــمٍ مِــنَ الحَلْــى بِيضٍ ... وَقَمــيصٍ مِــنَ الــصَّباحِ مُــذَالِ

أشــهبُ اللَّــون أثقَلَــتْهُ حُلــى ... حــبَّ فِــيهنّ وهــو مُلقــى الجلالِ

فــبَدا الــصُّبْحُ مُلْجمــاً بالثُّــريا ... وجَــرى البَــرْقُ مُــسْرَجاً بالهلالِ

ولأبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني الملقب بالحكيم ((ت ٥٢٩ هـ) أبيات في وصف فرس أيضاً يقول فيها:

وأشــهب كالــشّهابِ أضــحى ... يلــــوحُ في مــــذهبِ الجــــلالِ

قـــال حـــسودي وقـــدْ رآهُ ... يَخـــبُ حلقـــي إلى القـــتالِ

مَنْ أَلْجَمَ الصُّبْحَ بالثُّريا   وأسرجَ البرقَ بالهلالِ [١]

ولأبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني الملقب بالحكيم (- ٥٢٩ هـ) أبيات في وصف فرس أيضاً يقول فيها:

وأشهبٍ كالشّهاب أضحى   يلوحُ في مذهبِ الجلال

قال حسودي وقد رآهُ   يَجبُ خلفي إلى القتالِ

مَنْ أَلْجَمَ الصُّبحَ بالثُّريا   وأسرَجَ البرقَ بالهلالِ [٢]

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الروي، وبما أن الشاعرين مترامنان [٣]، ولعدم وجود دليل يثبت أيهما أسبق في وصف الفرس لذلك يصعب تعيين أيهما عارض الآخر، فلا ندري أيكونُ ابن خفاجة في هذه القطعة معارِضاً أم معارَضاً، لكن روح المعارضة الشعرية موجودة، ولا سيما الصورة الشعرية الواردة في البيت الأخير من قطعة أبي الصلت أمية بن عبد العزيز حيث تقترب كثيراً من الصور الشعرية التي أوردها ابن خفاجة في قصيدته السابقة [٤].

ومما قال أبو الحسن جعفر ابن الحاج الميورقي في وصف ثقيل:

لي صاحبٌ عميتْ علي شؤونُه   حركاتُهُ مجهولةٌ وسكونُه

يرتابُ بالأمرِ الجليّ توهما   فإذا تيقَّن نازَعتهُ ظُنونُه

إني لأهواهُ على شَرَقي به   كالشيبِ تكرهُهُ وأنتَ تصونُه [٥]

فعارضه أبو الصلت أمين بن عبد العزيز في وصف الثقيل قائلاً:

لي جليسٌ عجبْتُ كيفَ استطاعتْ   هذه الأرض والجبالُ تُقِلُّهْ

أنا أرعاهُ مُكْرماً وبقلبي   منهُ ما يُتلفُ الحياةَ أقلُّهْ

(١) ديوان ابن خفاجة، القصيدة (٩٥م): ٣٦٠.

(٢) ديوان الحكيم أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني: ١٣٣، جمع وتحقيق: محمد المرزوقي، القطعة رقم (٥٤٠).

(٣) ابن خفاجة (٤٥١ - ٥٢٣ هـ)، ينظر: ديوانه: ٥. الحكيم أبو الصلت أمية بن عبد العزيز (٤٦٠ - ٥٢٩ هـ)، وينظر: ديوانه.

(٤) وصف الحيوان في الشعر الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين: ٢٩٣، د. حازم عبد الله خضر، بغداد ١٩٨٧.

(٥) نفح الطيب: ٢ / ٣١٠.

فهـو مـثلُ المـتيب أكـرهُ مرآ ... هُ ولكـنْ أصـونهُ وأجلُـهْ [١]

لدى الموازنة بين المقطعتين نجد اتفاق الشاعرين في الوصف، فقد وقف الشاعر أبو الصلت على معاني أبي الحسن جعفر الميورقي وصاغها صياغة تقليدية وبذلك خلت مقطعته من عنصر الإبداع، لأن التقليد واضح فيها، وأبو الصلت في قصيدته يضيق ذرعاً من صاحبه، إلاّ أن مثل هذا الشعور لم نجده في مقطعة أبي الحسن الميورقي وقصر وصفه على جهله بصاحبه، وأكد الشاعران احترامهما لصاحبهما رغم ثقله وشبهاه بالشيب الذي يصان رغم كره صاحبه له.

ولابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ هـ) بيتان في وصف الرهبة من البحر صادفا هوىً عند بعض الشعراء الأندلسيين فأقبلوا على معارضتهما يقول فيهما:

البحـرُ صـعبُ المـذاق مـرّ ... لا رَجعـتْ حـاجتي إلـيهِ
ألـيس مـاءً ونحـنُ طـينٌ ... فمـا عـسى صـبرُنا علـيه [٢]

فعارضهما ابن حمديس قائلاً:

لا أركـبُ البحـرَ خـوفاً ... علـيّ مـنهُ المعاطـبُ
طـينٌ أنـا وهـو مـاءٌ ... والطـينُ في المـاءِ ذائـبْ [٣]

وقال أبو الفضل جعفر بن المقترح:

إنّ ابـنَ آدم طـينٌ ... فالبحـرُ مـاءٌ يُذيبـهْ
لـولا الـذي فـيه يُتلـى ... مـا جـاز عـندي ركـوبهْ [٤]

وعارضه ابن حمديس:

وأحـضر لـولا آيـةٌ مـا ركبتُه ... ولله تـصريفُ القـضاء كمـا شـاء
أقـولُ حـذاراً من ركوبِ عبابهِ ... أيـا ربّ إنّ الطـينَ قد ركب الماءَ [٥]

(١) ديوان الحكيم أبي الصلت: ١٣٢، المقطعة (٥٣٤).
(٢) ديوان ابن حمديس: ٥٣٣.
(٣) ديوان ابن حمديس: ٥٣٣ - ٥٣٤.
(٤) ديوان ابن حمديس: ٥٣٤، ويشير الشاعر إلى الآية الكريمة: ﴿وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ سورة هود، الآية: ٤١.
(٥) ديوان ابن حمديس: ٥٣٤.

لدى الموازنة بين المقطوعات الشعرية الأربع نجد أن مقطوعة ابن رشيق القيرواني هي المحور الذي بنيت عليه المقطوعات الشعرية الأخرى، وأكد ابن رشيق الرهبة من البحر لصعوبة ركوبه، ولا سيما أن الإنسان ضعيف، وقد برّر الشاعر رهبته من البحر لأنه مخلوق من الطين وهي كناية عن ضعف الإنسان [(١)]، وجاء ابن حمديس وأبو الفضل بن المقترح ليؤكدا هذه الرهبة من البحر، بل ذهب ابن المقترح أنه لولا أن الله قد أجاز للمسلمين ركوب البحر وذلك في كتابه الكريم لحرمه على نفسه.

٣ – المعارضات في المديح:

ان الأندلس عاشت حالة فريدة في القرن الخامس فكان أكثر ملوكها من الشعراء، لذلك فقد انتظم الشعراء في مجالس الملوك يقولون القصائد في مدح أولي نعمتهم ويتعارضون في مدائحهم، ومن هنا كان بلاط الملوك البيئة الملائمة لازدهار معارضات المديح.

ومن قصائد المديح التي عارضها الأندلسيون فيما بينهم قصيدة ابن دراج في خيران العامري التي يقول فيها:

لــكَ الخَــيرُ قد أوفى بعهدكَ خيرانُ ... وبُــشراكَ، قــد آواكَ عــزٌ وسلطانُ
هو النُّجْحُ لا يُدعى إلى الصبح شاهدٌ ... هو الفوزُ لا يُبغى على الشَّمس برهانُ
إلَــيكَ شَــحنَّا الفُلْــكَ تهوي كأنَّها ... وقد ذُعِرَتْ عن مغربِ الشمس غربانُ

ومنها يقول:

كَــتائبُ بَلْ كُتْبٌ بنصرِكَ سُطِّرَتْ ... ووجهُــكَ (باسم الله) والسيفُ عنوانُ
هــو السيفُ لا يرتابُ أنَّكَ سيفُه ... إذا نــازلَ الأقــرانَ في الحــربِ أقرانُ

وختمها:

وقــد زادَ أبــناءُ الــسبيلِ وسيلةً ... وحلّــوا فــزاد أنَّهُــم لــك ضِــيفانُ
فمــا قَصَّرت بي عن علاكَ شفاعةٌ ... ولا بَــكَ عنّ مثلي جزاءٌ وإحسانُ [(٢)]

(١) ينظــر: البحــر في شــعر الأندلس والمغرب في عصر الطوائف المرابطين: ٢٠، بحث د. منجد مــصطفى بهجــت، المنشور في حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية السابعة، الرسالة الأربعين ١٤٠٦ هــ – ١٩٨٦ م.

(٢) ديوان ابن دراج، القصيدة (٣٣)، وبلغت (٨٠) بيتاً.

فعارضته العسانية البحانية وهي من شواعر القرن الخامس الهجري بقصيدة مدحت بها حيران العامري أيضاً، تقول فيها:

اتجـــزعُ إنْ قالـــوا ستظعنُ أظعانُ	وكـــيف تطـــيقُ الصبرَ ويحكَ إنْ بانوا
ومـــا هـــو إلاّ الموتُ عند رحيلهِمْ	وإلاّ فعـــيْشٌ تُجتـــنى مـــنه أحـــزانُ
عهـــدتُهُم والعيشُ في ظلِّ وصلِهِم	أنـــيقٌ وروضُ الدهـــرِ أزهـــرُ ريـــانُ
لـــيالي ســـعدٍ لا يخافُ على الهوى	عتابٌ ولا يخشى على الوصلِ هجرانُ
ويـــسطو بـــنا لهـــو فنعتـــق المُنى	كمـــا اعتـــنقتْ في سطوةِ الريحِ أفنانُ
ألا ليتَ شعري والفراقُ يكون هلْ	تكونـــونَ لي بعـــدَ الفراقِ كما كانوا

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الروي، والموضوع، وجاءت قصيدة ابن دراج بنفس طويل جداً، حيث بلغت ثمانين بيتاً وهي مطولة من مطولاته، أما قصيدة العسانية البحانية كما أوردها الحميدي في الجذوة فقد بلغت ثمانية أبيات [(١)].

إنّ هذا النفس الشعري الطويل ينم عن شاعرية فذة يبتدؤها بالدعاء للممدوح ويصف رحلته إليه عن طريق البحر وينتقل إلى المديح.

أما العسانية البحانية فإنها لم تستطع بلوغ شأوِ ابن دراج في قصيدته لكثرة ما أتى به من صور شعرية رائعة قصّرت عن اللحاق بها.

ولابن هانئ الأندلسي قصيدة في مدح جعفر بن علي يقول فيها:

أليلتَـــنا إذْ أرســـلتْ وارداً وَحْفَـــا	وبتْـــنا نـــرى الجوزاءَ في أُذنِها شَنْفا
وبـــاتَ لـــنا ساقٍ يقومُ على الدجى	بـــشمعةِ نجْـــمٍ لا تُقَـــطُّ ولا تُطْفى
أغـــنُّ غـــضيضٌ خفّـــفَ اللّينُ قدَّهُ	وثقّلَـــت الـــصهباءُ أجفانـــه الوُطْفا

ومنها يقول:

كـــأنّ رقـــيبَ النجمِ أجدلُ مرقبٍ	يقلّـــبُ تحـــت اللّـــيل في ريشه طَرْفا
كـــأنّ بـــني نعـــشٍ ونعـــشاً مطافلٌ	بوجـــرةَ قـــد أظْلَلْنَ في مَهْمَهٍ خشْفا
كـــأنّ سُـــهيلاً في مطالـــعِ أفْقِـــه	مفـــارقُ إلْـــفٍ لَـــمْ يجِـــدْ بعدَهُ إلفا

(١) جذوة المقتبس: ٣٨٩.

كـانّ قدامــى النسرِ والنسرُ واقعٌ قُصِّصْن فلـمْ تسمُ الخوافي به ضعْفا

ومـا كـنتُ مـداحاً ولكنْ مفوّهاً يُلبي إذا نـادى ويَكفي إذا استكفى

أبـا أحمد قدْ كانَ في الارضِ موئلٌ فلـمْ أسغ لي ركـناً سواكِ ولا كهْفا

وختمها:

وكـيفَ اتراكى فيكَ ثناً ولوعةً ولم تتْـركْ رحمـاً لقومـي ولا عطفـا

أمـنْتُ بـكَ الأيامَ وهي مَخوفةٌ ولـو بـيديك الخلـدُ أمنْتَني الحتفا [1]

فعارضها أبو الربيع سليمان القصاعي بقصيدة قال فيها:

نعيشكَ إلاّ ما قَصرتَ لنا الدجى فقـد زيـد حـنحُ الليلِ في طولِه صعفا

كأنَ النحوم الزُّهْر في خضرة الدجى أزاهـيرُ نـوّارٍ علـى رَوْضَـة خـيِّفا

كـأنَ جناحـيْ نسرِها وهو واقعٌ مهيـصان لمّـا يستقلاَ بـه ضَـعفا

كـانَ أخـاه قـد أتـى من ثنية لديـه فولّـى حـين لم يَرْضَـهُ حلفـا

كـانَ السُّها مصباحُ مشكاةِ راهبِ تـشبُّ لـه طـوراً وآونـةً تُطفـا

كـانَ عراقـيّ الدلو في كفّ مانحٍ مـياه حفـارٍ تحـدبُ الفـرْغَ والعرقا

كـانَ بني نعش طلائـعُ نعجة يـرودون في ديمـومةِ عـشبا حـرفا

كـأن سُـهيلاً حلقـةُ مـن أباته سُـكَيْتٌ علـى آثـارِ حلْبَـته قفّـى

كـأنَ ظـلام الليـلِ أسودُ مُطْرقٌ مـن الـزنج في لـبسِ الحديدِ قدْ التفا

كـأنّ ثـباتَ القطبِ فوقَ مَصامهِ ثـباتُ لـبيبِ كلّمـا شَهِدَ الزحفا [2]

لـدى الموازنة بين القصيدتين نجد أن المعارضة تامة الأركان، وامتازت قصيدة ابن هانئ بنفس شعري طويل مبدع لاحتوائها على حسن التشبيه وجميل المقابلات والاستعارات الكثيرة، في حين أخفق أبو الربيع سليمان القصاعي فلم يبلغ شأو ابن هانئ وكما أشار إلى ذلك ابن بسام بقوله: ((وإنما احتذى أبو الربيع في هذه التشبيهات طريقة محمد بن هانئ الأندلسي وسلك سبيله فضلّ عنها..)) [3]. ويمكن ملاحظة ذلك من

(١) ديـوان ابـن هانئ الأندلسي: ٢٠٧ – ٢١٣، تح: كرم بستاني، وبلغت القصيدة (٧١) بيتاً، دار صادر، بيروت ١٩٦٤.

(٢) الذخيرة، ق ٣ م ١: ٥٠٨.

(٣) المصدر نفسه.

موازنة بين تشبيهات الشاعرين، فإذا قال ابن هانئ:

كأنَ سُهيلاً في مطالعِ أفقهِ   مفارقُ إلفٍ لمْ يجدْ بعدَهُ إلْفا

قال أبو الربيع:

كأنَ سُهيلاً خلفَه منْ أناتهِ   سُكَيْتٌ على آثارِ حلْبته قفى

فإذا قال ابن هانئ:

كأنَ قدامى النَسرِ والنَسْرُ واقعٌ   قُصِصْنَ فلمْ تَسْمُ الخوافي به ضَعْفا

قال أبوالربيع:

كأنّ جناحَيْ نسرِها وهو واقعٌ   مهيضانِ لمَا يستقلاّ به ضعْفا

وواضح أن ابن هانئ كان أحذق في المجانسة بين التشبيه وأركانه المعروفة، المشبه والمشبه به ووجه الشبه والأداة، فجاءت تشبيهاته محكمة، على خلاف أبي الربيع الذي لم يصل درجة ابن هانئ فقصّر دونه.

ونظر أبو الربيع سليمان القضاعي إلى قصيدة ابن هانئ الفائية المذكورة سابقاً، ونظَم قصيدة سينية في مدح أبي الحزم بن جهور، استقى أكثر معانيها وأفكارها من ابن هانئ حتى تكاد تكون المعاني والأفكار واحدة عند الشاعرين، ومنها قوله:

في ليلةٍ ليلاءَ ألْقَتْ كَلْكَلاً   فوق النهار وخِلْتُهُ حِندسا

طالتْ عليّ وطالَ بثّي تحتَها   حتّى حَسِبْتُ الدهرَ ليلاً عسْعسا

والنجمُ في كَبِدِ السماءِ كأنَّهُ   شيخٌ تَدَرّعَ بالمهابةِ واكتسى

وختمها بقوله:

والصبحُ منهزمٌ وقد رفعَ اللّوا   في إثرهِ جنحُ الظّلام ليحبسا

حتّى تلقى الفجرَ في حُلَلِ الضُّحى   فجلا لنا وجهَ الظّلامِ الأعبسا

فكأنَّهُ لما استطالَ على الدُجى   سنا أبي الحزمِ الأغرِ تلبّسا [1]

وعارضها أبو بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللّبانة (ت ٥٠٧ هـ) بقصيدة مدح فيها ناصر الدولة، يقول فيها:

عَرِّجْ بمُنْعَرِجاتِ واديهمْ عسى   تلقاهُمُ نزلوا الكثيبَ الأوعسا

أطلبْهُمْ حيثُ الرياضُ تفتّحتْ   والرِّيحُ فاحتْ والصّباحُ تنفّسا

---

(١) الذخيرة، ق ٣ م ١: ٥١٣.

ومنها يقول:

أَلَيسَ الحديدُ على لجين أديمه ... فَعجبْتُ من صُبْحٍ توشّح حندسا
وأتى يجرُّ ذوائباً وذوابلاً ... فرأيْتُ روضاً بالصّلال تحرّسا

وختمها بقوله:

رامَ العدا عذلي عليه فقتُهُم ... والنجمُ ليس بممكنٍ أن يُلمَسَا
وإذا وصلتَ إلى الأمير مبشّراً ... فاجْعَلْ بساطك في ثراهُ السُّنْدُسَا [1]

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد المعارضة تامة في أركانها، وقد بدا تأثير الطبيعة على القصيدتين، وعني أبو الربيع القضاعي بها وحاراه ابن اللبانة بالعناية بالطبيعة في قصيدته أيضاً.

ولأبي المطرف العدادي قصيدة مدح بها ناصر الدولة مبشر بن سليمان وهي في أصلها معارضة لقصيدة أبي خراش الهذلي، كما مرَّ بنا في الفصل السابق، وفيها يقول:

هو طيفُها وطروقُهُ تعليلُ ... فمتى يفي لكَ والوفاءُ قليلُ
وكأنْ زورتَهُ تخيُّلُ بارقٍ ... فتَقَتْ به الظلماءُ وهي بليلُ
لو دام قلكم اجتماعٌ لم يَذُقْ ... ألَمَ التفرُّقِ مالكٌ وعقيلُ

وختمها بقوله:

واهاً لعصرِكَ وهو يقطرُ نضْرَةً ... ويميسُ تحتَ ظلالِهِ التأميلُ
فكأنّه وردُ الخدودِ إذا اكْتسَتْ ... خجلاً وكادَ يُزيِنَها التقبيلُ
أينَ المدى ولَقَدْ بلغْتَ من العلا ... رتباً تردُ الطَّرفَ وهو كليلُ [2]

ويروي لنا ابن بسام أن الأمير مبشّر بن سليمان طلب من أبي بكر الداني معارضتها، فقال الداني معارضاً [3].

في الطيْفِ لو سَمحَ الكَرى تعليلُ ... يكفي المحبَّ من الوفاءِ قليلُ
وبموتُ عن شخصِ الحبيبِ حيالُهُ ... إنْ لم يكُنْهُ فإنَّهُ تمثيلُ

(١) الذخيرة، ق ٣ م ٢: ٦٨٤؛ وينظر: شعر ابن اللبانة، جمع وتحقيق: د. محمد مجيد السعيد، القصيدة (٤١).
(٢) الذخيرة، ق ٣ م ٢: ٦٩٠.
(٣) المصدر نفسه: ق ٣ م ٢: ٦٩٠.

بـرقُ الـسماء علـى الغمامِ علامَةٌ ... وسـنا الـصباحِ على النهارِ دليلٌ
والـرَّوْضُ إنْ نَعـدَتْ عليك قطوفهُ ... وَقَـدتْكَ عـنه الـريحُ وهي بليلُ

ومنها يقول:

مَلـكٌ كمـا اتَّقَـدَ الصَّباحُ وراءهُ ... ظِـلٌّ كمـا بَـردَ المـساءُ ظَليلُ
جـاورتُ مـنه البحـرَ إلاّ أنَّـه ... عـذبٌ كمـا رَشَـفُ اللَّمى تقبيلُ
وأتـتْكَ مـن بعـدادَ بكـرٌ ما لها ... غـيري وإنْ كَثُـرَ الـرجالُ كفيلُ

وختمها بقوله:

أنـا ذاك لـو أني أكـونُ لكـندة ... مـا فـاتني فـيها الفـتى الضليل
لا عـيبَ لي إلاّ الـنحولُ رضـيتُهُ ... إنّ المهـندَ قاطـعٌ ونحـيلُ [١]

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد أن المعارضة تامة الأركان، فقصيدة البغدادي استهلها بالغزل، ثم عرج على المدح وتابعه ابن اللبانة مستهلاً قصيدته بالمدح وختمها بالمدح، فإذا قال البغدادي:

هو طيفُها وطروقُهُ تعليلُ ... فمتى يفي لكَ والوفاءُ قليلُ

قال ابن اللبانة:

في الطيف لو سمحَ الكرى تعليلُ ... يكفي المحبَّ من الوفـاءِ قليلُ

وإذا مضينا مع الأبيات الأخيرة عند الشاعرين وجدناهما يختمان قصيدتهما بالمديح للممدوح.

٤ – المعارضات في الغـزل:

الغزل فن شغل الشعراء، على امتداد العصور الأدبية، واقترنت أسماء كثير منهم بحبيباتهم، كمجـنون ليلى، وكثير عزة، والعبـاس بن الأحنف صاحب فوز، وفي الأندلس، عرف ابن زيدون بصاحب ولادة، وابن الحداد بصاحب نويرة النصرانية، فلا محيص للشعراء الأندلسيين من طرق باب الغزل، لأنهم كغيرهم من الشعراء يحبون ويتغزلون، لذلك نجد المعارضة الشعرية في فن الغزل، وتطالعنا مقطوعة شعرية غزلية لأبي الفضل بن حسداي يقول فيها:

---

(١) الـذخيرة، ق ٣ م ٢: ٦٩٠ – ٦٩٢؛ وينظـر: شعر ابن اللبانة الداني، القصيدة (٦٦)؛ وبلغت (٢٩) بيتـاً.

عهدٌ لِلُبنى تقاضَتْهُ الأماناتُ   بانتْ وما قُضيتْ منها لُباناتُ
يُدني التوهمُ للمشتاق ممتزجاً   من الوصال وفي الأوهامِ راحاتُ
تُقضّى عداتٌ إذا هبّ الكَرى وإذا   هبّ النسيمُ فقد تُهدى تحياتُ
لعلّ عتْبَ الليالي أنْ يعود إلى   عُتبى فتُطلع أوطارٌ ولذّاتُ
بشرى تحقّقُ ما زار الخيالُ به   فربّما صدقتْ تلكَ المناماتُ (١)

وعارضها أبو الطاهر محمد بن يوسف الأشكوري:

وعدٌ لعلوةَ أنْ تقضي لُباناتُ   ألموتُ بها يسومَ وشكِ البين علاّتُ
لم تُرْضِها منك أنفاسٌ مقطعةٌ   حتى تقطّع أطواقٌ ولبّاتُ
فقالتْ وقدْ أبصرتْ من بينها جزعي   لا تيأسنّ فإنّ الدّهر حالاتُ
وفي سبيلِ الهوى والشوق ما صنعت   روائعُ البين، لا تَحْزُنْكَ رَوعاتُ
عوّض رجاءَكَ من يأسٍ ومن ترحٍ   فلليالي وإنْ باعدنَ كرّاتُ
بيني وبينَكَ عهدٌ سوف أحفظُهُ   وربّما ضيّعتْ يوماً أماناتُ (٢)

والاتفاق واضح بين القصيدتين في المعارضتين في جميع الأركان، وابن حسداي في مقطوعته يصوّر اشتياقه إلى خيال حبيبته التي أبعدتها عنه الأيام.

أما الأشكوري فقد نجح إلى حد بعيد في تمثل الصور الشعرية عند ابن حسداي فصاغها صياغة جديدة، مما يفصح عن طول باعه في قول الشعر، لذلك جاءت الأفكار والمعاني في قصيدة الأشكوري مشابهة لمعاني وأفكار ابن حسداي، وقد أداها الأشكوري بشكل حوار جميل جرى بينه وبين الحبيبة.

ولابن رشيق القيرواني من قصيدة غزلية لم يصل إلينا إلاّ مطلعها الذي يقول فيه:

والصُبحُ قد مطلَ الليلُ العيونَ به   كأنهُ حاجةٌ في كفّ ضنّينِ

---

(١) هذه القصيدة تنسب للحكيم المصري وأولها:

توريد خدك للأحداق لذات   عليه من عنبر الأصداغ لامات

ويقول د. إحسان عباس في الهامش (١) في الذخيرة، ق ٣ م ١: ٤٩٣ ((إنّ هذا المطلع لابن حسداي، ويبدو أن صاحب القلائد قد خلط بين القصيدتين))، للمستزيد، ينظر: الذخيرة، ق ٣ م ١: ٤٩٢؛ قلائد العقيان: ٢١٠.

(٢) الذخيرة، ق ٣ م ٢: ٩١٢.

وهذا البيت اليتيم من قصيدة فقدت، بدليل أن ابن بسام أشار إلى أنها قصيدة [١]، وعارضها أبو الحسن عبد الكريم بن فضال القيرواني المعروف بالحلواني بقوله:

رضابُ ثغركَ يُضنيني ويَشفيني … وسحرُ عينيكَ يغويني ويُغريني

وفي تثنّيكَ معنًى لا يقومُ به … ما في الغصون من الإرهافِ واللينِ

إذا وصفتكَ باللحظ الفتورِ فسنْ … قدّ القلوب بأطراف السكاكينِ

وإنّ نعتُّكَ بالغصنِ الرطيبِ فما … في الغصن ما فيكَ من كلِّ الأفانينِ

لم يرضَ عني فؤادي من صيانتهِ … حتى مسحتُ به في كفِّ صِنّينِ

وختمها بقوله:

إنْ كنت في الحبّ سلطانا على كبدي … فحسنُ عقصة سلطانُ السلاطين

أو كان عندك للمسكين مرحمة … فإنّ عبدكَ مسكينُ المساكين [٢]

ولا يمكننا إجراء موازنة منصفة بين قصيدة ابن رشيق القيرواني التي لم يصل منها سوى بيت واحد، وبين قصيدة الحلواني التي وصل منها أربعة عشر بيتاً.

إلاّ أن ابن بسام قد وقف على القصيدتين ووازن بينهما حينما قال عن الحلواني: ((وأراه عارض بهذه القصيدة ابن رشيق، فضلّ عنها الطريق. هذا وقد قلت إن له في النسيب أوفر نصيب، فأما إذا وصف أو مدح، فقلما رأيته في ذلك نجح ولا أفلح)) [٣].

وما يعزز كلام ابن بسام تقصير الحلواني عن ابن رشيق في بيته اليتيم الذي وقفنا عليه، فإذا قال ابن رشيق:

والصبحُ قد مطلَ الليلُ العيونَ به … كأنه حاجةٌ في كفِّ صِنّين

قال الحلواني:

لم يرضَ عني فؤادي من صيانته … حتى مسحتُ به في كف صنين

وتقدم بنا في الفصل الثالث، أن نونية ابن زيدون، في أصلها معارضة لنونية البحتري، وقد وقفنا عند جوانب المعارضتين هناك، والظاهر أن الإبداع الذي تحقق في قصيدة ابن

---

(١) ديوان ابن رشيق القيرواني: ٢١١، القصيدة (٢٠٧)، جمع وتحقيق: هاشم ياغي، (د. ت)، وانظر: الذخيرة، ق ٤ م ١ / ٢٢٥.

(٢) الذخيرة، ق ٤ م ١: ٢٨٩ – ٢٩١، وبلغت القصيدة (١٤) بيتاً.

(٣) المصدر نفسه: ٢٩١.

زيدون جعل منها أصلاً يعارضها الشعراء دون أن يعارضوا قصيدة البحتري، ولقيت قصيدة ابن زيدون شهرة في الشرق والغرب، فعارضها الشعراء الأندلسيون والمشرقيون على حد سواء، وفيها يقول:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا   وناب عن طيب لُقيانا تجافينا
ألا وقَدْ حان صبحُ البَيْن صبّحنا   حَينٌ، فقام بنا للحَين ناعينا

ومنها يقول:

بِنتم وبِنّا، فما ابتلّتْ جوانحُنا   شوقاً إليكم، ولا جفّتْ مآقينا
نكادُ حينَ تناجيكُمْ ضمائرُنا   يقضي علينا الأسى لولا تأسّينا

وختمها بقوله:

وفي الجواب متاعٌ إنْ شفعت به   بيضَ الأيادي التي ما زلتِ تُولينا
عليك منّا سلامُ اللهِ ما بَقيتْ   صبابةٌ بك نُخفيها فتُخفينا [١]

وممن عارض هذه القصيدة من الأندلسيين أبو بكر بن الملح بقوله:

هل يسمعُ الربعُ شكوانا فيُشكينا   أو يرجعُ القولَ مغناه فيغنينا
يا باخلينَ علينا أن نودّعكمْ   وقدْ بعدتُمْ عن اللقيا فحيّونا
قفوا نزرْكُمْ وإنْ كانتْ فوائدكم   نزْرا ومنكم بالوصلِ ممنونا
سترتُمُ الوصلَ ضناً لا فقدتُكُمُ   فكان بالوهمِ موجوداً ومظنونا
سوى من المسْك عن مسراكُم خبرٌ   يعيدُ عهد هواكُم نشرُه فينا

وختمها بقوله:

ونتبع الحيَّ والأشواقُ محرقةٌ   نجومُ بالماءِ والأرماحُ تحمينا
كواكبٌ في سماء النقع قد جُعلَتْ   لنا رجوما وما كُنّا شياطينا [٢]

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الروي، وسبقنا بالموازنة بين القصيدتين ابن بسام هنا أيضاً عندما قال عن قصيدة ابن زيدون: ((وهذه القصيدة جملتها فريدة، وقد عارضه فيها جماعة قصروا عنه، منهم أبو بكر بن الملح، فإنه

(١) ديوان ابن زيدون، ١٤١ - ١٤٨.
(٢) الذخيرة، ق ١ م ١، ٣٦٢ - ٣٦٣.

نازعه فيها الراية، فقصر عن الغاية، ...)) [١].

وما يعزز كلام ابن بسام هو ما نلمسه من براعة في أبيات ابن زيدون فلم تزل إلى يومنا هذا ترددها الأجيال ويتغنى بها الشعراء، أما قصيدة ابن الملح فلم تتمكن من مضاهاة قصيدة ابن زيدون، لذلك خمل ذكرها، ولعل العلة في نجاح ابن زيدون تعود إلى صدق التجربة التي عاشها ابن زيدون مع حبيبته، في حين جاءت قصيدة ابن الملح تلبية لرغبة في نفسه ليقطع على منوالها عسى أن يصيب قصيدته من الشهرة ما أصاب قصيدة ابن زيــدون.

وللأسعد بن بليطة مقطوعة غزلية عارضه في معناها أبا عيسى ابن لبون، ويقول فيها الأسعد:

لــو كنت شاهدنا عشيةَ أمسِنا والمـــزنُ يُبكينـــا بعـــينيْ مُـــذنبِ
والشمسُ قد مدّتْ أديمَ شُعاعها في الأرض تَجنــحُ عــير أنْ لم تَغْـــرُبِ
خلــتَ الــرذاذَ برادةً من فضّة قــد غُــربِلتْ مــن فــوقِ نطعٍ مُذْهَبِ [٢]

وعارضها ابن لبون مخاطباً أبا اليسع كاتب أخيه الذي خلفه بعده على لورقة:

لــو كنت تشهدُ يا هذا، عشيّتَنا والمــزنُ يُمسِــكُ أحيــاناً ويــنحدرُ
والأرضُ مــصفرّةٌ بالقطر كاسيةٌ أبــصرت تــبراً علــيه الــدُّرُّ ينتثرُ [٣]

لدى الموازنة بين القطعتين نجد اتفاقاً في المعاني والأفكار واختلافاً بالوزن والقافية، وقد تمكن ابن لبون من تمثل معاني الأسعد بن بليطة وصياغتها بثياب جديدة لا تقل عنها شاعرية وبهاءً.

٥ – المعارضات في الرثــاء:

الرثاء فن قديم في الشعر العربي، إلاّ أنه يتحدد مع كل مصيبة تصيب الشاعر، فيعبر عنها بما جادت قريحته، وللأندلسيين معارضات في الرثاء فيما بينهم اقتصرت على رثاء الأشخاص، ولأبي بكر الصائغ المعروف بابن باجة قصيدة رثى بها الأمير ابن تيفلوت ((أبا بكر بن إبراهيم)):

(١) المصدر نفسه: ٣٦٢.
(٢) الحلة السيراء لابن الأبار: ١٦٩، تح: د. حسين مؤنس، ج ٢، ط ١، القاهرة ١٩٦٣.
(٣) المصدر نفسه، ٢ / ١٦٩ – ١٧٠.

يـا صـدىً بالثغـر حـاوَرَهُ رمَـمٌ بـوركْتَ مـن رمـم
صـنَّحْتُكَ الخيـلُ عاديـةً وأثارتْـكَ فلـمْ تـرِم
قَـدْ طـوى ذا الدهـرُ عزّتَهُ عـنكَ فالبـسْ حلـةَ الكَـرَم [١]

فعارضها ابن حفاجة:

يـا صـدى بالثغـر مـرتهناً بمـرور الـريح والـديَم
لا أرى إلاّ أخـا كمـد باكـياً مـنكَ أخـا كَـرَم
كَـمْ بـصدري فـيكَ من حُرَقٍ وبكفّـي لـكَ مـن نعَـم [٢]

لدى الموازنة بين المقطوعتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الروي، والموضوع هو الرثاء في المقطعتين، فإننا نجد أن الشاعرين أجادا في رثاء الأمير ابن تيفولت وخلع ابن باجة عليه صفات الشجاعة والكرم، ونجح ابن خفاجة في اجادة الموضوع أيضاً، لأنه عقدت المودة بينه وبين المرثي وكانت للأمير المرثي أفضال على ابن خفاجة لذلك صور أشجانه بفقده إياه في بيته الأخير، وبذلك يكون ابن خفاجة قد تفوق على ابن باجة في معارضته، لأنه أتى بمعنى جديد وهو معنى التوجع والألم لفقده الأمير ابن تيفولت، وهذا المعنى لم نجده عند ابن باجة الذي بدأ برثاء الأمير ابن تيفولت.

وجاءت معارضة الرثاء بين الأندلسيين أكثر مما هي عليه، عند الأندلسيين مع المشارقة، وهذا أمر بديهي يرجع إلى ما عاشته الأندلس من المحن والإحن، ولا سيّما بعد سقوط دول الطوائف، حيث بدأ تشريد هؤلاء الملوك ونفيهم خارج الأندلس، لذلك ظهر رثاء الممالك.

وكان لسقوط المعتمد بن عباد أثر كبير في نفوس شعراء عصره، فرثاه اثنان من شعراء الأندلس هما ابن اللبانة وابن عبد الصمد بداليتين حزينتين، رثاه ابن اللبانة وعارضها راثياً أبو بكر بن عبد الصمد.

يقول ابن اللبانة:

تبكـي الـسماءُ بمزنٍ رائحٍ غادي علـى البهالـيل مـن أبـناء عبادِ
علـى الجـبالِ التي هُدّتْ قواعدُها وكانـت الأرضُ مـنهم ذاتَ أوتادِ

---

(١) ديوان ابن خفاجة: ١٠٥، القصيدة (٥٨).
(٢) المصدر نفسه.

والرابياتُ عليها اليانعاتُ دوتْ ... أسوارُها فغدتْ في حفصِ أوهاد
عريسةٌ دخلتها النائباتُ على ... أساود لهُمو فيها وآساد

ومنها يقول:

غابتْ عن الفَلَكِ الارضي أنجُمُهم ... فليسَ للسُّعدِ فيهم نورُ إسعاد
إنا إلى اللهِ في أيامهمْ فلقَدْ ... كانت لنا مثلُ أعراسٍ وأعيادِ
هم الشواهقُ فيها كهفُ معتصمٍ ... مثلُ الأباطح فيها خصبُ مرتاد
تبدّلوا السجنَ بعد القصر منزلة ... واحدقوا باللصوص عوض أجناد
كم سالَ في الماء من دمعٍ وكم حملتْ ... تلك القطائعُ من قطعات أكباد
وأين معتمدٌ، نعمى يقسمها ... مرعى وماءٌ لزوارٍ وروّادِ

وختمها:

لقاكمُ اللهُ خيراً، إنكم نفرٌ ... لم تعرفوا غير فعل الخير من عاد
إنْ كانَ بعدكم في العيش من أربٍ ... فإنَّ في غصصِ عيشي وانكادِ [1]

وعارضها ابن عبد الصمد راثياً [2]:

ملكَ الملوكِ أسامعٌ فأناديَ ... أمْ قد عدتْكَ عن السماع عوادِ
لما خلتْ منك القصورُ فلَمْ تكنْ ... فيها كما قدْ كنتَ في الأعياد
أقبلتُ في هذا الثرى لك خاضعاً ... وتَخِذتُ قبرَكَ موضعَ الإنشادِ
قد كنتُ أرجو أن تبرِّدَ أدمعي ... نيرانُ حزنٍ أضرمتْ بفؤادي
فإذا بدمعي كلَّما اجريتُه ... زادتْ عليَّ حرارةُ الأكباد

---

(١) شعر ابن اللبانة الداني، جمع وتحقيق: د. محمد مجيد السعيد، القصيدة (٢٦)، وبلغت (٥٦) بيتاً.

(٢) اختلفت المصادر في نسبة هذه القصيدة، فمنهم من نسبها إلى ابن اللبانة، أما القسم الآخر فقد نسبها إلى أبي بكر بن عبد الصمد، كما أشار أستاذنا الدكتور منجد مصطفى بهجت في بحثه الموسوم: ((ديوان ابن اللبانة الأندلسي دراسة وتحقيق))، وهو بحث مكمل لمتطلبات الماجستير – جامعة الأزهر ١٩٧٣، وفي الصفحة (٦٢) من الدراسة، علماً بأن البحث غير منشور، أطلعني عليه أستاذي الدكتور منجد مصطفى بهجت مشكوراً.
وأشار الدكتور محمد مجيد السعيد أيضاً إلى اختلاف المصادر في نسبتها في كتابه: شعر ابن اللبانة الداني جمع وتحقيق: ص٩، منشورات جامعة البصرة ١٩٧٧م، ورجح الباحثان الفاضلان نسبتها إلى ابن عبد الصمد.

ومنها يقول:

كَــمْ رُدَّ لفــحَ الخطبِ عنكم ظلُّهُ وحمــاكُمُ مــنْ مــثلِ عاصفِ عادِ
لــولا أمــيرُ المــسلمينَ وفــضلُهُ لم تكــتحلْ أحفــائكُمْ بــرقادِ
واللهُ يبقــيه لكُــمْ ليــصونَكُمْ مــن كــلِّ حادثــةٍ تخافُ فؤادي

وختمها بقوله:

ولقــد تمــازَجَ حُــبُّكُمْ بجوانحي كــتمازجِ الأرواحِ بالأجــسادِ
فــسقى انسكابُ الغيثِ قبرَ أبيكُمُ مــن رائــحٍ مــتدفقٍ أو غــادِ
ولقــد رثيتُ وما قضيتُ حقوقَكُمْ واللهِ يعلــمُ مــا يُكِــنُّ فــؤادي [١]

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اختلافاً في البحر، فقصيدة ابن اللبانة من البسيط وقصيدة ابن عبد الصمد من الكامل، وقصيدة ابن اللبانة متقدمة زمنياً على قصيدة ابن عبد الصمد، فقد قال ابن اللبانة قصيدته بعد نكبة المعتمد مباشرة سنة (٤٨٤ هـ)، وأما ابن عبد الصمد فقد قال قصيدته بعد وفاة المعتمد، ومما يدفعنا بالقول إلى المعارضة الشعرية أن ابن عبد الصمد قد أخذ من معاني ابن اللبانة في أكثر من عشرين موضعاً، فضلاً عن اتفاق الصياغة والأسلوب إذ لا يعقل أن يكون ذلك كله عفوياً، كما يرى الدكتور محمد مصطفى بهجت [٢].

ومن أمثلة هذا الأخذ الأمثلة التي ساقها بين يدي بحثه قول ابن اللبانة:

إنا إلى اللهِ في أيامِهِمْ فلقدْ كانت لنا مثلَ أعراسٍ وأعيادِ

حيث يقول عبد الصمد:

لما خَلَتْ منك القصورُ ولم تكُنْ فيها كما قد كنتَ في الأعيادِ

وإذا قال ابن اللبانة:

كم سالَ في الماءِ من دمعٍ وكم حملتْ تلكَ القطائعُ من قطعــاتِ أكبــادِ

قال ابن عبد الصمد:

فإذا بدمعي كلَّما أجريتُه زادتْ عليَّ حرارةُ الأكبادِ

وإذا تتابعنا أبيات ابن عبد الصمد فإننا نجد كثيراً من الأبيات المناظرة لها في المعنى

(١) ديوان ابن اللبانة الأندلسي، القصيدة رقم (٢٤)، وبلغت (١٠٧) بيتاً.

(٢) ديوان ابن اللبانة الأندلسي، القصيدة رقم (٢٤)، وبلغت (١٠٧) بيتاً، الدراسة: ٦٤.

التي تدعنا نقطع الشك باليقين ونقر معارضة ابن عبد الصمد لابن اللبانة، إلاّ أن الشاعرين يختلفان في موقف واحد هو نظرتهما إلى المرابطين، حيث جهر ابن اللبانة بعداوتهم، بينما أثنى على موقفهم ابن عبد الصمد بقوله:

لولا أميرُ المسلمينَ وفضلُه	لم تكتحلْ أجفانُكُمْ برقادِ
والله يبقيه لكُمْ ليصونكمْ	من كلِّ حادثةٍ تخافُ فؤادي

واختلاف الشاعرين في النظر إلى المرابطين لا يخرج قصيدة ابن عبد الصمد من دائرة معارضتها لقصيدة ابن اللبانة، لأن ابن عبد الصمد قد تابع ابن اللبانة في خطابه للمعتمد بن عباد باكياً متوجعاً.

ويمكننا القول بأن معارضة ابن عبد الصمد لابن اللبانة جمعت بين رثاء الأشخاص والممالك (بين المعتمد ومملكته).

٦ – المعارضات في الأغراض الأخرى:

كان لسقوط دول الطوائف في الأندلس أثر كبير في ظهور غرض الشكوى من الزمن، ولا سيما عند الملوك الشعراء الذين كانوا يرفلون بالعز والمجد، وعندما هوت عروشهم، أسفوا عليها وارتفع صوت الشكوى في شعرهم، فقال المعتمد بن عباد قصيدة رائعة شكى بها من زمانه الذي أودى به أسيراً باغمات في المغرب، وكان لهذه القصيدة صدىً في نفوس غيره من الملوك الشعراء الذين هوت عروشهم أيضاً.

وقصيدة المعتمد بن عباد يقول فيها:

غريبٌ بأرضِ المغربينِ أسيرُ	سيبكي عليه منبرٌ وسريرُ
وتندبُه البيضُ الصوارمُ والقَنا	وينهلُّ دمعٌ بينهنَّ غزيرُ
سيبكيه في زواهيه والزاهرُ النّدى	وطلاّبُه، والعُرفُ ثم نكيرُ
إذا قيلَ في أغمات قد ماتَ جودُه	فما يُرتجى للجودِ بعد نشورُ
مضى زمنٌ والمُلْكُ مستأنسٌ به	وأصبحَ عنه اليومَ وهو نفورُ
برأيٍ من الدَّهرِ المضَلَّلِ فاسدٍ	متى صَلُحَتْ للصالحينَ دهورُ

وختمها بقوله:

ويلحظُنا الزاهي وسعدُ سعودِه	غيورينَ والصبُّ المحبُّ غيورُ
تراه عسيراً أم يسيراً منالُه	ألاَ كلُّ ما شاءَ الإلهُ يسيرُ

قضى اللهُ في حمصَ الحمامَ وبُعْثِرَتْ هـنالك منا للنشور قبورُ [1]

وعارضها الملك الشاعر المظفر بن عبد الملك بن عبد العزيز بقصيدة قال فيها:

علمتُ بأنّ الدائراتِ تدورُ وقد كُسِفتْ منا هناكَ بدورُ
ونادى منادي البينِ فينا تَرحلُوا فطار فؤادٌ للفراق صبورُ
ونُثِّرَ سلكٌ طالَ في المُلك نظمُه كذا كلُّ نظمٍ بالزمان نثيرُ
خَرَجْنا من الدنيا وكانت بأسرها تُصيخُ لما نومي به وتُشيرُ

ومنها يقول:

ألا بأبي ذاكَ الزمان الذي قضى وتعساً لدهرٍ جاءَ وهو عثورُ
تصاحبُنا فيه الرزايا فتارةً تُصمُّ صماخاً أو تجيشُ صدورُ

وختمها بقوله:

فلو أبصرتْ عيناكَ هيَ حالكاً وشهبُ الدياجي في السماءِ تُنيرُ
ومن أدمعي زَهْرٌ تناثرَ غَصْنُهُ بنكباءَ يُزْجيها حوىً وزفيرُ
لأنشدتَ من طولِ التفجُّعِ والأسى وقد قُصِّرَتْ عني منىً وقصورُ
((غريبٌ بأرضِ المغربينِ أسيرُ سيبكي عليه منبرٌ وسريرُ)) [2]

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الروي، وجاءت القصيدتان زاخرتين بالأسى والأسف، ولعل ما يعضد قولنا بمعارضة المظفر عبد الملك للمعتمد بن عباد هو المصير الذي آلا إليه بسقوط ملكهما، مما جعلهما يعيشان وضعاً نفسياً خاصاً، فهما دائما الحسرة على ملكهما الضائع.

ويلقي لنا ابن سعيد المغربي ضوءاً على الحالة النفسية التي كان يعيشها المظفر بقوله: ((أخبرني أحد الأدباء الأعيان، ممن كان يمارحه ويركن إليه أنه كان دائم الحسرة على كونه لم يطل ملكه..))، لذلك جاءت قصيدته على غرار قصيدة المعتمد بن عباد، ولعل تضمين المظفر لمطلع قصيدة المعتمد في قصيدته دليل آخر على المعارضة [3].

---

(١) ديوان المعتمد بن عباد: ٩٨ – ٩٩، جمعه وحققه: أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٥١.

(٢) المغرب في حلى المغرب لابن سعيد الأندلسي: ٢ / ٣٠٢ – ٣٠٣، تح: د. شوقي ضيف.

(٣) المصدر نفسه: ٢ / ٣٠٢.

ولابن الحاج اللورقي مقطوعة شعرية في بواكير شعر ولده قالها مثبطاً من عزيمة ولده في قول الشعر:

شـــعرُك كالـــشعراءِ في شـــكْله يجمــــعُ بـــينَ الآسِ والـــــصَّرورِ
فاصْـنعْ بــه إنْ كُـنـتَ لي طائعاً مـــا تــصنع الهـــرةُ ... ...[1]

ولادريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن والد أبي بحر صفوان صاحب كتاب ((زاد المسافر)) شعر قاله في ولده أبي بحر عندما أطلعه على بواكير شعره أيضاً، فقال ادريس معارضاً ابن الحاج اللورقي:

شـــعرُكَ عـــندي يـــا أبـــا بحـــرِ يحـــتاجُ للحجـــباءِ وللمـــستترِ
فاجْمَعْـــهُ في صـــدرِكَ إن طِعْنـــتني كمـــيتٍ يُجْعَـــل في القـــبرِ [2]

لدى الموازنة بين المقطعتين نجد معنى اللورقي قذراً كما وصفه أبو بحر صفوان[3]، يأنفه الذوق في حين كان معنى ادريس مهذباً مقبولاً.

ومما قاله أبو بكر بن اللبانة نادماً على فراق بطليوس:

رضـــي المـــتوكل فارقْـــتهُ فلـــم يُرضِـــني بعـــدَه العـــالَمُ
وكانـــتْ بطلـــيوس لي جـــنةً فجـــئت بمـــا جـــاءه آدمُ [4]

وعارضه أبو عامر الأصيلي:

جـــنابُ ابـــنِ معـــنٍ تَجنبـــتُه فلـــم يُرضِـــني بعـــدَه العـــالمُ
وكانـــــتْ مـــــريّةُ جَـــــنتي فجـــئْتُ بمـــا جـــاءَهُ آدمُ

لدى الموازنة بين المقطعتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية وحركة الروي والمعنى، بل يمكننا القول إن معارضة ابن الأصيلي لابن اللبانة أقرب إلى التقليد والمحاكاة الحرفية منها إلى الإبداع.

ولأبي مروان عبد الملك الجزيري قصيدة في الآداب والسنة يقول فيها:

ألــوى بعــزم تجلُّدي وتصبُّري نـــأيُ الأحـــبة واعتـــيادُ تذكـــري

(١) زاد المسافر: ١٥٤، واسقطنا قافية البيت لأن الذوق يأنفها.
(٢) زاد المسافر: ١٥٤.
(٣) المصدر نفسه: ١٥٤.
(٤) الذخيرة، ق ٣ م ٢: ٦٧٣؛ وينظر: شعر ابن اللبانة الداني، القصيدة (٧١).

واعْلَمْ بأنَّ العلمَ أرفعُ رتبةً ... وأجلُّ مكتسبٍ وأسنى مَفْخَرِ

وختمها بقوله:

وإذا سُلِبْتَ فَجُد وإن قلّ الجَدى ... جَهْدُ المُقِلِّ إزاء جهد المكثر
وما رأيتُ غبيَّ قومٍ موسراً ... وليسهُم يشقى بمال المُعْسِر [(١)]

وعارضها أبو عبد الملك مروان بن عبد الله بن مروان (ت ٥٧٨ هـ) بقصيدة في مخاطبة النفس الإنسانية مطلعها:

يا نفسُ دونك فاجْزعي أو فاصبري ... طلعَ الزمانُ بوجهه المتنمر [(٢)]

ويهمل ابن الأبار القصيدة ويكتفي بمطلعها فيقول: ((وهي طويلة ضعيفة لم ير له فيها كبير إحسان فلذلك تركتها)) [(٣)].

ويرى أستاذنا الدكتور محمد مصطفى هدارة: ((أن قصيدة الجزيري لقيت ذيوعاً بين الناس وتجاوبت في نفوسهم لأنها منهج تربوي متكامل، إلاّ أنها هبطت فنياً لاعتمادها على المباشرة شأنها في ذلك شأن الشعر التعليمي)) [(٤)].

ومن القصائد التي لقيت هوى في نفوس الشعراء وعارضوها قصيدة علي بن زريق البغدادي (ت ٥٢٤ هـ).

لا تعذليه فإنَّ العذلَ يُولِعهُ ... قد قلتِ حقاً ولكنْ ليس يسمعُهُ
جاوزتِ في لومه حداً يَضرُّ به ... من حيثُ قدَّرتِ إنَّ اللومَ ينفعُهُ
فاستعملي الرفقَ في تأنيبه بدلاً ... من عنفه فهو مُضْنى القلبِ موجعُهُ
قد كانَ مضطلعاً بالبين يحملُهُ ... فضلّعتْ بخطوب البين أضلُعهُ
يكفيه من روعة التفنيد أنَّ لَهُ ... من النوى كلَّ يومٍ ما يروِّعُهُ

وختمها بقوله:

عسى الليالي التي أضْنَتْ بفرقتنا ... جسمي تُجَمِّعُني يوماً وتَجْمَعُهُ

---

(١) جذوة المقتبس: ٢٦١.
(٢) الحلة السيراء: ٢ / ٢٢٥.
(٣) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(٤) الاتجاه الإسلامي: ٨٥.

وإنْ يَنَـــلْ أحَـــدٌ مـــنّا منيَّـــتَهُ فمـــا الـــذي في قضاءِ اللهِ يَصنَعُهُ [1]

وعارضها أبو بكر محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز ذو الوزارتين بقصيدة وجهها إلى الوزير أبي محمد بن عبدون (ت ٥٢٥ هـ) معتذراً فيها عن تخلفه عن توديعه عند سفره، يقول فيها:

في دمـــةِ الفـــضلِ والعلياءِ مرتحلٌ فارقـــتُ صـــبريَ إذْ فارقتُ موضعَهُ
ضـــاءَتْ بـــه بـــرهةً أرجاءُ قرطبةٍ ثُـــمّ اســـتقلَّ فَـــسَدَّ الـــبينُ مَطْلَعَهُ
يـــا قاطعـــاً أمـــلاً قد كانَ واصلَهُ ونائـــراً جـــذلاً قـــد كـــانَ جَمَّعهُ
عـــذراً إلى المجـــدِ عني حينَ فارقَني ذاكَ الجـــلالُ وأعـــيا أن أُشـــيِّعَهُ
قـــد كـــنتُ أصـــحبتُهُ قلبي فأَقْعَدني مـــا كـــانَ أودعَـــهُ عن أن أُودِّعَهُ

وختمها بقوله:

والشمسُ تَحسَدُ والخضراءُ موضعَها للفـــضلِ تعـــرفُ في الغـــبراءِ موضعَهُ
لا زَعْـــزَعَتْكَ الليالي النُّكْدُ يا جبلاً لم تـــرجُ عـــيرُ اللـــيالي أنْ تُزَعْزِعَهُ [2]

لدى الموازنة بين القصيدتين نجد اتفاقاً في الوزن والقافية واختلافاً في المعنى، وقصيدة ابن زريق البغدادي وبها عرف واشتهر، فهو من شعراء الواحدة فقد قالها في شكوى الزمان والحنين إلى الأوطان، حيث قدم إلى الأندلس لكسب الرزق، ووافته منيته في الأندلس ووجدت تحت وسادته وقد بلغت ثمانية وثلاثين بيتاً، وجهها إلى زوجته الحنون، وطبقت شهرة هذه القصيدة الآفاق في المشرق والمغرب، وتناقل الناس أخبارها إلى حد المبالغة والخيال ويروي لنا السبكي في طبقاته أنه من ((حفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل ظرفه)) [3].

أما أبو بكر محمد بن عبد العزيز، فقد نظّم على وزنها وقافيتها وموضوع قصيدته في الاعتذار، فقصر دون ابن زريق كثيراً، وكانت قصيدته دونها مرتبة

(١) طـــبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ١ / ٣٠٨ – ٣١١، تح: محمد محمد الطناحي وعبد الفتاح محمـــد الحلـــو، ط ١، القاهـــرة ١٩٦٤؛ وينظر: المختار من كتاب ثمرات الأوراق لابن حجة الحمـــوي، اختـــيار يعقوب عبد النبي، مراجعة حامد عبد القادر: ١٣٠ – ١٣٤، وزارة الثقافة والارشاد القومي.
(٢) الذخيرة، ق ٢ م ٢: ٥٤١.
(٣) طبقات الشافعية الكبرى: ١ / ٣٠٨.

وأقلها عاطفة، فضلاً عن الاختلاف بين الشاعرين، حيث بدا ابن رزيق متألقاً في شاعريته محلقاً بعيداً في سماء الشعر على خلاف أبي بكر محمد بن عبد الملك.

وكان موضوع الخمرة من الموضوعات التي اتضحت ملامحها في الشعر الأندلسي، لأن هذا الشعر يصوّر الحياة المترفة التي عاشها الأندلسيون وانصرفوا بها إلى مجالس الخمرة فجاءت هذه الأشعار لتعبر عن واقع عاشه الأندلسيون، ومن هذه الأشعار ما جاء بثوب المعارضة الشعرية، ومن هذه الأشعار مقطوعة للرئيس أبي غالب عبد الله بن هبة الأصباغي يقول فيها:

عَقَـــرَتْهُمُ مـــشمولةٌ لو سالَمَتْ ... شُـــرَّابَها مـــا سُـــمّيَتْ بعقـــارِ

ذَكَرَتْ حقائدَها القديمةَ إذ غَدَتْ ... صـــرعى تُـــداسُ بأرجـــلِ العـــصَّار

لانَتْ لَهُمْ حتّى انتشوا وَتَمَكّنَتْ ... مـــنْهُمْ وصـــاحَتْ فـــيهُمُ بالـــثارِ [1]

وعارضه ابن زهر الحفيد في المعنى:

وموسّـــدين على الأكفِّ خدودَهم ... قَـــدْ غـــالَهُم نـــومُ الـــصَّباحِ وغَالني

مـــا زِلتُ أسقيهِمْ وأشربُ فضْلَهُمْ ... حتّـــى سَـــكرتُ ونَـــالَهُمْ مـــا نالنِي

والخَمْـــرُ تَعْلَـــمُ حينَ تأخذُ ثأرها ... إني أمَلْـــتُ إناءَهـــا فأمـــالني [2]

لدى الموازنة بين المقطعتين نجد اختلافاً في الوزن والقافية واتفاقاً في المعنى، وقد تمكن ابن زهر الحفيد من معاني مقطعة ابن هبة الأصباغي، فصوّرها تصويراً شاعرياً دقيقاً، وشارك ابن زهر الحفيد الندامى مجلسهم وشرب الخمرة، وهذا المعنى لم نجده في مقطوعة ابن هبة الأصباغي، أي أنَّ الشاعر لم يدخل معهم في جلستهم وبقي يصف تأثير الخمرة على الشاربين.

---

(١) وفيات الأعيان: ٤ / ٤٣٤، ابن خلكان.

(٢) المـــصدر نفسه: ٤ / ٤٣٥؛ وينظر: مقال د. محمد مجيد السعيد (ابن زهر الحفيد حياته وشعره): ١٧ المنشور في مجلة المورد العراقية، المجلد (٩)، ٤ / ٢ / ١٩٨٠.

الْخَاتِمَةُ والنَّتَائِجُ

بعد رحلة ليست بالقصيرة مع المعارضات في القرنين الخامس والسادس الهجريين، نحط الرحال بعد أن أعاننا الله ﷻ على انجاز فصول الرسالة، ويحسن بنا أن نجمل بعض النتائج التي توصلت إليها الدراسة وهي:

١ - ان المعارضة الشعرية فن قديم ضارب الجذور في الشعر العربي عامة والأندلسي خاصة، وقد قوي عوده في القرنين الخامس والسادس الهجريين، نظراً لما امتازت به الأندلس في هذه المدة من ازدهار فكري وحضاري.

٢ - قامت الدراسة في الفصل الثاني برصد بواكير المعارضات الأندلسية، واستطاعت الوقوف عند ثماني عشرة معارضة لشعراء الأندلس، عارضوا فيها المشارقة الأندلسيين، وقد تركزت معارضات الأندلسيين للشعر المشرقي بنسبة واضحة بلغت ٦٦./.، إذا ما قيست بمعارضاتهم لاترابهم من الشعراء الأندلسيين ويستنتج من هذا مكانة المشرق في نفوس الأندلسيين، واقرارهم بأستاذية المشارقة لمقرونة بالاعجاب بهـــم.

٣ - اتضح لنا أن شعراء المشرق الذين نالوا عناية الأندلسيين، وفازوا باعجابهم، مثلوا فحول الشعراء، فكانوا بمثابة الأساتذة الذين تلمذ على أشعارهم الأندلسيون، وقد وقفنا على سبعة منهم، كان في مقدمتهم أبو نواس، وابن الرومي ثم تبعهما المتنبي.

٤ - اتضح لنا من الدراسة أن شعراء الأندلس فيما قبل القرن الخامس الهجري، لم يكترثوا كثيراً بفن المعارضة، ولم يولوه عنايتهم، فلم يلمع في سماء المعارضة سوى شعراء قليلين بلغ عددهم أربعة عشر شاعراً، في حين نجد أن تيار المعارضة قد قويَّ عوده، واتضحت معالمه في مطلع القرن الخامس الهجري حتى نهاية القرن السادس.

٥ - توصلت الدراسة إلى أن الأندلسيين بدأوا في عهد مبكر يلتفتون إلى شاعرية شعرائهم، واتخذوا عدداً منهم مثلاً أعلى يعارضونه على نحو ما نجد في معارضتهم لادريس بن اليماني والرمادي.

٦ - تبين من الموازنة بين معارضات الأندلسيين للمشارقة قبل القرن الخامس الهجري، ومعارضاتهم المماثلة في القرنين الخامس والسادس الهجريين أن هذا التيار بدا ضعيفاً خافت الظلال ثم استقوى فيما بعد، إذ أن الدراسة الاستقصائية توصلت إلى أن مجموع معارضات الأندلسيين للمشارقة قبل القرن الخامس لا يتجاوز ٢٢./.، في حين نجد هذه النسبة تبلغ ٧٨./. عند شعراء الأندلس خلال القرنين الخامس والسادس

المهجرين، أي أن اعجاب الأندلسيين بالشعر المشرقي كان شديداً مذهب الشعراء يترسمون آثارهم.

٧ – وبدا لنا في الفصل الثالث ومن الدراسة الاحصائية أيضاً، أنّ ابن شهيد يتصدر لذاته وأنداده من الأندلسيين اللذين عارضوا المشارقة حيث تناولت الدراسة تسع قصائد من مجموع القصائد البالغة ثلاثاً وأربعين قصيدة تلك التي عارضها أربعة وعشرون شاعراً فحققت قصائده نسبة ٢١./. من مجموع قصائد المعارضات، كما مثل ابن شهيد مع شاعرين آخرين هما ابن خفاجة وابن عبدون أرجح نسبة في قصيدة المعارضة بلغت ٣٩./. من مجموع المعارضات، في حين نجد أن سبعة عشر شاعراً اقتصروا على نظم قصيدة واحدة بحيث شكّلت هذه القصيدة بين الشعراء المعارضين نسبة ٤./. [1].

٨ – لاحظت الدراسة ازدياد عدد الشعراء المعارضين خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين في اتجاهيه معارضة الأندلسيين للمشارقة، ومعارضة الأندلسيين فيما بينهم، فبلغ عدد شعراء الاتجاه الأول أربعة وعشرين شاعراً [2]، في حين بلغ سبعة وعشرين شاعراً في الاتجاه الثاني [3].

٩ – تبين لنا أن تيار معارضة الأندلسيين للمشارقة كان أقوى من صنوه، معارضة الأندلسيين فيما بينهم، وهو ما بسطنا الحديث فيه في الفصلين الثالث والرابع، ويمثل الضرب الأول نسبة ٥٦./.، وهي نسبة ترجح الضرب الثاني الذي يمثل ٤٣./. [4].

١٠ – تبين لنا من الموازنة بين المعارضات قبل القرن الخامس الهجري ومعارضات القرنين الخامس والسادس الهجريين سوعيهما، أن المعارضات قبل القرن الخامس الهجري لا تمثل إلاّ نزراً يسيراً، حيث بلغت ١٩./. بينما مثّلت معارضات الأندلسيين للمشارقة في القرنين الخامس والسادس الهجريين ٤٥./.، في حين بلغت بين الأندلسيين أنفسهم في المدة ذاتها ٣٥./.، والنسب الثلاث تدل دلالة واضحة على نمو ظاهرة المعارضات الشعرية قبل القرن الخامس الهجري وبعده، كما توضح متابعة الأندلسيين للمشارقة، والأندلسيين في معارضاتهم الخارجية والداخلية.

---

(١) ينظر: الملحق رقم (٢).

(٢) الملحق نفسه.

(٣) ينظر: الملحق رقم (٤).

(٤) ينظر: الملحقان (٢) و (٤).

١١ – ومن الدراسة الاحصائية [(١)] للمعارضات التامة والناقصة توصلنا إلى أن القصائد التي عارض بها الأندلسيون المشارقة، رجحت فيها المعارضات التامة على الناقصة فكانت نسبة التامة إلى الناقصة ٥٨./..

ولم يختلف الأمر كثيراً في معارضات الأندلسيين أنفسهم، حيث بلغت نسبة المعارضات التامة إلى الناقصة ٦٤./..

ومن هنا فإن المعارضات بشكل عام، بين المشارقة والأندلسيين وبين الأندلسيين أنفسهم يتصدر التام منها على الناقص بنسبة ٦٠./.

١٢ – تبين لنا أن الموضوعات التي طرقتها المعارضات الشعرية لم تخرج عن الموضوعات المألوفة في الشعر الأندلسي، واشتملت على موضوعات الشعر كافة، إلاّ أنها جاءت على درجات متفاوتة، حيث اختلفت وجهة الشعراء الذين عارضوا المشارقة، فرجحت لديهم معارضة المديح وبلغت ٣٩./.، في حين لم تتجاوز معارضات المديح فيما بين الأندلسيين أنفسهم ١٥./.، ثم تبعتها معارضة الغزل وبلغت ٢١./. في الضرب الأول، في حين تضاءلت في الضرب الثاني فبلغت ١٢./.، ومن هنا فإن المديح والغزل يتصدران معارضات الأندلسيين أو المشارقة، والأندلسيين فيما بينهم، حيث بلغت نسبتها ٦١./..

أما معارضات الأندلسيين فيما بينهم، فقد اتجه شعراؤها نحو وصف الطبيعة بشكل عام، والنوريات بشكل خاص، حيث شكَّلا نسبة ٤٨./. من مجموع معارضات الأندلسيين فيما بينهم؛ في حين لم يمثل الوصف في معارضة الأندلسيين للمشارقة إلاّ نزراً يسيراً إذا ما قيس بموضوعات الشعر الأخرى التي تناولتها معارضة الأندلسيين للمشارقة، حيث ألف نسبة ١١./.، وإذا ما قارنا معارضة الأندلسيين للمشارقة بمعارضات الأندلسيين فيما بينهم تتضاءل قصائده ولا تزيد على نسبة ٣١./..

١٣ – تبين أن موضوعين من الموضوعات التي توقف عندها شعراء المعارضة في معارضاتهم للمشارقة أصلاً، ولم يتوقف عندهما الأندلسيون في المعارضات فيما بينهم، وهما الفخر، والشكوى من الزمن، في حين استجد فن النوريات في معارضة الأندلسيين فيما بينهم.

(١) ينظر: الملحق رقم (٥).

١٤ - ومن دراسة البحور التي اعتمدتها المعارضات الأندلسية، وقد ذكرناها في الملحقين (٦) و(٧)، وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

آ - لم تحقق الأوزان المستخدمة في المعارضات تنوعاً كبيراً، إذ إن عدد البحور المستخدمة فيهما كانت ثمانية وهي تشكل نسبة ٥٠./. من عدد البحور.

ب - اختلفت مذاهب الشعراء الأندلسيين في استخدامهم البحور إذ لاحظنا أنهم في معارضتهم للمشارقة استجابوا للذوق السائد ملتزمين ببحور القصائد المعارضة، حيث تصدر سيد البحور (الطويل) في معارضات الأندلسيين للمشارقة فألّف نسبة ٣٢./. ويليه مرتبة بحرا البسيط والكامل اللّذان حقق كل منهما نسبة ٢٠./. بين البحور المستخدمة.

ومن هنا فإن البحور الثلاثة المتقدمة، كانت في طليعة البحور المستخدمة في معارضات الأندلسيين للمشارقة وذلك بنسبة ٧٢./.، كما تبين أن هذه المعارضات مالت بشكل واضح إلى استخدام البحور الطويلة الهادئة، فجاءت ثلاث وعشرون قصيدة فيها، وذلك بنسبة ٩٢./. من مجموع البحور.

وكان أقل البحور استخداماً المديد والمتقارب من البحور الطويلة، والخفيف ومجزوء الكامل من البحور القصيرة، حيث جاءت في كل منهما قصيدة واحدة، وبلغت نسبة الاستخدام بين مجموع البحور ٤٠./..

أما بحور معارضات الأندلسيين فيما بينهم، فقد تصدر فيها المجتث، حيث جاءت فيه ست قصائد وبلغت نسبة ٣٠./. من مجموع البحور، ويليه البسيط والطويل والكامل، حيث جاءت في الأول أربع قصائد وفي الثاني والثالث ثلاث قصائد، وتؤلف هذه البحور الأربعة نسبة ٧٦./.، أما البحور التي استخدمها شعراء المعارضة استخداماً قليلاً، فكانت المديد والمتقارب من البحور الطويلة، والسريع من البحور القصيرة، حيث جاءت في كل منها قصيدة واحدة، أي بنسبة ٥./. ومن الموازنة بين البحور المستخدمة في معارضات الأندلسيين للمشارقة، والبحور المستخدمة في معارضات الأندلسيين أنفسهم يتضح أن الضرب الأول مال إلى البحور الطويلة الهادئة، في حين مال الضرب الثاني إلى البحور القصيرة الهادئة، ولعل في هذا دلالة على تحييد الأندلسيين للأوزان القصيرة خلافاً لمذاهب المشارقة في استحسان الأوزان الطويلة الهادئة.

١٥ - وقد وقفت الدراسة عند قوافي المعارضات التامة فقط، لأنها التزمت أركان المعارضة بشكل كامل وأهملت المعارضات الناقصة في هذا المجال وتبين لنا أن الأندلسيين

الذين عارضوا المشارقة حققوا تنويعاً في قوافيهم استخدموا من حروف العربية عشرة أحرف، كما يتضح ذلك من الملحق رقم (٨) وقد مالوا إلى قافية الراء، حيث جاءت ثماني قصائد فيها من مجموع القصائد الخمس والعشرين أي بنسبة ٣٢./. وأعقبها قوافي الباء والدال والنون حيث جاءت فيها ثلاث قصائد بمعدل ١٢./. وكانت أقل القوافي استخداماً (السين والطاء والكاف والميم) حيث استخدمت في كل منهما قصيدة واحدة بنسبة ٤./.، أما القوافي التي استخدمت في معارضة الأندلسيين فيما بينهم، فقد تقدم حرف الضاد حيث نظمت فيه ست مقطعات شعرية بمعدل ٢٨./. من مجموع القصائد الواحدة والعشرين، ثم جاء بعده حرف الراء الذي رأيناه يتصدر قوافي معارضات الأندلسيين للمشارقة.. أما أقل الحروف استخداماً فكانت (الهمزة والتاء والسين والفاء والقاف واللام) حيث جاءت بنسبة ٥./. ومن مجموع الحروف المستخدمة في المعارضات في ضربي المعارضة بين الأندلسيين والمشارقة والأندلسيين أنفسهم، يلاحظ أن حرف الراء يحرز رتبة الصدارة بنسبة ٢٦./. من مجموع المعارضات التامة التي بلغت ستاً وأربعين.

وقد أدرج المعري [1] قافية الراء ضمن القوافي النفر التي تلي الذلل في استخدام الشعراء، ويلاحظ أن المعارضات التامة لم تستخدم القوافي الحوش (الثاء، الخاء، الدال، الشين، الظاء، الغين) روياً، ولعل ذلك يعود إلى الموقف العام للشعراء منها، حيث يقل استخدامها في الشعر العربي عامة.

١٦ - تبين لنا أن قصائد المعارضة بنوعيها جاءت متنوعة في عدد أبياتها، بين المقطعات تارة، والقصائد تارة، والمطولات تارة أخرى، إلى درجة متقاربة في معارضات الأندلسيين للمشارقة، لكن القصائد كانت أقل هذه الأنواع الثلاثة، فبلغت نسبتها ٢٨./..

إلاّ أن نسبة المطولات في معارضات الأندلسيين فيما بينهم قلّت حتى بلغت ٢١./. بين الأضرب الثلاثة [2].

١٧ - أن المرأة الأندلسية لم تسهم في المعارضة الشعرية، إلاّ بمستوى ضئيل، فلم

(١) لزوم مالا يلزم: ١ / ٣٧.

(٢) ينظر: الملحق رقم (٩).

نجد بين شعراء الأندلس الخمسين الذين نظموا في هذا الاتجاه إلاّ شاعرة واحدة في الغساسنة السحابية التي عارضت ابن دراج.

١٨ - اتضح من الدراسة أن قصيدة المعارضة الأندلسية انتهجت منهجاً مشرقياً واضح المعالم، فقد عارض ابن حمديس الصقلي منهج أبي نواس في استهلاله لقصائده بذكره الخمرة.

ونهج الأعمى التطيلي أيضاً منهج القدماء فعمد إلى معارضة عمر بن أبي ربيعة في الحوار الغزلي، ولا سيما في حواريته مع (أم المجد).

١٩ - توصلت الدراسة إلى أن لغة المعارضة تمتاز برقة الأسلوب وفصاحته، إلاّ أن هذا لا يمنع من وجود ألفاظ متينة التراكيب أحسب أن القارئ لا يستطيع فهمها ممّن كان متوسط الثقافة على نحو ما نجد في معارضات ابن دراج القسطلي أو في معارضات المدح أو الفخر بشكل عام.

ويلاحظ أن الشاعر المعارض يترسم خطا الشاعر المعارَض، ويبدو هذا التتبع والتأثر في اللغة كذلك حيث تتكرر ألفاظٌ بعينها على نحو ما نجد في معارضة ابن عبد الصمد مع ابن اللبانة في قصيدته الدالية.

٢٠ - ومن خصائص الأسلوب في المعارضات ميلها إلى استخدام المحسنات البديعية في أكثر القصائد على نحو ما نجد في معارضة أبي مطرف البغدادي لصريع الغواني على سبيل المثال [1]، ومن هذه المحسنات البديعية الاقتباس الاشاري الذي نجد له أمثلة كثيرة في المعارضات، كما تقدمت الاشارة إليه في معارضة ابن دراج للمتنبي، ومعارضة أبي الأصبغ بن عبد العزيز للأستجي في قصيدته الصادية [2].

---

(١) ينظر: البديع: ٤٧ في قوله:

أسدى واولى جميلا فاجمـــل الله قرضه

(٢) اقتـــبس اقتباســـاً إشارياً في قوله تعالى: ﴿ مَن ذا الَّذي يُقْرِضُ اللّه قَرْضاً حَسَناً ﴾ البقرة، الآية: ٢٤٥؛ الحديد، الآية: ١١.

الملاحق

ملحق رقم (أ)

جدول تفصيلي بأسماء الشعراء المشارقة الذين عارضهم الأندلسيون مرتبين على حروف الهجاء مع عدد معارضاتهم خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين

ت	أسماء الشعراء	عدد معارضاتهم
١	امرؤ القيس	٣
٢	البحتري	٢
٣	أبو تمام	٤
٤	أبو خراش الهذلي	١
٥	ابن الرومي	١
٦	الشريف الرضي	٣
٧	صريع الغواني	١
٨	طرفة بن العبد	١
٩	العباس بن الأحنف	١
١٠	أبو العلاء المعري	٤
١١	علي بن الجهم	٢
١٢	عمر بن أبي ربيعة	٢
١٣	أبو فراس الحمداني	٢
١٤	قيس بن الخطيم	١
١٥	المتنبي	١٠
١٦	النابغة الجعدي	١
١٧	أبو نصر المعافى	١
١٨	الوأواء الدمشقي	٢

ملحق رقم (٣)

جدول تفصيلي بأسماء الشعراء الأندلسيين الذين عارضوا المشارقة مرتين على حروف الهجاء وعدد معارضاتهم خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين

ت	أسماء الشعراء	عدد معارضاتهم
١	الأصم المرواني	١
٢	ابن بقي	١
٣	ابن جرج	١
٤	ابن الحداد	١
٥	ابن حصن	١
٦	ابن حمديس	٢
٧	ابن خفاجة	٤
٨	ابن دراج	٢
٩	ابن زيدون	٣
١٠	سليمان المستعين	١
١١	ابن سوار	١
١٢	ابن شهيد	٩
١٣	الطرطوشي	١
١٤	ابن عبد الصمد	١
١٥	ابن عبدون	٤
١٦	ابن عطيون	٢
١٧	غانم المخزومي	١
١٨	الفكيك	١
١٩	ابن قليل	١
٢٠	المستظهر	١
٢١	ابن المسيلي	١
٢٢	أبو المطفر البغدادي	١
٢٣	ابن نصر، أبو بكر الإشبيلي	١
٢٤	ابن وهبون	١

ملحق رقم (٣)

جدول تفصيلي بأسماء الشعراء الأندلسيين الذين عارضوا المشارقة مرتين على حروف الهجاء وعدد معارضاتهم خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين

ت	أسماء الشعراء	عدد معارضاتهم
١	الأستجي، أبو الحسن علي	٧
٢	ابن الأصباغي، أبو غالب عبد الله	١
٣	الأسعد بن بليطة	١
٤	ابن باجة	١
٥	الجزيري، عبد الملك	١
٦	ابن خفاجة	١
٧	ابن الحاج، أبو الحسن جعفر	١
٨	ابن الحاج اللورقي	١
٩	ابن حسداي	١
١٠	ابن دراج	٢
١١	ابو الربيع، سليمان القضاعي	١
١٢	ابن رشيق القيرواني	٣
١٣	ابن زريق البغدادي	١
١٤	ابن زيدون	١
١٥	ابن صارة	١
١٦	ابن قاضي ميلة	١
١٧	ابن اللبانة	٢
١٨	أبو المظفر البغدادي	١
١٩	المعتمد بن عباد	١
٢٠	ابن المقترح	١
٢١	ابن نصر، أبو بكر	١
٢٢	ابن هانىء	٢
٢٣	يونس القسطلي، أبو الوليد	١

ملحق رقم (٤)

جدول تفصيلي بأسماء الشعراء الأندلسيين الذين عارضوا لداتهم مرتبين على حروف الهجاء وعدد معارضاتهم خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين

ت	أسماء الشعراء	عدد معارضاتهم
١	ابن الأبار، أبو جعفر	١
٢	ادريس بن إبراهيم	١
٣	الأشكوري، أبو الطاهر	١
٤	أبو الأصبغ، ابن عبد العزيز	١
٥	الأصيلي، أبو عامر	١
٦	الحكيم أبو الصلت أمية	٢
٧	الحلواني، أبو الحسن عبد الكريم	١
٨	ابن حمديس	٢
٩	الحميري، أبو عامر	١
١٠	ابن خفاجة	٢
١١	ابن زهر الحفيد	١
١٢	سليمان القضاعي، أبو الربيع	٢
١٣	ابن شهيد	١
١٤	صفوان التجيبي، أبو بحر	١
١٥	ابن عباد، القاضي محمد بن إسماعيل	١
١٦	ابن عبد الصمد، أبو بكر	١
١٧	ابن عبد العزيز، محمد	١
١٨	الغسانية البجانية	١
١٩	ابن أبي غالب، القاضي	١
٢٠	ابن القوطية	١
٢١	ابن اللبانة	٢
٢٢	ابن لبون	١
٢٣	مروان بن عبد الله، أبو عبد الملك	١

ت	الاسم	العدد
٢٤	المظفر بن عبد الملك	١
٢٥	ابن المقترح، أبو جعفر	١
٢٦	ابن الملح، أبو بكر	١
٢٧	ابن نصر، أبو بكر الإشبيلي	١

ملحق رقم (٥)

جدول تفصيلي بالأغراض الشعرية التي طرقها شعراء المعارضة الأندلسية بشقيها، معارضة الأندلسيين للمشارقة، ومعارضتهم لأبناء جلدتهم

الموضوعات	معارضات الأندلسيين للمشارقة		معارضة الأندلسيين فيما بينهم	
	التامة	الناقصة	التامة	الناقصة
المديح	١٢	٥	٤	١٢
الغزل	٥	٤	٣	١
الوصف	٣	٢	٣	٥
الفخر	٢	٢		
الشكوى من الزمن	١	١		
النوريات			٦	٢
الرثاء			١	١
أغراض أخرى	٢	٤	٤	٢
المجموع	٢٥	١٨	٢١	١٢
المجموع الكلي	٤٣		٣٣	

ملحق رقم (٦)

البحور الطويلة المستخدمة في المعارضات التامة

ت	البحور	معارضة الأندلسيين للمشارقة	معارضة الأندلسيين فيما بينهم
١	الطويل	٨	٣
٢	البسيط	٥	٤

٣	المديد	١	١
٤	الكامل	٥	٣
٥	الوافر	٣	٢
٦	المتقارب	١	١
المجموع		٢٣	١٤

ملحق رقم (٧)

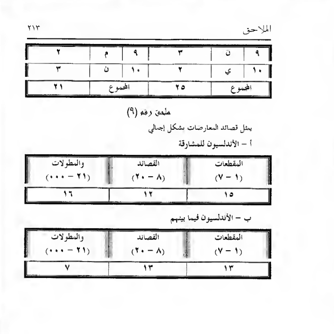
البحور القصيرة المستخدمة في المعارضات التامة

ت	البحور	معارضة الأندلسيين للمشارقة	معارضة الأندلسيين فيما بينهم
١	الخفيف	١	
٢	السريع		١
٣	المجتث		٦
٤	مجزوء الكامل	١	
المجموع		٢	٧

ملحق رقم (٨)

ضروب القافية في المعارضات

معارضة الأندلسيين للمشارقة			معارضة الأندلسيين فيما بينهم		
ت	الروي	عدد النصوص	ت	الروي	عدد النصوص
١	ب	٣	١	ء	١
٢	د	٣	٢	ت	١
٣	ر	٨	٣	ر	٤
٤	س	١	٤	س	١
٥	ط	١	٥	ص	٦
٦	ك	١	٦	ف	١
٧	ل	٢	٧	ق	١
٨	م	١	٨	ل	١



٩	ن	٣	٩	م	٢
١٠	ي	٢	١٠	ن	٣
المجموع		٢٥	المجموع		٢١

ملحق رقم (٩)

يمثل قصائد المعارضات بشكل إجمالي

أ – الأندلسيون للمشارقة

المقطعات (١ – ٧)	القصائد (٨ – ٢٠)	والمطولات (٢١ – ٠٠٠)
١٥	١٢	١٦

ب – الأندلسيون فيما بينهم

المقطعات (١ – ٧)	القصائد (٨ – ٢٠)	والمطولات (٢١ – ٠٠٠)
١٣	١٣	٧



فهرس المصادر والمراجع

أ – المصادر والمراجع:

١ – **القرآن الكريم.**

٢ – **ابـــن بـــسام وكتابه الذخيرة**، د. حسين يوسف خريوش، الناشر دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ١٩٨٤ م.

٣ – **ابـــن الرومـــي فنه ونفسيته من خلال شعره**، ايليا حاوي، ط ٢، بيروت ١٩٨٠ م.

٤ – **ابـــن شهيد الأندلسي حياته وآثاره**، شارل بلا، محاضرات ألقاها على طلبة اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب بيروت، في تشرين الأول ١٩٦٥.

٥ – **ابن شهيد الأندلسي حياته وأدبه**، د. حازم عبد الله خضر، منشورات وزارة الـثقافة والإعلام – الجمهورية العراقية، سلسلة الأعلام والمشهورين (١٩)، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤.

٦ – **ابـــن صارة الأندلسي (ت ٥١٧ هـــ) حياته وشعره**، تأليف د. مصطفى عوض الكريم، مطبعة مصر (سودان)، ليمتد الخرطوم ١٩٥٨.

٧ – **ابن عبد ربه وعقده**، جبرائيل جبور، ط ٢، بيروت ١٩٧٩.

٨ – **أبـــو الحسن الحصري القيرواني** (ت ٤٨٨هـــ)، الجيلاني ابن الحاج يحيى والمرزوقي، تونس ١٩٦٣ م.

٩ – **الاتجـــاه الإســـلامي في الـــشعر الأندلـــسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين**، د. منجد مصطفى بهجت، مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت ١٩٨٦ م.

١٠ – **أحكـــام صـــنعة الكلام**، لذي الوزارتين أبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الإشبيلي (ت ٥٥٠ هـــ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٦٦م.

١١ – **الأدب الأندلـــسي**، للأستاذين أحمد بلا فريج وعبد الجليل خليفة، مطبعة الوحدة المغربية، تطوان – المغرب ١٩٤١ م.

١٢ – **الأدب الأندلـــسي مـــن الفتح إلى سقوط الخلافة**، د. أحمد هيكل، دار

المعارف بمصر، ط ٩، ١٩٨٥ م.
١٣ - **الأدب العربي في الأندلس**، د. عبد العزيز عتيق، ط ٢، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٧٦ م.
١٤ - **أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه العربية**، محاضرات ألقاها الأستاذ محمد رضا الشبيبي، على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية ١٩٦٠/ ١٩٦١ م. مطبعة الرسالة، مصر، نشر جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة ١٩٦١ م.
١٥ - **إشبيلية في القرن الخامس الهجري**، د. صلاح خالص، سلسلة المكتبة الأندلسية، ط ١، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٥ م.
١٦ - **الأغاني**، لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ)، بيروت ١٩٥٥م.
١٧ - **أمثال العوام في الأندلس**، لأبي يحيى عبيد الله أحمد الزجالي القرطبي، تحقيق: د. محمد بن شريفة، القسم الثاني، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي بالمغرب، مطبعة محمد الخامس الثقافية، فاس (المغرب)، جمادي الأولى ١٣٩١ الموافق ١٩٧١ م.
١٨ - **البديع في وصف الربيع**، للحميري (ت ٤٤٠ هـ)، تحقيق: هنري بيريس، المطبعة الاقتصادية بالرباط ١٩٤٠ م.
١٩ - **برنامج شيوخ الرعيني**، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبيلي (ت ٦٦٦ هـ)، حققه: إبراهيم شبوح، مطبوعات مديرية احياء التراث القديمة، المطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م.
٢٠ - **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (ت ٥٩٩ هـ)، (تراثنا، المكتبة الأندلسية: ٦)، القاهرة، ١٩٦٧.
٢١ - **بلاغة العرب**، أحمد ضيف، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٢٤ م.
٢٢ - **بناء القصيدة العربية في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث)**، د. يوسف حسين بكار، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، بيروت ١٩٨٢ م.
٢٣ - **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر - عصر ملوك الطوائف**، د. سعد إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط ١، ١٩٧٨ م.
٢٤ - **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ابن عذارى المراكشي (ت

٧١٢هـ)، ج ١، ٢، ٣، تح: ج. س كولان، و أ. ليفي بروفنسال، ط ٢، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٠ م. ج ٤، تح: د. إحسان عباس، ط ٢، ١٩٨٠ م.

٢٥ - تاريخ ابن الوردي تتمة المختصر من اخبار البشر، عمر بن مظفر الوردي، ج ٢، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٦٩ م.

٢٦ - تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة، د. إحسان عباس، ط ٦، بيروت ١٩٨١ م.

٢٧ - تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف المرابطين، د. إحسان عباس، ط ٦، بيروت ١٩٨١ م.

٢٨ - تاريخ الأدب العربي، ج ٤ (الأدب في المغرب والأندلس إلى عصر الطوائف)، د. عمر فروخ، ط ١، بيروت، دار العلم للملايين ١٩٨١ م.

٢٩ - تاريخ الأدب العربي في الأندلس، د. إبراهيم علي أبو الخشب، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي، ط ١، القاهرة ١٩٦٦ م.

٣٠ - تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام، لسان الدين بن الخطيب، (القسم الثاني منه)، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط ٢، بيروت ١٩٥٦ م.

٣١ - تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، يوسف أشباخ، ج ١ - ٢، ترجمة محمد عبد الله عنان، ط ٢، مؤسسة الخانجي بالقاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر.

٣٢ - التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن علي الحجي، دار القلم، ط ١، بيروت ١٩٧٦ م.

٣٣ - تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط، واسمه الاكتفاء في أخبار الخلفاء، لابن الكردبوس التوزري (ت بعد ٥٧٣ هـ)، وصلة السمط، لابن الشباط التوزري (ت ٦٨١ هـ)، تحقيق: أحمد مختار العبادي، مدريد ١٩٧١ م.

٣٤ - تاريخ التمدن الإسلامي، ج ٥، جرجي زيدان، راجعه وعلّق عليه د. حسين مؤنس، القاهرة ١٩٥٥ م.

٣٥ - تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، د. خليل إبراهيم السامرائي، و د. عبد الواحد ذنون طه، ود. ناطق صالح مطلوب، جامعة الموصل، ١٩٨٦ م.

٣٦ - **تاريخ الفكر الأندلسي**، آنجل جنثالث بالنثيا، ترجمة د. حسين مؤنس، ط ١، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٥ م.

٣٧ - **تاريخ قضاة الأندلس المسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، للشيخ أبي الحسن بن عبد الله بن حسن النباهي المالقي الأندلسي، تح: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٣٨ - **تاريخ المعارضات في الشعر العربي**، د. محمد محمود قاسم نوفل، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، بيروت، ط ١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٣٩ - **تاريخ النقائض في الشعر العربي**، د. أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة، ط ٢، القاهرة ١٩٥٤ م.

٤٠ - **تـاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري)**، د. إحسان عباس، دار الثقافة، ط ٢، بيروت ١٩٧٨ م.

٤١ - **تـاريخ النقد الأدبي في الأندلس**، د. محمد رضوان الداية، دار الأنوار، ط ١، بيروت ١٩٨٠ م.

٤٢ - **الـتجديد في الأدب الأندلـسي**، د. باقر سماكة، مطبعة الإيمان، بغداد، ١٩٧١م.

٤٣ - **التشبيهات من أشعار أهل الأندلس**، للكتاني، تح: د. إحسان عباس، ط ٢، بيروت ١٩٨٥ م.

٤٤ - **تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري**، د. مصطفى عليان عبد الرحيم، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٤ م.

٤٥ - **جـذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي (ت ٤٨٨ هـ)، تح: محمد بن تاويت الطنجي، ط ١، القاهرة ١٩٥٢ م.

٤٦ - **الحلـة السيراء**، ابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ)، تح: د. حسين مؤنس، طبع الشركة العربية للطباعة والنشر، ط ١، القاهرة ١٩٦٣ م.

٤٧ - **الحلـل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، شكيب أرسلان، ط دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت).

٤٨ - **الحياة العلمية في مدينة بلنسية**، كريم عجيل حسين، ساعدت جامعة بغداد

على نشره، مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت ١٩٧٦ م.

٤٩ - **دراسات أدبية في الشعر الأندلسي**، د. سعد إسماعيل شلبي، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر، ط ١، القاهرة ١٩٧٣ م.

٥٠ - **دراسات في الأدب الأندلسي**، د. سامي مكي العاني، بغداد ١٩٧٨ م.

٥١ - **دراسات في تاريخ الأدب العربي (منتخبات قديمة عن الروسية)**، اغناطيوس كراتشكوفسكي، الشعر العربي في الأندلس ١٩٤٠ م، كراتشكوفسكي، ترجمة محمد المعصراني، دار النشر دار النشر ((علم))، موسكو ١٩٦٥ م.

٥٢ - **دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، محمد عبد الله عنان، ط ١، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٠ م.

٥٣ - **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ابن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ)، أربعة أقسام، تح: د. إحسان عباس، بيروت ١٩٧٩ م.

٥٤ - **رايات المبرزين وغايات المميزين**، لابن سعيد المغربي (ت ٦٨٠ هـ)، تح: د. النعمان عبد المتعال القاضي، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٩٧٣ م.

٥٥ - **الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي مع مسرد عام)**، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري (ت ٩٠٠ هـ)، تح: د. إحسان عباس، طبع دار القلم، بيروت ١٩٧٥ م.

٥٦ - **زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر**، لأبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي (ت ٥٩٨ هـ)، أشعار الأندلسيين من عصر الدولة الموحدية، أعده وعلّق عليه عبد القادر محداد، الناشر دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٠ م.

٥٧ - **شخصيات أدبية من المشرق والمغرب**، أبو القاسم محمد كرو وعبد الله شريط، منشورات دار مكتبة الحياة، ط ٢، بيروت ١٩٦٦ م.

٥٨ - **شذا العرف في فن الصرف**، للشيخ الحملاوي، ملتزم الطبع والنشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط ١٨، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.

٥٩ - **شرح شافية ابن الحاجب** (ت ٦٤٦هـ) رضي الدين الإسترابادي (ت ٦٨٦هـ)، تح: محمد محيي الدين وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان (أوفست) ١٩٧٥ م.

٦٠ - شرح المعلقات السبع، للزوزني، دار الجليل، ط ٢، بيروت ١٩٧٢ م.
٦١ - الشعر الأندلسي، غرسيه عومس، ترجمة د. حسين مؤنس، النهضة المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٥٦ م.
٦٢ - الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته، د. الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط ١، القاهرة ١٩٨٠ م.
٦٣ - الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، د. محمد مجيد السعيد، طبع مطابع الرسالة، الكويت، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات (١٦١)، ١٩٨٠ م.
٦٤ - شعر النصرانية قبل الإسلام، جمع لويس شيخو اليسوعي، ط ٢، بيروت ١٩٦٧ م.
٦٥ - الشعر والشعراء، لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر ١٩٨٢ م.
٦٦ - الشعر والشعراء في العصر العباسي، د. مصطفى الشكعة، ط ٢، بيروت ١٩٧٥م.
٦٧ - الصلة، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الأنصاري (ت ٥٧٨ هـ)، ج ١ - ٢، مطابع سجل العرب، طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة (تراثنا، المكتبة الأندلسية: ٤)، مصر ١٩٦٦ م.
٦٨ - طبقات الأطباء والحكماء، أبو داود سليمان بن حيان الأندلسي المعروف بابن جلجل، ألفه سنة (٣٧٧ هـ)، تح: فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٥ م.
٦٩ - طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧١ هـ)، تح: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط ١، ١٩٦٤ م.
٧٠ - طبقات الشعراء، لابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ)، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف بمصر ١٩٥٦ م.
٧١ - الطبيعة في القرآن الكريم، د. كاصد ياسر حسين الزيدي، سلسلة دراسات (٢٣٦)، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠ م.
٧٢ - طوق الحمامة في الألفة والالاف، لابن حزم (ت ٤٥٦ هـ)، ضبطه د.

الطاهر أحمد مكي، ط ١، مصر ١٩٧٥ م.

٧٣ – **ظهـــر الإسلام**، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة المعرفة، ط ٥، ١٩٨٢ م.

٧٤ – **العرب في الأندلس**، جورج غريب، سلسلة موسوعة الأدب العربي (٢١)، نشر وتوزيع دار الثقافة، (د. ت)، بيروت – لبنان.

٧٥ – **عـــصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**، ج ٨، د. محمود رزق سليم، مكتبة الآداب بالقاهرة ومطبعتها بالجماميز، ط ١، ١٩٦٥ م.

٧٦ – **العقـــد الفـــريد**، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـــ)، شـــرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه: أحمد أمين، أحمد الـــزين، إبراهيم الأبياري، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الناشر، بيروت، دار الكـــتاب العـــربي، ج ١، ط ٣، ١٩٦٥م. ج ٢، ط ٢، ١٩٥٦ م. ج ٣، ط ٣، ١٩٥٢م. ج ٤، ط ٤، ١٩٦٢ م. ج ٥، بلا، ١٩٦٥ م. ج ٦، بلا، ١٩٤٩ م، ج ٧، بلا، ١٩٥٣ م. وهو فهارس.

٧٧ – **علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية**، د. حليل إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات (٣٧٧)، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٦ م.

٧٨ – **عمدة الصرف**، كمال إبراهيم، الزهراء، ط ٢، بغداد ١٩٥٧ م.

٧٩ – **العمـــدة في محاســـن الـــشعر وآدابـــه ونقده**، ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـــ)، ج ١ – ٢، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجليل، ط ٤، بيروت ١٩٧٢ م.

٨٠ – **عـــيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨هـــ)، شرح وتحقيق: د. نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥ م.

٨١ – **فجر الأندلس**، د. حسين مؤنس، ط ١، القاهرة ١٩٥٩ م.

٨٢ – **فـــصول في الأدب الأندلـــسي في القـــرنين الثاني والثالث للهجرة**، د. حكمت علي الأوسي، مطبعة النهضة، ط ٢، بغداد ١٩٧٤ م.

٨٣ – **الفـــن ومذاهبه في الشعر العربي**، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط ٧، القاهرة ١٩٦٩ م.

٨٤ - **فهرســت ما رواه عن شيوخه أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأمــوي الإشــبيلي (ت ٥٧٥ هــ)**، تح: فرنكشة قدارة زيدين وخليان رباه طرغوه، (المكتبة الأندلسية)، بيروت، بغداد، القاهرة، الطبعة الجديدة، ١٣٨٢ هــ - ١٩٦٣ م.

٨٥ - **قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي - الخامس الهجري - الحــياة الاقتــصادية والاجتماعية**، د. محمد عبد الوهاب خلاف، ط ١، الدار التونسية للنشر، مطبعة اوميقا للنشر (قصر السعيد)، تونس ١٩٨٤ م.

٨٦ - **قضايا أندلسية**، د. بدير متولي حميد، دار المعرفة، القاهرة ١٩٦٤ م.

٨٧ - **قلائـــد العقيان في محاسن الأعيان**، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقـــان القيـــسي الإشبيلي (ت ٥٢٨ أو ٥٢٩ هــ)، مصورة عن طبعة باريس، قدم له ووضع فهارسه محمد العنابي، تونس (من تراثنا الإسلامي: ١)، ١٣٨٦ هــ - ١٩٦٦ م.

٨٨ - **محمـــد بن عمار الأندلسي، دراسة أدبية تاريخية**، د. صلاح خالص، ط الهدى، بغداد ١٩٥٧ م.

٨٩ - **المختار من كتاب ثمرات الأوراق**، لابن حجة الحموي (ت ٨٣٧ هــ) اختيار يعقوب عبد النبي، مراجعة حامد عبد القادر، مطبعة كوستا توماس وشركائه.

٩٠ - **مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة (٤٦٩ - ٤٨٣ هــــ)، المسماة كتاب التبيان**، نشر وتحقيق: إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٥٥ م.

٩١ - **المرقـــصات والمطربات لرئيس الأدباء وعميد الفضلاء نور الدين علي ابن الوزير أبي عمران (ت ٦٧٣ هــ)**، دار حمد ومحيو، بيروت ١٩٧٣ م.

٩٢ - **المطرب من أشعار أهل المغرب**، أبو الخطار عمر بن حسين بن علي بن دحية الكلبي (ذو النسبين) الأندلسي (ت ٦٣٣ هــ)، تح: الأستاذ إبراهيم الأبياري و د. حامد عبد المجيد، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥٤ م.

٩٣ - **مطمـــح الأنفـــس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، تأليف الوزير الكاتب أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان (ت ٥٢٩ هــ، ١١٣٥ م) دراسة وتحقيق: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، دار عمار، ط ١، بيروت، ١٤٠٣ هــ / ١٩٨٣ م.

٩٤ - **المعـــتمد بن عباد الإشبيلي، دراسة أدبية تاريخية**، د. صلاح خالص، ط

شركة بغداد للطبع والنشر والتوزيع، بغداد ١٩٥٨ م.

٩٥ - **المعتمد بن عباد الملك الجواد الشجاع الشاعر المرزأ**، د. عبد الوهاب عزام، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٥٩ م.

٩٦ - **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، محيي الدين عبد الواحد بن علي المراكشي (ت ٦٤٧ هـ)، تح: محمد سعيد العريان، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.

٩٧ - **المغرب في حلى المغرب، ستة من بني سعيد آخرهم علي بن موسى (ت ٦٧٢ هـ)**، ج ١ - ٢، تح: د. شوقي ضيف، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤ م.

٩٨ - **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ)، تح: محمد بن الحبيب بن الخوجة، تونس ١٩٦٦ م.

٩٩ - **النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين**، د. حازم عبد الله حضر، دار الحرية للطباعة، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات (٢٤٤)، بغداد ١٩٨١ م.

١٠٠ - **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ)، تح: محيي الدين عبد الحميد، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ١٩٤٩ م.

١٠١ - **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، المقري التلمساني (ت ١٠٤١ هـ) تح: د. إحسان عباس، ط دار صادر، بيروت ١٩٦٨ م.

١٠٢ - **نقائض جرير والفرزدق**، طبع مطبعة ليدن، أعادت طبعه بالأوفسيت مكتبة المثنى، بغداد لصاحبها قاسم محمد الرجب (١٩٠٥ م).

١٠٣ - **وصف الحيوان في الشعر الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين**، د. حازم عبد الله حضر، طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد ١٩٨٧ م.

١٠٤ - **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١ هـ)، تح: د. إحسان عباس، (سبعة أجزاء) والثامن فهارس، بيروت ١٩٦٨ م.

١٠٥ - **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن

إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج ٢، القاهرة ١٩٥٦ م.

ب – الدواوين والشروح والمجاميع الشعرية:

١ – ديوان الأعمى التطيلي (ت ٥٢٥هـ)، تح: د. إحسان عباس، بيروت ١٩٦٣م.

٢ – ديوان امرئ القيس (ت نحو ٨٠ ق. هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٣، مصر ١٩٦٩ م.

٣ – ديوان البحتري (ت ٢٨٤ هـ)، تح: حسن كامل الصيرفي، سلسلة ذخائر العرب (٣٤)، (١ – ٥) أجزاء، ط ٢، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ م.

٤ – ديوان الحكيم أبو الصلت بن أبي الصلت (ت ٥٢٨ هـ)، تح: محمد المرزوقي، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٧٤ م.

٥ – ديوان ابن حمديس (ت ٥٢٧ هـ)، تح: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٠ م

٦ – ديوان ابن خفاجة (ت ٥٣٣ هـ)، تح: د. سيد مصطفى غازي، ط دار المعارف ١٩٦٠ م.

٧ – ديوان ابن دراج القسطلي (ت ٤٢١ هـ)، تح: د. محمود علي مكي، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٦١ م.

٨ – ديوان ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ)، جمع وتحقيق: د. عبد الرحمن ياغي، دار الثقافة، بيروت (د. ت).

٩ – ديوان ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ)، تح: د. حسين نصار، القاهرة ١٩٧٤ م.

١٠ – ديوان ابن زيدون (ت ٤٦٣ هـ) ورسائله، شرح وتحقيق: علي عبد العظيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة ١٩٥٧ م.

١١ – ديوان السيد الحميري (ت ١٧٠ هـ)، لإسماعيل بن محمد السيد الحميري، جمعه وحققه: شاكر هادي شكر، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٦ م.

١٢ – ديوان الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ)، مطبوعات دار الأعلمي، بيروت.

١٣ – ديوان ابن شهيد الأندلسي (ت ٤٢٦ هـ)، تح: يعقوب زكي، سلسلة تراثنا، القاهرة (د. ت).

١٤ – ديوان طرفة بن العبد (ت نحو ٦٠ ق. هـ)، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٥ – ديوان الطفيل الغنوي (ت نحو ١٣ ق. هـ)، تح: محمد عبد القادر أحمد، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٦٨ م.

١٦ – ديوان ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) جمع وتحقيق: د. محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م.

١٧ – ديوان علي بن الجهم (ت ٢٤٩ هـ)، تح: خليل مردم بك، ط ٢، بيروت ١٩٥٩ م.

١٨ – ديوان عمر بن أبي ربيعة (ت ٩٣ هـ)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، كتاب التراث (٢)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ م.

١٩ – ديوان أبي فراس الحمداني (ت ٣٥٧هـ)، رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه، دار صادر، بيروت ١٩٦٦ م.

٢٠ – ديوان قيس بن الخطيم (ت نحو ٢ ق. هـ)، تح: د. إبراهيم السامرائي، د. أحمد مطلوب، ط ١، بغداد ١٩٦٢ م.

٢١ – ديوان ابن اللبانة (ت ٥٠٧ هـ)، دراسة وتحقيق (مخطوط): د. محمد مصطفى بهجت.

٢٢ – ديوان سيل الصب، مجموعة معارضات قصيدة أبي الحسن الحصري القيرواني، عني بجمعها محمد علي حسن، منشورات الأديب، دار الإيمان، بغداد، ط ١، ١٩٦٨م.

٢٣ – ديوان المعتمد بن عباد (ت ٤٨٨ هـ)، تح: أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، القاهرة ١٩٥١ م.

٢٤ – ديوان أبي نواس (ت ١٩٨ هـ) برواية الصولي، تح: د. بهجت عبد الغفور الحديثي، بغداد ١٩٨٠ م.

٢٦ – ديوان الهذليين، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥ م.

٢٦ – **ديـــوان الـــوأواء الدمشقي (ت ٣٨٥ هــ)**، تح: د. سامي الدهان، ط دمشق ١٩٥٠.

٢٧ – **شـــرح ديـــوان سقط الزند لأبي العلاء المعري (ت ٤٤٩هــ)**، شرح وتعليق د. ن. رضا.

٢٨ – **شـــرح ديـــوان صريع الغواني (ت ٢٠٨ هــ)**، تح د . سامي الدهان، ط ١، مصر ١٩٥٧ م.

٢٩ – **شـــرح ديـــوان المتنبي (ت ٣٥٦ هــ)**، عبد الرحمن البرقوقي، بيروت ١٩٧٩م.

٣٠ – **شـــعر الرمادي يوسف بن هارون (ت ٤٠٣ هــ)**، جمع وتحقيق: ماهر زهير جرار، ط ١، بيروت ١٩٨٠ م.

٣١ – **شـــرح الصولي لديوان أبي تمام (ت ٢٣١هــ)**، دراسة وتحقيق: خلف رشيد نعمان.

٣٢ – **شـــعر ابـــن اللبانة الداني (ت ٥٠٧ هــ)**، جمع وتحقيق: د. محمد مجيد الـــسعيد، منـــشورات جامعة البصرة، طبع بمطابع مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل لسنة ١٩٧٧ م.

٣٣ – **شـــعر الـــنابغة الجعدي (ت نحو ٥٠ هــ)**، عبد العزيز رباح، منشورات المكتب الإسلامي، ط ١، دمشق، ١٩٦٤.

ج – المعاجم اللغوية والأدبية:

١ – **أســـاس الـــبلاغة**، للزمخشري (ت ٥٣٨ هــ)، ج ٢، ط ٣، مطابع الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٥ م.

٢ – **تاج العروس**، للإمام اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢١٥ هــ)، المجلـــد الخـــامس، الناشر دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، طبع على مطابع دار صادر، بيروت، ١٣٨٦ هــ – ١٩٦٦ م.

٣ – **الـــتكملة والـــذيل والـــصلة لكـــتاب تاج اللغة وصحاح العربية**، تأليف الحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني، تح: عبد العليم الطحاوي، القاهرة ١٩٧٤ م.

٤ – **تهذيب اللغة**، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠ هــ)، ج ١، حققـــه وقدّم له: عبد السلام محمد هارون، راجعه محمد علي النجار، المؤسسة المصرية

العامـة للتألـيف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، الدار القومية العربية للطباعة، ١٩٦٤ م.

٥ – جمهـرة اللغـة، تأليف الشيخ الجليل إمام اللغة والأدب، أبي بكر محمد بن الحـسن بـن دريد الأزدي (ت ٣٢١ هـ)، ج ٢، الطبعة الأولى في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الكائنة بحيدر آباد – الدكن، ١٣٤٥ هـ.

٦ – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ)، ج ٣، تـح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط ٢، بيروت ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م.

٧ – العـين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، ج ١، تح: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، طبع في مطابع الرسالة، الكويت، دار الرشيد للنشر، سلسلة المعاجم والفهارس (١٦)، بغداد ١٩٨٠ م.

٨ – القاموس المحيط، للفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)، القاهرة (د ، ت).

٩ – لسان العرب، لابن منظور (ت ٧١١ هـ)، طبعة دار صادر ١٩٥٦ م.

١٠ – مجمـل اللغـة، صنفه أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، ج ٣، حققـه: الـشيخ هادي حسن حمودي، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الطبعة الأولى، الكويت ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

١١ – المحكـم والمحـيط الأعظـم في اللغة، تأليف علي بن إسماعيل ابن سيدة (ت٤٥٨هـ)، ج ١، تح: مصطفى السقا، د. حسين نصار، الطبعة الأولى ١٩٥٨ م، نشرته مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

١٢ – المحيط في اللغة، تأليف الصاحب إسماعيل بن عباد (ت ٣٨٥ هـ)، ج ١، تـح: الـشيخ محمـد حـسن آل ياسين، ط ١، مطبعة المعارف، بغداد ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.

١٣ – مختار الصحاح، للرازي (ت ٦٦٦ هـ)، الناشر دار الكتاب العربي، ط ١، بيروت ١٩٧٩ م.

١٤ – المـصباح المـنير في غـريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، صححه مصطفى السقا، طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

١٥ – **المعجم الأدبي**، جبّور عبد النور، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٩ م.

١٦ – **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مجدي وهبة وكامل المهندس، لبنان ١٩٧٩ م.

د – المطبوع على الآلة الكاتبة:

١ – **ابن حمديس حياته وشعره**، نايف خالد محمد الحسن، رسالة ماجستير في اللغة العربية، مقدمة إلى كلية الآداب – جامعة بغداد، ١٩٧٤ م.

٢ – **الحياة العلمية والثقافية في الأندلس في القرن الرابع الهجري**، حازم غانم حسين، مقدمة إلى كلية الآداب – جامعة الموصل، قسم التاريخ ١٩٨٠ م.

٣ – **ابن دراج القسطلي**، محمد محمود يونس، رسالة ماجستير في اللغة العربية، مقدمة إلى كلية الآداب – جامعة بغداد، ١٩٧٥ م.

هـ – المجلات والدوريات:

١ – الأبحاث، مجلة الأبحاث، تصدر عن الجامعة الأمريكية، بيروت، **المعتمد الملك الشاعر**، جبرائيل جبور، ج ٢، السنة ١٦، حزيران ١٩٦٣ م.

٢ – الآداب الأردنية، مجلة كلية الآداب الأردنية، عمان، **ملامح من الثقافة الأندلسية**، د. هاشم ياغي، مج ٢، آيار (ص ٣٧ – ٥٤)، ١٩٧٧ م.

٣ – آداب بغداد، مجلة تصدرها كلية الآداب – جامعة بغداد:

أ – **الأندلسيون الأوائل من حملة الثقافة العراقية**، د. محسن جمال الدين، العدد (١١)، حزيران ١٩٦٨ م.

ب – **الشاعر أبو إسحق، الأطعمة ومعارضاته الشعرية**، د. أمين علي سعيد، العدد (٢٣) لسنة ١٩٧٨ م.

٤ – آداب المستنصرية، تصدرها كلية الآداب – الجامعة المستنصرية:

أ – **تاريخ الموريات في الشعر العربي والمشرق في الأندلس**، مقداد رحيم حصر، العدد (١١) لسنة ١٩٨٥ م.

ب – **شخصية الأدب الأندلسي**، د. علي الزبيدي، العدد (٢)، السنة الثانية ١٩٧١ م.

٥ – الجامعة، مجلة جامعة الموصل – العراق:

أبـــو تـمـــام الأندلسي، د. محسن جمال الدين، عدد خاص بمناسبة ذكرى أبي تمام ١٩٧٠ م.

٦ – رانكو، جامعة السليمانية – العراق:

الدعـــوة إلى توحـــيد الأندلس في أيام الطوائف، د. خليل إبراهيم صالح، المجلد الثالث، العدد الأول لسنة ١٩٧٧ م.

٧ – الكـــتاب، مجلة الكتاب – بغداد، يصدرها اتحاد المؤلفين والكتّاب العراقيين بـــبغداد، عـــدد خاص بالذكرى الألفية لميلاد ابن زيدون (٣٩٤ هـ – ١٣٩٤هـ)، العددان (١١، ١٢) ١٩٧٥ م:

أ – **ابن زيدون ومعارضوه**، د. مختار الوكيل، ص (١١٧ – ١٢٤).

ب – **الإيقاع الموسيقي في شعر ابن زيدون**، د. شوقي ضيف ص (٤ – ١٤) ؛

٨ – الكتاب، مجلة الكتاب المصرية:

المعارضـــات في الشعر الجاهلي، الأستاذ علي الجارم، السنة الأولى، المجلد الثاني، يوليه ١٩٤٦ م.

٩ – المجمع العلمي العربي، دمشق، **مجلة (الشعر الأندلسي)**، د. عبد الله كنون، ح ٣، المجلد الحادي والثلاثون تموز ١٩٥٦ م، ص (٣٧١ – ٣٩٦).

١٠ – المورد، مجلة المورد العراقية:

أ – **ابن زهير الحفيد حياته وشعره**، د. محمد مجيد السعيد، ع ٩، ١٩٨٠/٢/٤م.

ب – **معـــالم شخـــصية المتـــنبي في الأنـــدلس**، د. محسن جمال الدين، ع ٦، ١٩٧٧/٣م.

ج – المـــورد، مج ٦ ٤٢ ١٩٧٧ م، **المستدرك على شعر الأعمى التطيلي**، د. محمد مجيد السعيد.

د – المـــورد، مـــج ٧ ١ ١٩٧٨ م، **ابـــن بقي القرطبي حياته وشعره**، جمع وتحقيق: د. محمد مجيد السعيد.

هـــ – المورد، ١٤ ١ د، ١٩ م. **شعر أبي بكر بن القوطية، من أعيان القرن الخامس الهجري**، جمعته وحققته: هدى شوكت بهنام.

ABSTRACT

The research studies the phenomenon of poetical imitation and comparison in Andalusia (the Moslem Spain) during the fifth and sixth centuries (A.H. Undoutedly, emulation of other poets' works constitutes an amusing and deep-rooted phenomenon in Arabic poetry.

The period covered by the study was selected because such poetical activities reached a high degree of perfection in it. The period is characteristic of works of this nature.

At the outset, the research, consisting of four chapters investigates the political, social and cultural setting.

Then moves on to discuss the roots and concepts of the phenomenon along with the Andalusian Arabs' endeauour to emulate the social and cultural life of their counter parts in the Arab East.

The incentives behind analogies in Arabic poetry are dealt with in chapter two. Here it was fond that the phenomenon acquires increasing significance in Arabic poetry; hence, the importance of the study.

The third chapters is specifically assigned to the Arabs in Andalusia's emulation of the Arabs in the East in a variety of poetical themes.

The phenomenon in Andalusia itself is investigated in chapter four.

Results and conclusions with the outcome of a statistical survey are given in a separate chapter.

فهرس المحتويات